

بسم الله وبعد: تم الرفع بحمد الله من طرف بن عيسى ق متخرج من جامعة المدية سنة 2007

للتواصل وطلب المذكرات :

بريدي الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

MSN : benaissa.inf@hotmail.com

Skype :benaissa20082

هاتف : 0771087969

دعوة صالحة بظهر الغيب....

الجمهورية الجزائرية الديمــقراطية الشعــبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم علم الإجتماع

رقم التسجيل :......................

رقم التسلسل:.......................

التحول الديمغرافي وآثاره في التشوه العمراني

دراسة تطبيقية لحي العالية الشمالية (مدينة بسكرة)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التنمية

إعداد الطالبة :
ميمونة مناصرية

إشــراف :
أ. د . بلقاسم سلاطنية

تاريخ المناقشة :2005/03/06

لجنة المناقشة :

د/ برقوق عبد الرحمان	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة محمد خيضر بسكرة
أ.د/ سلاطنية بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة محمد خيضر بسكرة
د/ دليمي عبد الحميد	أستاذ محاضر	عضوا	جامعة منتوري قسنطيــنة

السـنة الجامعية : 2004 / 2005

شكـــر و تقدير

أشكر الله الذي أحاطني بعظيم فضله و سعة رحمته .

أشكـر السيد المشرف أ . د . **بلقاسم سلاطنية** الذي أحاطني بجزيل حلمه و طول صبره ووفرة عطائه و جميل انتقاده .

أشكر أساتذتي بجامعتي بسكرة و قسنطينة و كل من ساعدني من قريـب أو بعيد فـي إنجاز هذا العمل المتواضع .

فهرس المحتويات و الجداول و الأشكال

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني :**العـــــــــمران**

تمهـــيد

الفصل الثالث :**آثار التحول الديمغرافي في تشويه العمران**

تمهـــيد

الفصل الرابع :**منهجية الدراسة**
تمهيد

الفصل الخامس:**تشوه التنظيم العمراني.**
تمهيد

الفصل السادس: **تشوه مرفولوجية الحي.**

تمهـــيد

فهرس الجداول و الأشكال

الجـــــــداول

الفصل	رقم الجدول	عـــــــــنوان الجـــــــــدول	الصفحة

الخرائط

الصـــــــور

مقدمة

المدينة طراز متميز للحياة الإجتماعية الإنسانية ، و هي تشير إلى تمركز سكاني يمتاز بالكثافة العالية ، ويوجد في منطقة جغرافية صغيرة نسبيا ، "وإذا سلمنا مع الفلاسفةأن المنازل تشكل المدينة وأن المواطنين يشكلون الحاضرة(بعقد اجتماعي) ، فإن سلوك البشر هو الذي يظهر خلال تاريخ المدن وتاريخ الحضرعلى السواء ، بتملك أو إعادة تملك فضاءات المدينة ، بالتكيف معها مع اعتمادها ، يصنع الناس المدينة ويرسون قواعد الحاضرة ،وهم في هذا وافون لتخيلاتهم وتمثلاتهم الجماعية " [1].

و قد تناول الباحثون السوسيولوجيون المدينة كظاهرة اجتماعية من خلال جوانب مسائل هي :

1 – دراسة أيكولوجية المدينة ، بمعنى دراسة التوزيع السكاني في علاقته بالمكان، وكذا العمليات المتضمنة في العلاقة المتبادلة بين السكان و المكان .

2 – تنظيم المدينة الذي يتخذ طابعا خاصا كلما اتسعت حجما ، وبالأخص عندما يظهر التمايز الواضح في أجزاء هذا التنظيم ، وأهم ما يلفت النظر في هذا المجال إمكان تقسيم التنظيم الإجتماعي الكبير إلى عدد لاحصر له من التنظيمات الإجتماعية الفرعية .

3 - دراسة سيكولوجية السكان من وجهات نظر عديدة ، خاصة الشعور الطبقي أو الطائفي أو المهني و المظاهر النفسية العديدة التي تصاحب الحياة الحضرية الحديثة في مقارناتها بما كان معروفا من خصائص السكان الذين كانوا يسكنون الوحدات الصغيرة نسبيا ، في المجتمع القروي على سبيل المثال.

وباستعراض الدراسات العديدةالتي أنجزت تبين اختلاط الدراسات الفردية بالمسائل الديمغرافية و الأيكولوجية في المدينة ، و المسائل المتعلقة بسيكولوجية الحياة فيها، وللإجابة على تساؤلات معينة مثل : ماالذي يجعل المدينة تنمو ؟ و هل تتبع المدن أثناء نموها نمطا معينا ؟ و هل تكرر المدين نفسها في نموها ؟ ما الذي يحدث للنظم المحلية عندما تنمو المدينة ؟ إلى أي حد تكون المدينة عاملا مغيرا للأنماط الإجتماعية ، وإلى أي درجة يمكن أن تكون عاملا في خلقها ؟ .

هذه الأسئلة و غيرها كانت نموذجا لمحاولة الكشف عن مختلف المظاهر التي تصاحب تغير المدن من قبل العديد من التخصصات كعلم الإجتماع و الهندسة المعمارية و علم النفس و ... ، خاصة في ظل الأزمة التي تعيشها المدن بشكل عام ، ومدن العالم الثالث بشكل خاص ، ذلك أن

---

[1] عبد القادر لقجع . تقديم بمجلة انسانيات . عدد 05 ماي 1998 . مجلد 02 . مركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية و الثقافية (CRASC) . وهران .

النظر في تاريخ المدن يكشف عن الإختلاف الدائم حول أسباب تعمير المدن و أشكال هذا التعمير ، فبات البحث في شؤون التجمعات العمرانية القائمة أمرا هاما و ضروريا لأسباب : -

- الحاجة إلى التعرف على جذور الأزمة العمرانية و تغيير ما ران على النسيج العمراني من جمود في الإبداع و الإبتكار .
- التطلع إلى تنظيم عمراني متكامل مع البيئة و الثقافة والإمكانات المادية ، ويرتقي إلى تلبية الحاجات الفيزيولوجية كاملة للإنسان .
- الحاجة للنظر بعين الإعتبار لمسألة التجدد في العمارة بإنقاذها من كونها مجرد مأوى ،واغترابها عن قيم المجتمع إلى ملاءمتها لكل المقومات المحلية في ظل زمن جديد و مكان مناسب، ذلك أن العمارة التقليدية استلمت أساليب إنجازها من البيئة و مواد البناء الموجودة في المحيط دون أن تتطلع – في أغلب الأحيان – إلى أساليب حديثة ، بينما العمارة الحديثة لم تراع البيئة و المحيط ، بل زرعت كأشكال هندسية في مجتمع غريب عنها .
- تدارك الفصام بين الدراسات السوسيولوجية التي تنتج الحقائق المتعلقة بالأسرة ورغباتها و تقاليدها و... و الدراسات المعمارية التي تخطط للمأوى بدلا عن المسكن .

و في ظل التأكد من مدى التشوه الذي لحق بالعمارة الجزائرية ، جاءت هذه الدراسة للبحث في إحدى الأسباب المشوهة للعمارة ، وهو التحول الديمغرافي الذي عاشته المدن الجزائرية نتيجة عملية التحضر الواسعة جراء النزوح الريفي الذي صاحبته زيادة طبيعية للسكان ، مما فاقم في حدة أزمة الحواضر بالتربيف و التعمير العشوائي.

و يعد هذا البحث إحدى البحوث الامبريقية التي تعني الإحتكام للواقع ، وهي اتجاه ملموس ومعين بالتحديد ، ويتم طبقا لإطار نظري محدد سلفا ، ومرتكزا في بعض مراحله على عمليات عقلية نظرية ، بالإستعانة بالمناهج الكيفية مع الأخذ في الإعتبار الوثائق التاريخية و السجلات الحكومية [1] ، و البحث هنا يهتم بتصوير الوضع الراهن ، وتحديد العلاقات الموجودة بين[2] ظاهرتي السكان و العمران ، مما يمكن من وضع تنبؤات عن الأوضاع المقبلة ، و من هنا فالمنهج الوصفي المعتمد ليس مجرد وصف لما هو ظاهر للعيان بل يتضمن الكثير من التقصي و معرفة الأسباب و المسببات لما هو ظاهر للعيان ، كما أنه يتطلب معرفة الطرق و الإمكانيات التي تساعد في فهم الظاهرة موضوع الدراسة بما يتطلبه البحث [3].

---

[1] محمد محمود الجوهري و عبد الله الخريجي .طرق البحث الإجتماعي .ط4 . دار الثقافة للنشر و التوزيع . القاهرة . 1983 ص8.

[3] عمار بوحوش . مناهج البحث العلمي و طريقة إعداد البحوث . ديوان البحوث الجامعية . الجزائر . 1995 . ص 74 .

و لذا فقد تم اعتماد المدخل المنهجي الذي يسمح بلإقتراب الصحيح و الواعي من الظاهرة ويبصر بالأدوات المنهجية الملائمة ، فهو يقدم رؤية شاملة عن الواقع ، وعن كيفيات تناوله بالبحث و الدراسة ، و هويمثل نقطة الوصل بين الجهاز المفاهيمي أي الإطار المرجعي النظري التصوري ، وبين الطرائق المنهجية لتناول الظاهرة، ومعلجتها من حيث الأدوات والتقنيات ، فدوره إذن هو : -

- يساعد على التناسق المنطقي .
- يساعد على تبصر جوانب الظاهرة المدروسة .
- يسمح باختيار الأساليب الملائمة .
- يحقق الإنسجام بين الجانب (العنصر) التصوري للبحث و الجانب أو (العنصر) التحليلي الإمبريقي ، و أخيرا الجانب (العنصر) التفسيري .

المداخل المنهجيــة :

و بما أن هذه الدراسة ترتكز على متغيرين اثنين هما السكان و العمران فقد كان لزاما اعتماد مدخلين هما : -

1 – المدخل السكـــاني :

يطبق هذا المدخل لدراسة الخصائص السكانية، ويفسر – حسب د.محمد بومخلوف – التحضر بناء على التحولات السكانية ، سواء بسبب النمو الطبيعي أو بسبب حركة الهجرة التي تؤدي إلى تحول مناطق معينة من مجرد مستوطنات ريفية إلى تجمعات حضرية نتيجة لذلك ، ورغم أن التحضر سببه الأساسي النمو السكاني بسبب الهجرة ، إلا أن ذلك يعتبر مظهرا أكثر منه سببا ، أي لابد من البحث في أسباب الهجرة سواء كانت أسبابا اقتصادية مثل ظهور موارد اقتصادية معينة ،أو أسباب سياسية مثل الحروب و سياسات ترحيل السكان أو أسباب طبيعية كالكوارث (الجفاف مثلا) و غيرها من الأسباب .

و يركز هذا المدخل على أثر التزايد السكاني و تركيب السكان ، و التتغيرات السكانية ، حيث يعتقد أصحابه أن عملية التحضر تتم نتيجة للعمليتين الآتيتين :

- التزايد السكاني الطبيعي الذي يؤدي إلى تحول المستوطنات من مجرد قرى صغيرة إلى مدن كبيرة .
- التزايد السكاني غير الطبيعي الناتج عن الهجرة من الأرياف إلى المدن .[1]

[1] محمد بومخلوف . التحضر . دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع . الجزائر . 2001 . ص ص 64 – 65 .

و قد طبق المدخل السكاني في هذا البحث للوقوف على الخصائص السكانية كالكثافة السكانية ، و حركة السكان الداخلية و الخارجية ، وكذا أصول الوافدين في المجال الحضري ودوافع مجيئهم ، وكذا نسبة الزيادات منذ نشأة المجال تبعا للتعدادات السكانية.

2- المدخل الأيكولوجي :

يعني هذا المدخل بالتوزيع المكاني للسكان و النشاطات ضمن المساحات التنظيمية للمدينة، و كذلك في دراسة العلاقات بين المواقع في وسط المدينة و على أطرافها ، وترجع الأصول الفكرية التي استمدت منها الأيكولوجيا البشرية أساسها النظري والمنهجي إلى كتابات الحتميين القدامى الذين ربطوا بين متغيرين أساسيين هما الظروف المكانية (المتغير المستقل) و التحضر وظهور المدن ونموها(المتغير التابع) ، و يعتبر ابن خلدون واحدا ممن أخذوا بهذا التصور وطوروه ، حيث نجده يوضح تأثير الإنسان على العمران البشري و المدينة[1].

و يشير المعنى الأيكولوجي في هذا البحث إلى جانب البيئة الناتجة عن عملية التحضر، من ازدياد عدد البنايات وتجاورها و توسع حجم المجال الحضري ، وارتفاع كثافته السكنية والسكانية،و ظهور المرافق ذات الأنشطة المتخصصة ، مما نتج عنه بيئة اجتماعية خاصة ، تميزت بعلاقات جوار خاصة ، وكثافة التفاعل الإجتماعي والاتصال المباشر وغير المباشرمن خلال البيئة المشيدة عمرانية ومعمارية ، بحيث أن شكلا معينا من التركيبة الفكرية والإثنية والظروف الإجتماعية و مستوى الدخل الإقتصادي ومستوى الثقافة ، الأمر الذي يجعل المدينة تفتقد التجانس ، ولاتحتكم – غالبا – لأية خطة عمرانية من شأنها إعطاء المدينة الوجه اللائق بها ، " و هذا بسبب عدم القدرة على التحكم في الدينامية الطبيعية للمجتمع الحضري، ذلك لأن البيئة الحضرية بطبيعتها توفر فضاء واسعا للحرية و التفاعل ، و تتميز بالتباين الشديد و المجهولية والميل نحو الفردية و النفعية في العلاقات الإجتماعية " [2]

إشكالية البحث

إذا كانت المدينة نموذجا للحياة الإجتماعية الإنسانية ، فإن المنتجات المعمارية هي واحدة من المنتجات الثقافية ، إن لم تكن أهمها على الإطلاق لأمة من الأمم ،فهي تعكس المستوى الثقافي و الإجتماعي والإقتصادي و التكنولوجي و العلمي و السياسي لمختلف الشعوب .

و قد شهدت المدينة صراعا حادا في المنتجات المعمارية، وتجسد هذا الصراع – خلال طرح قضايا التنمية و التطوير الحضري للمجال خاصة – في أغلب الأحيان في شكل فعل ورد فعل بين المخطط و المسير من جهة و المواطن من جهة ثانية ، حتى أنه من أهم أسباب ظاهرة اغتراب

---

[1] حميد خروف وبلقاسم سلاطنية و اسماعيل قيرة. الإشكالات النظرية و الواقع ، مجتمع المدينة نموذجا . منشورات جامعة منتوري . قسنطينة .1999 . ص 11.
[2] محمد بومخلوف . التحضر . مرجع سبق ذكره . ص 26 .

العمارة الجزائرية عدم استقرار النسيج العمراني، ورغم تطورها – العمارة- في الجزائر مازالت في دور النمو التغيير، إذ وباستمرار يلاحظ ظهور أحياء جديدة بسبب موجات الهجرة المستمرة وبقوة من الريف إلى المدينة مما أنتج ضغطا كبيرا على النسيج العمراني بل و تحطيمه، ذلك أن النزوح المنفلت ساهم في تعدد أصول و مشارب القادمين أي إلى ضعف التجانس الإجتماعي والإقتصادي للساكنين ضمن الحي الواحد مما أدى إلى تحطيم الفضاءات التقليدية وبروز التناقض في الأشكال العمرانية والمعمارية بين التقليدي والحديث والريفي، [1]ناهيك عن المظاهر الإجتماعية الأخرى خلال عملية تكيف المهاجرين مع البيئة الجديدة• .

إن كلمة إنتقال الفرد من الريف إلى المدينة تعبر عن حادث من حوادث الحياة اليومية شأنها شأن المواليد والوفيات في المجال الحضري حسب ما يعيشه كل واحد منا، أما بالنسبة للديمغرافي فإنه يستعمل نفس التعبير كلما اعتبرها حوادث بذاتها ، ولكن عندما يهدف المحتوى الديمغرافي المحض فإنه يستعمل اصطلاحات مبهمة كنسبة الوافدين والمغادرين ونسبة الولادات والوفيات للتعبيرعن الوفود والمغادرة و الولادة و الوفاة ، وكل هذا يبين الفرق الموجود بين الأشياء التي يشعر بها كل منا حسب احساسيته والظواهر التي هي موضوع الدراسة[2].

وإذا كان للإحصاء الديمغرافي وجهان مختلفان باختلاف الحاجة إلى معالجة قضية من قضايا السكان ، فإن الوجه الأول - حسب ألفريد صفي –صلب و يضم العمليات الرياضية ومختلف الحسابات الأخرى، فالديمغرافيا تعتبر السكان مجموعة من الأفراد الذين يقومون بإعادة إنتاج ذواتهم حسب قوانين معينة ،... أما الوجه الثاني فهو يتمثل في دراسة الأسباب الإقتصادية والإجتماعية وكذلك حصيلة العمليات الديمغرافية التي تحمل طابعا سوسيولوجيا. وإن مفهوم إعادة إنتاج السكان يمكن تفسيره بطريقتين: - ففي المعنى الضيق يعني عمليات الإنجاب و الوفاة وجل الظواهر الديمغرافيةالمرتبطة بها، أما التفسير العام فهو يفترض أن إعادة إنتاج السكان يتحقق في الحركة الطبيعية والحركة الإجتماعية أو النشاط المتعلق بالهجرات لحركةالسكان [3]. والإهتمام الذي توليه العلوم المختلفةلإعادة إنتاج السكان منبثق عن ما خلفه هذا الإنتاج غير المنتظم من ظواهر اجتماعية أخرى، تفاقمت وأصبحت إشكالات تطرح نفسها بقوة على طاولة تفكير المخططين والمسيرين للمجال

• تشهد المدينة بموجب انتقال المهاجرين إليها عملية تنطوي على ظاهرة اجتماعية جغرافية ، ينتقل السكان في ظلها من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وبعدانتقالهم يتكيفون بالتدريج مع طرق الحياة و أنماط المعيشة الموجودة في المدن ، وهنا يحدث تغيير اجتماعي و ثقافي ، حيث تدعم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية ، بينما العمليات إجتماعية التي تصاحب هذه العملية - التحضر - و تفرضها الحياة الإجتماعية الحضرية هي :

- الحراك الجغرافي للسكان
- التمركز السكاني في المدن.
- التكيف التدريجي للسكان مع شروط الحياة في المدينة .
- التحول في العلاقات الإجتماعية من العلاقات الأولية إلى العلاقات الثانوية .
- الإتجاه نحو الفردية .

[2] لويس هانري . الديموغرافيا تحليل ونماذج . تعريب جيلالي صياري . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1984 . ص 7 .

[3] بلمير بلحسن . الديمغرافيا منظومة من المعارف.مجلة العلوم الإنسانية. جامعة منتوري.عدد14 ديسمبر 2000 ص220 .

الحضري، ومن ضمن تلك الإشكالات والظواهر المستعصية مسألةالعمران الذي تعرض للتشويه أوولد مشوها- فالأمر سيان – وما ينجر عن هذا التشوه من صعوبات أعاقت السير الحضري العادي والطبيعي ،ذلك أن إنتاج السكان لأنفسهم بالشكل الطبيعي (عن طريق الإنجاب والوفاة ...) أو عن طريق الحركات السكانية (الهجرة والنزوح والحركة) إذا زاد عن حد استيعاب المجال له، امتدت يد هؤلاء السكان إلى تغيير المجال المنظم وفق عدد الكتل البشرية المتحركة داخل المجال، ووفق مختلف التصورات التي تحملها أذهان أصحابها، ووفق مستوى الدخل ، و في غياب التجانس الإقتصادي والمهني،وإذا حدث وأن غفلت عين المخطط و المسيرعن مجال ما و أعاد السكان إنتاج ذواتهم فيه فإن النسيج العمراني الناتج حتما سيتلائم مع ذلك الإختلاف في المستويات و المناهل و المشارب ، ذلك أن كل جماعة تحتل فراغا عمرانيا يضم بين أركانه فراغا اجتماعيا، ولايمكن فهم البناء الإجتماعي لتجمع عمراني ما إلا من خلال التطور المزدوج لتمايز واختلاف هذا التجمع عن غيره من التجمعات الأخرى ، من خلال خصائصه التي تميزه عن محيطه من جهة ، و البنيان الداخلي له و عناصره و مدى تماسك أو تفكك هذا البنيان من جهة أخرى، و يتلازم في التجمع العمراني التكوينان الفراغي و الإجتماعي ، و عندما تنفصل قيم أحد التكوينين أو تضمحل إحدى هاتين القيمتين تنعدم قيمة التجمع العمراني ككل و لا يعود تجمعا عمرانيا.

و هذا التطور العكسي هو انحلال التجمع العمراني الذي يوضح لنا عملية التطور المزدوج بالنسبة للذات و بالنسبة للمحيط لتكوين الجماعية ، و يجب هنا التمييز بين انحلال التكوين الفراغي و الذي هو انعدام التجمع العمراني و بين عملية التقسيم الداخلي ضمن التجمع العمراني إلى العناصر المختلفة لهذا التجمع ، فهذا التقسيم ليس من مظاهر الإنحلال بل مظهرا من مظاهر التنظيم الداخلي للجماعية ، وهو عماد البنيان و التماسك الداخلي لهذه الجماعية أي تنظيم الفراغ الإجتماعي ، حيث في التكوين الفراغي للجماعية نلاحظ دوما أن هناك تميزا بين العناصر المختلفة التي تتألف منها الجماعة .

و إزاء هذا يحاول هذا البحث مقاربة العلاقات التي يصنعها الإنسان مع الفضاء الذي يعيش فيه من خلال ممارساته و تعابيره المجسدة في عمرانه ضمن حي العالية الشمالية ، ذلك أن هذا الأخير ظل يحظى بسمعة لايحسد عليها نظرا لطبيعة نشأته الفوضوية الأولى ، ورغم أن قطاعه أصبح يضم ما يقرب ثلث سكان مدينة بسكرة و يستوعب أحسن الخدمات ،و يستحوذ على مختلف المرافق كالجامعة و المستشفى .

ولذا طرحت التساؤلات الموالية لمقاربة الواقع من خلال هذه الدراسةالتطبيقية ، ولتفسير التشوه العمراني بسبب التحول الديمغرافي : -

التساؤل الرئيسي : ما هي آثار التحول الديمغرافي في تشوه العمران بحي العالية الشمالية ؟

التساؤلات الفرعية : 1 – كيف أثر التحول الديمغرافي في تشويه التنظيم العمراني لحي العالية الشمالية ؟ .

2 – كيف أثر التحول الديمغرافي في تشويه مورفولوجية حي العالية الشمالية ؟ .

أهـــــداف الدراسة :

الأهداف هي النهاية التي تتحرك البحوث نحوها، أوتعمل لأجل الوصول إليها ، ويدور الخلاف حول الأهداف التي تنظم من أجلهاالدراسات الحضرية ، وهو خلاف نابع من اختلاف التخصصات التي تنظر إلى المدينة كظاهرة حضرية ، فهناك من يعالج المدينة كفراغ عمراني ينشأ ثم ينمو فيزيقيا متخذا أشكالا هندسية معينة ، وهناك من يتناولها كسلوك اجتماعي مديني يجسد سيكولوجية الفراغ الإجتماعي ، بينما يهدف هذا البحث إلى تفسير الفراغ الإجتماعي بمقاربة الحقائق من خلال الأرقام و الأشكال التي تضمنها الفراغ العمراني ، و ذلك بتشخيص الوضع الراهن ، حيث يعمد إلى تحليل العوامل و الظروف التي أحاطت بنشأة ظاهرة التشوه ، وتلك التي أسهمت في نموها و تطورها ، وكذا الآثار التي تشكلت بموجب هذه العوامل المتمثلة أساسا في التحول الديمغرافي و أهم هذه الأهداف مايلي :

- يهدف هذا البحث إلى مقاربة العلاقة التي يصنعها الإنسان في المكان من خلال تشخيص ظاهرة التشوه العمراني و الوقوف على كيفيته ووجودها بفعل التحول الديمغرافي.
- تتبع كيفية نشأة العمران المشوه .
- الوقوف على المجالات التي يصيبها العمران المشوه ، وكذا العوامل الأخرى المساعدة على ذلك .
- الوقوف على الإختلالات المرفولوجية التي تلحق بالنسيج العمراني جراء التحول الديمغرافي .
- الوقوف على أشكال التلازم بين التشوه على مستوى الفراغ العمراني والفراغ الإجتماعي .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في تكوين تصور سوسيولوجي ينطلق من فهم المجتمع المحلي بحي العالية الشمالية ، بالتعامل معه من خلال التفاعل الكلي بين الفراغ العمراني و الفراغ الإجتماعي ، و أهمية هذا التصور أنه يقي من مخاطر الإدانة و الحكم على على التجمع العمراني بإهمال الظروف و العوامل المؤثرة، و التركيز على محاكمة الأفراد و الأشخاص و المواقف و الإتجاهات ذات العلاقة طبقا لمقاييس هندسية أو اجتماعية يتبناها ، و لعل أسلوب التشخيص هو الذي يتفق مع وظيفة البحوث الإجتماعية و رسالتها الإنسانية، و نقطة القوة فيه أن التشخيص يقود إلى تحليل البيئات التي نشأ فيها التشوه ، ودراسة العوامل التي شكلت النسيج العمراني و الآثار التي نتجت عنه ، مما يهيئ لاقتراح الحلول و المعالجات اللازمة ،مع ترك الباب مفتوحا لتتبع هذه المعالجات بالتهيئة و التجديد و الترميم و الهدم وغيره من المعالجات الميدانية .

تقسيم فصـــول الدراسة :

تعتبر فصول الدراسة الأركان الأساسية التي ينبني عليها البحث في إيجاد صياغة مناسبة، و تحليل موضوعي و تفسيرمنطقي للمشكل المطروح ، بينما تقسيم هذه الفصول يعني رسم هيكل متكامل الجوانب ، إذ أن كل فصل تمثل عناوينه إحدى ملامح هذا الكل ، ففي مقدمة البحث تم تحديد موضوع الدراسة وأهميتها والأهداف المرجوة منها إضافة إلى تحديد التساؤل الرئيسي الذي تحاول الدراسة الإجابة عنه ، و كذا التساؤلين الفرعيين الذين يعتبران نصفين متكاملين للإجابة عن التساؤل الرئيسي الذي تم حصره و تحديده بعد طرح اللإشكالية .

تشكل الفصول الثلاثة الأولى الإطار النظري للدراسة ، حيث تتمحور كل العناوين الرئيسية منها والفرعية حول المتغيرين المستقل و التابع بصفة نظرية فقط ، إذ أن **الفصل الأول** يتناول التحول الديمغرافي في فلكه الكبير " الديمغرافيا " من خلال مفهومه و أشكاله و أسبابه و كذا بعض النظريات التي توعز وجوده إلى مسببات مختلفة كالظروف الإقتصادية و الطرائق و العادات المجتمعية للأمم ،و الظروف البيولوجية للأفراد .، ولعل أهم ما يركز عليه الفصل هو أشكال التحول الديمغرافي المتمثلة في الزيادة عن طريق النمو الطبيعي و الزيادة عن طريق الحركات السكانية من خلال الحركة و الهجرة و النزوح .

أما **الفصل الثاني** المعنون بالعمران ، فيتعرض للتشوه العمراني بعد تعريف العمران من وجهات نظر مختلفة ، مع تبيان أنواع العمران المتمثل في العمران المخطط و العمران غير المخطط و كيفية تموضع كل واحد منهما في المجال ، مع التركيز على العمران غير المخطط كونه عشوائي المنشأ و مشوه التقاسيم بشكليه التراكمي و متعدد النويات . و باستخدام المدخل

الأيكولوجي يتعرض الفصل للعمليات العمرانية التي بموجبها يعمر البشر المجال ، كما يتعرض لمختلف أنماط المساكن و كذا العوامل المساعدة على تعمير المجال و المتمثلة في تاريخ وجغرافية المكان والتصنيع والمواصلات .وفي الأخير يتعرض الفصل للمرفولوجيا العمرانية من خلال أبعادها الثلاثة المساهمة في تشكيلها ، و هي البعد الأفقي (خطة المجال العمراني) و البعد العمودي(أنماط البناء) و البعد التركيبي (استخدام الأرض ووظيفة المباني) .

بينما يعالج **الفصل الثاني** علاقة التحول الديمغرافي بالعمران ، وكيفية بروز ظاهرة التشوه العمراني بفعل الديمغرافيا ، مستخدما في نظريات السكان و العمران ممثلة في النظريات و النماذج الديمغرافية و كذا نظريات الإمتداد الفيزيقي للمدينة حسب خطط مدن الحلقات المتعاقبة و القطاعات و النويات المتعددة . كما يبرز الفصل آثار التشوه ممثلة في النمو العمراني التلقائي و التركز العمراني على هامش المدن و الإختلال المرفولوجي - على مستوى أبعاده الثلاثة – و في علاقة الفراغ العمراني بالفراغ الإجتماعي و بلوغ مستوى التشوه إلى اهتزاز الضبط الإجتماعي .

أما **الفصل الرابع** فيسرد وقائع معالجة الإشكال من خلال منهجية الدراسة التي تفتتح ذلك بالتعريف بمجال الدراسة " حي العالية الشمالية " ،و كذا عينة الدراسة المتمثلة في مجتمع الدراسة و العينة في حد ذاتها من خلال حجمها ووحدتها ، و كذا الخصائص الشخصية والإجتماعية لأفرادها. كما يتعرض لمنهج البحث المتمثل في المنهج الوصفي بمساعدة بعض من خطوات المنهج التاريخي ومنهاج تحليل المحتوى، إلى جانب الأدوات المستخدمة في جمع البيانات و المتمثلة في الملاحظة و المقابلة والإستمارة مع التعرض لكيفية تصميم الإستمارة و مختلف إجراءات توزيعها .

أما الجانب الميداني فيتناوله الفصلان **الخامس و السادس** إذ يتعرض الأول للتشوه الذي لحق بالنظيم العمراني من خلال الإنجاز التلقائي للعمران – مع تتبع آليات التحول الديمغرافي في حي العالية الشمالية – و خصائص التنظيم العمراني مع أدوات هذا التنظيم العمراني وكذا الأسباب المساعدة في هذه التلقائية العمرانية . أما التركز العمراني على هامش المدينة فيتعرض له الفصل من خلال المؤشرات الكمية و الكيفية البادية ، مع ذكر خلفيات هذا التركز العمراني المتمثل أساسا في مخططات التعمير و كذا التغير الحضري و النظرية الأيكولوجية في حي العالية الشمالية .

أما **الفصل السادس** فيعالج التشوه العمراني الذي لحق بمرفولوجية الحي في أبعاده الثلاثة حيث يتحدث عن تعدد أشكال الإمتداد الفيزيقي كمظهر من مظاهر التشوه ، و أنماط البناء ، حيث يسرد المواصفات المعمارية للمساكن و يركز أكثر على معدل إشغال المسكن و درجة التزاحم في

المسكن مع توزيع الأسر داخل المساكن ، إلى جانب البعد التركيبي الذي تعرض فيه لكيفية استخدام الأرض في الحي . هذا و قد ناقش الفصل أيضا علاقة المرفولوجيا العمرانية بالمرفولوجيا الإجتماعية من خلال التعرض لخصائص السكان و الخصائص الإجتماعية للمساكن و الخصائص الإجتماعية للتنظيم العمراني ، و نتيجة هذا الإرتباط الوثيق الذي أنتج مجالا عمرانيا يشكل جيبا قرويا داخل مدينة بسكرة .

الـفـصل الأول

التحول الديمغرافي

1 . 1-الديمغرافيا (علم السكان).

1 . 2-مفهوم التحول الديمغرافي.

1 . 3-أشكال التحول الديمغرافي.

1 . 1.3-النمو الطبيعي.

1 . 2.3- الحركة السكانية .

1 . 4-تركيب السكان.

1 . 1.4-التركيب النوعي.

1 . 2.4-التركيب العمري.

1 . 3.4-التركيب الريفي الحضري.

1 . 5-الظواهر السكانية وأنواعها.

1 . 1.5-حجم السكان.

1 . 2.5-توزيع السكان.

1 . 3.5-الكثافة السكانية.

1 . 4.5-نمو السكان.

1 . 6-تصنيف نظرية علم الاجتماع للسكان.

1 . 1.6-النظريات الطبيعية.

1 . 2.6-النظريات الاجتماعية.

1 . 3.6-النظريات التي حاولت إبراز أهمية العوامل البيولوجية.

1 . 4.6-النظريات التي حاولت إبراز أهمية العوامل الاقتصادية.

1 . 5.6-النظريات التي حاولت تفسير نمو السكان في ضوء عوامل ثقافية اجتماعية.

1 . 6.6-نظرية توماس روبرت مالتوس.

السكان هم البشر المكونون للمجتمع، والصانعون لصيرورته من خلال إنتاجهم وعملهم وتعاونهم، وصراعهم واحباطاتهم وتطلعاتهم، والسكان كما يعرفهم قاموس أكسفورد: "وضع المجتمع بالنسبة لعدد الناس، ودرجة أو كثافة السكان بالنسبة للمكان، أو المجموع الكلي للناس الذين يقطنون

منطقة معينة"، وفي العلوم الاجتماعية يعرف السكان دائما في ضوء الإقامة أو المنطقة المحلية التي يشغلونها، وينظر إليهم كجماعة من الناس لديها خصائص مشتركة: بيولوجية، وقانونية، واجتماعية، واقتصادية، وتستخدم الدراسات الإحصائية مصطلح السكان للإشارة إلى التجمعات التي يمكن أن نسحب منها عينات تصلح للدراسة والبحث[1]. وقد اختلفت مجموعات العلوم الاجتماعية في اهتماماتها بدراسة الظواهر السكانية وتمايزت فيما بينها وانقسمت إلى فئتين من الدراسات، بحيث اشتملت الفئة الأولى على اهتمام علم الإحصاء بدراسة الظواهر السكانية والذي عرف بين المشتغلين بهذا النوع من الدراسة باسم الديمغرافيا، واشتملت الفئة الثانية على اهتمام علوم اجتماعية أخرى مثل الجغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع وغيرها، والتي أطلق عليها المشتغلون بدراسة الظواهر السكانية اسم الدراسات السكانية[2].

1 . 1-الديمغرافيا (علم السكان):

1 . 1 . 1 - لمحة عامة :

حسب قاموس عاطف غيث:

- تهتم الديمغرافيا بالسكان من حيث الحجم، وما يطرأ عليه من تغيير، وأسلوب حدوث هذا التغير، سواء عن طريق زيادة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة، كذلك يدرس هذا العلم تقسيم السكان إلى جماعات فرعية عديدة، عن طريق الجنس والعمل، المركز الزواجي، وما يحدث في هذه البناءات من تغيرات، أما المناهج المستخدمة فهي غالبا ما تكون إحصائية كمية، ويستعين هذا العلم بأساليب فنية متخصصة لمعالجة البيانات السكانية، يضاف إلى ذلك أن الديمغرافيا قد ينظر إليها بوصفها دراسة الحركات السكانية بعيدة المدى، والتحليل النظري لها.

ولقد كان جيلار Guillard هو أول من استخدم المصطلح عام 1855، وعرفه بأنه "التاريخ الطبيعي والاجتماعي للأنواع الإنسانية، وهو بالمعنى الضيق الدراسة الرياضية للسكان، من حيث تحركاتهم العامة، وأحوالهم الفيزيقية، والحضارية، والفكرية والأخلاقية".

وحديثا جدا ظهر التعريف الآتي:" دراسة السكان باستخدام الطرق الإحصائية، مع الاهتمام بالبحث في مسائل مثل: تعداد السكان، والمواليد والوفيات، وقياس الخصوبة ومعدلات الزواج ويشمل مجال هذه الدراسة أحيانا على عوامل كمية وأخرى كيفية" وحدد (فانون) هذا العلم بأنه "الدراسة العلمية للسكان، وبخاصة من حيث الحجم والبناء والنمو".

- وبالإضافة إلى دراسة حجم السكان، وتركيبهم وتوزيعهم، ونماذج التغير التي تحدث لكل هذه الجوانب، فهناك نظرة ضيقة جدا لعلم السكان، تعتبره بمثابة دراسة للإحصائيات الحيوية

---

[1] عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. ص338.

[2] علي عبد الرزاق جلبي، علم اجتماع السكان ط2. دار المعرفة الجامعية، مصر 1998.ص ص 62.61.

(معدلات المواليد والوفيات والإحصاءات المرتبطة بها)، وحينما تحلل هذه الإحصاءات وتفسر، فإن الديمغرافيا تتطور إلى ديمغرافيا اجتماعية أو دراسات للسكان، وتركيبهم وتوزيعهم، بمنظور أوسع يشتمل على متغيرات أكثر من الخصوبة، والوفاة، والعمر، والجنس، مثل الزواج والطلاق وحجم الأسرة، والسلالة والتعليم، والأمية، والبطالبة، وتوزيع الثروة، وتوزيع المهن، ومعدلات الجريمة، وكثافة السكان والهجرة، هذا وينظر بعض دارسي الديمغرافيا إلى هذا العلم على أنه يشتمل على موضوعات يعالجها علم الاجتماع، وعلم الحياة والاقتصاد، في الوقت الذي ينظر إليه علماء الاجتماع على أنه فرع من علم الاجتماع، كما أن معظم علماء الديمغرافيا هم علماء اجتماع متخصصون.

- ويرى البعض أن ظهور الديمغرافيا كعلم يرجع إلى عام 1662 حينما حاول جون جرانت في مؤلفه:"ملاحظات طبيعية وسياسية على قوائم الوفيات" صياغة تعليمات تتعلق بالسكان، وذلك حين أوضح أن نسب الوفيات ترجع إلى أسباب معينة ودائمة، وحاول دراسة الوفيات عن طريق وضع "جدول للحياة" يتتبع فيه جماعة من الأطفال منذ ولادتهم في وقت واحد حتى وفاتهم، وكان بذلك أول من حاول التحقق من وجود انتظامات إحصائية تتعلق بالوجود البشري، وقد تابع الإحصائيون الطبيون في القرن السابع والثامن عشر أعمال جون جرانت فاهتموا بدراسة الصحة، والمرض، والموت، فهالي Hally مثلا: استطاع في أواخر القرن السابع عشر أن يكشف عن المبادئ الكامنة وراء بناء جداول الوفيات.

ولقد أدت التطورات التي تمت في إجراءات التعداد والإحصاءات الحيوية في أوربا في القرن التاسع عشر إلى تحسن ملحوظ في طبيعة البيانات الأساسية المناسبة لعلماء السكان، وإلى تغيرات البناء السكاني ومعدلات الإنجاب، وقد استخدم أ.ج.لوتكا Lotka الطرق الرياضية في هذا الصدد، ويوجد الآن فرع كامل يعرف بالديمغرافيا الصورية أو التحليل الديمغرافي تدرس فيه العلاقات الكمية للظواهر الديمغرافية مجردة عن ارتباطاتها بظواهر أخرى.

- ويهتم علماء الديمغرافيا، في المجتمعات التي تخضع فيها الخصوبة لضبط إنساني رشيد، اهتماما بالغا بالعوامل الاقتصادية، والاجتماعية والسيكولوجية التي تؤثر في الخصوبة الفردية، وهذا يعني أن علماء السكان يهتمون بالضبط الاجتماعي للإنجاب، كما يهتمون بدراسة نماذج الزواج، كما يهتم هؤلاء العلماء بعلوم اجتماعية أخرى كعلم الاجتماع، والاقتصاد، وعلم النفس الاجتماعي، وقد تزايد الاهتمام في الوقت الحاضر بدراسة اتجاهات، ودوافع تنشئة ورعاية الأطفال لتفسير تباين معدلات الخصوبة في المجتمعات المختلفة، أو في المجتمع الواحد في مراحل مختلفة، أو في المجتمع الواحد في مرحل مختلفة، وهناك مجال آخر للديمغرافيا يهتم بالتنبؤ بتحركات السكان في المستقبل، ويستخدم في هذا المجال أساليب إحصائية متنوعة.

وللديمغرافيا أشكال وأنواع هي:

2 .1.1 - فروع الديمغرافيا:

* - **الديمغرافيا الصورية:**

تحليل إحصائيات السكان، وما يطرأ عليها من ذبذبات في ضوء مبادئ رياضية، وذلك بهدف تحديد قوانين العلاقات الكمية الضرورية، التي يمكن تطبيقها على أية دراسة سكانية، أو على دراسات سكانية أجريت من قبل.

* - **الديمغرافيا الكبرى:**

فرع من علم السكان يهتم بدراسة أعداد كبرى من الناس، أو بخصائص السكان، أو اتجاهات المناطق الكبرى، أو دراسة المجتمعات الكبرى أو المجتمعات المحلية، أو الوحدات السياسية بما فيها الأقاليم العالمية، والأمم، والقبائل، والدول، والمدن، ومن أجل ذلك، تعتبر دراسة العوامل التي تؤثر في معدل المواليد ومعدل الوفيات عند شعب معين أو دراسة نماذج الهجرة، موضع اهتمام الديمغرافيا الكبرى، أي أن معظم الدراسات الديمغرافية تندرج تحت الديمغرافيا الكبرى.

* - **الديمغرافيا الصغرى:**

فرع من الديمغرافيا يهتم بدراسة الأفراد والجماعات الصغيرة، والجوار. ولهذا يوجه اهتمامه إلى دراسة السلوك الفردي أكثر من الاهتمام باتجاهات الجماهير، ومثال ذلك أن الديمغرافيا الصغرى تقوم بدراسة الاتجاهات ونماذج السلوك التي تحدد الأمر، والممارسات الصحية التي تتبعها، والهجرة فيها.

* - **الدراسات السكانية:**

يشير هذا المصطلح عادة إلى علم السكان، إلا أن بعض المؤلفين ممن يقصرون استخدام مصطلح "علم السكان" "Demography" على دراسة الإحصائيات الحيوية، يستخدمونه للإشارة إلى دراسة العلاقات المتبادلة بين التركيب السكاني وتوزيع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، ولهذا تكون الدراسات السكانية مرادفة لمصطلح "الديمغرافية الاجتماعية" أو "علم السكان الاجتماعي".

1 . 2-مفهوم التحول الديمغرافي:

تشير هذه العملية إلى وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايدا غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، وغالبا ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية[1].

وفي سياق حديثه عن النمو الحضري أكد السيد الحسيني بأنه يرتبط عموما بزيادة السكان بوجه عام، وأنه إلى غاية منتصف القرن 17 لم يكن عدد السكان في العالم يزيد بأكثر من 0.4 % سنويا، وبقدوم القرن 18 تضاعف عدد السكان في العالم مرة واحدة، ويصف بعض الدارسين هذه التغيرات السكانية بأنها تعبير عن "تحول ديمغرافي" أو "ثورة ديمغرافية" ولقد طرأت زيادة سكانية مفاجئة خلال النصف الأخير من القرن 18، ولم يكن مصدر هذه الزيادة ارتفاع معدلات المواليد فقط، بل أيضا انخفاض معدلات الوفيات. وفضلا عن ذلك استمرت هذه الزيادة السكانية في الارتفاع خلال القرنين 19 و20، وهو ما دفع ببعض الباحثين إلى استخدام مصطلح "التحول الديمغرافي" للإشارة إلى الانتقال من مرحلة ارتفاع معدلات المواليد (التي كان يقابلها، ارتفاع معدلات الوفيات) إلى مرحلة انخفاض معدلات الوفيات وصولا إلى مرحلة انخفاض معدلات المواليد التي تنتهي بتحقيق نوع من التوازن النسبي بين نسب الميلاد ونسب الوفاة، ويمكن تفسير انخفاض معدلات الوفيات في ضوء التطورات التكنولوجية التي طرأت في مجال الزراعة[2].

وقد وضع وب (Webb) رسما بيانيا ديكارتيا متناظرا لتعيين العناصر الطبيعية وعناصر الهجرة في التحول السكاني

والتي يمكن استخلاص ثمانية أنواع من التحول منها:

أ /زيادة: الزيادة الطبيعية تزيد عن صافي الهجرة الخارجية.

ب/زيادة: الزيادة الطبيعية تزيد عن صافي الهجرة الداخلية.

ج/زيادة: صافي الهجرة الداخلية يزيد عن الزيادة الطبيعية.

د/زيادة: صافي الهجرة الداخلية يزيد عن التناقص الطبيعي.

هـ/تناقص: التناقص الطبيعي يزيد عن صافي الهجرة الداخلية.

و/تناقص: التناقص الطبيعي يزيد عن صافي الهجرة الخارجية.

ي/تناقص: صافي الهجرة الخارجية يزيد عن التناقص الطبيعي.

ن/تناقص: صافي الهجرة الخارجية يزيد مع الزيادة الطبيعية[3].

---

[1] محمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. 1989. ص230.
[2] السيد الحسيني. المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. ط3. دار المعارف 1985. ص 32.
[3] جون كلارك. جغرافية السكان. ترجمة: محمد شوقي وابراهيم مكي. دار المريخ. الرياض. 1984. ص 246.

1 . 3 - أشكال التحول الديمغرافي:

1 . 1.3 - النمو الطبيعي:

1 . 1.1.3 - المواليد والوفيات:

المواليد والوفيات هي أهم العوامل التي تؤثر في مستقبل السكان في أي قطر من الأقطار ما لم تتدخل عوامل خارجية كالهجرة أو الوفود، ولذلك كانت مسؤولة عن الزيادة الطبيعية، بينما كانت الهجرة والوفود مسؤولة عن الزيادة غير الطبيعية، وحالة المواليد والوفيات تتأثر بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الإقليم، بل وتتأثر بوجهة نظر الناس أنفسهم في الحياة، والأقطار الفتية تمتاز بزيادة المواليد بينما الأقطار الهرمة تقل فيها نسبة المواليد.

كما أن النمو الاقتصادي في دول أوربا قد استدعى زيادة السكان، حيث كانت فرنسا أول دول أوربا في نسبة السكان في القرن 17 ثم فقدت مركزها في القرن 18، ولم تستطيع الحروب النابليونية أن تعيد إليها مركزها القديم، وهكذا تناقص السكان الفرنسيون بالنسبة لبقية سكان أوربا، فبعد أن كان سكانها 20% من سكان أوربا عام 1650 أصبح الفرنسيون لا يكونون إلا 18% من سكان القارة في القرن التالي [1].

وهكذا فإن المواليد تعتبر من أهم مكونات النمو السكاني، فهي تفوق الوفيات والهجرة في الظروف العادية [2]، ولما كانت المواليد تعمل على الزيادة في عدد السكان فإن ظاهرة الوفاة تعمل على تناقصهم، ولهذا فإن الزيادة في عدد الطبيعية للسكان تتوقف على الفرق بينهما على اعتبار أن الدولة مغلقة تجاه الهجرة الدولية. أما على نطاق الوحدات الإدارية فإن لحركة السكان الداخلية دور كبير على تغير السكان إذا كانت الحدود الإدارية ثابتة.

ومن المقاييس المستعملة لمعرفة مستوى الوفاة في المجتمعات السكانية ما يسمى معدل الوفيات الخام [3].

1 . 2.1.3 - الزيادة الطبيعية:

الزيادة الطبيعية للسكان تعبر عن الفرق بين المواليد والوفيات، كما تتصل كذلك بمسألة الزواج والطلاق، فهناك أقطار تشجع التبكير في الزواج، كما أن هناك أقطار ترتفع فيها نسبة الطلاق وإعادة

---

[1] محمد السيد غلاب. البيئة و المجتمع . ط7 بدون دار نشر. 1997 . ص 228.
[2] مريبعي السعيد. التغيرات السكانية في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر . 1984 . ص 129.
[3] مريبعي السعيد. المرجع السابق. ص 142.

الزواج، وهنا تزداد نسبة المواليد، بينما التأخير في الزواج والاقتصار على الزواج مرة واحدة يؤدي إلى قلة المواليد[1].

1 . 3.1.3- حركة السكان الطبيعية:

يتأثر عدد السكان بعدة عوامل ديمغرافية كالولادات والوفيات أي أن يتغير من فترة زمنية إلى أخرى وهذا التغير يسمى "بحركة السكان".

ومن أهم المؤشرات التي تصف هذه الحركة هي الولادات والوفيات،والزيادة الطبيعية للسكان (الفرق بين الولادات والوفيات خلال العام) بالإضافة إلى مؤشرات الزواج والطلاق.

ويمكن حساب هذه المؤشرات بقيم مطلقة أو نسبية وغالبا ما تحسب بقيم نسبية، وذلك بنسبتها إلى عدد السكان الإجمالي، فنقول أن نسبة الولادات في بلد معين هي 30 في كل 1000 نسمة وأن الزيادة الطبيعية للسكان في بلد آخر هي 12 في كل 1000 نسمة.

وأهم المؤشرات النسبية التي تصف حركة السكان الطبيعية، معامل الولادة، معامل الوفاة، معامل الزيادة الطبيعية ومعامل حوادث الزواج ومعمل حوادث الطلاق.

أ/<u>معامل الولادة:</u>

(معمو) ويحسب بتقسيم عدد المواليد خلال العام (مو) على عدد السكان الوسطي (س) خلال العام نفسه وضرب الناتج ب 1000 أي:

معمو = (مو/س)*1000.

ب/<u>معامل الوفاة:</u>

(معف) ويحسب بتقسيم عدد الوفيات خلال العام (ف) على عدد السكان الوسطي (س) خلال العام نفسه وضرب الناتج ب 1000 أي:

معف= (ف/س) *1000.

ج/<u>معامل الزيادة الطبيعية:</u>

(معز) ويحسب بتقسيم الفرق بين الوفيات والولادات خلال العام على عدد السكان الوسطي (س) خلال العام نفسه وضرب الناتج ب 1000 أي:

معز= [(مو-ف)/س] *1000.

أو: معز= معمو –معف.

د/<u>معامل الزواج:</u>

ويحسب بنسبة عدد حالات الزواج إلى وسطي عدد السكان في عام معين.

---

1 محمد السيد غلاب. مرجع سبق ذكره .ص 223.

هـ/معامل الطلاق:

ويحسب بنسبة عدد حالات الطلاق إلى وسطي عدد السكان في عام معين.

ولوصف العلاقة بين الولادات والوفيات يحسب في إحصاء السكان مؤشر يسمى (درجة الفتوة)، ويحسب هذا المؤشر بنسبة عدد الولادات إلى عدد الوفيات في عام معين.

إن جميع المؤشرات السابقة تحسب لعام واحد أو لفترة زمنية أطول شرط أن تكون المعطيات في صورة ومخرج النسبة تتعلق بالفترة الزمنية نفسها كما يمكن حساب هذه المؤشرات على مستوى البلد أو على مستوى المناطق الجغرافية أو القطاعات أو غيرها من التصنيفات.

وأهم المؤشرات المتفرعة عن مؤشر الولادات هو مؤشر "الخصوبة" الذي يحسب بنسبة عدد الولادات خلال عام إلى وسطي عدد النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 15-49 سنة .

أما المؤشرات المتفرعة عن مؤشر الوفيات فإن أهمها هو "معامل وفيات الأطفال" لأن وفيات الأطفال تتمتع بأهمية كبيرة في الدراسات الديمغرافية والاجتماعية لمجتمع من المجتمعات، ويصف هذا المؤشر مستوى وفيات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن العام الواحد، فهو يحدد عدد الأطفال المتوفين قبل بلوغهم عاما واحدا من بين جميع الولادات التي حدثت في عام معين، ويحسب هذا المؤشر أيضا كمؤشر نسبي نسبته إلى 1000 شخص.

وبما أن عددا من وفيات الأطفال الذين لم يتموا العام الواحد لا يحدث في العام الذي ولدوا فيه وإنما في العام التالي، فإن معامل وفيات الأطفال ($مع_{ف.ط}$) يحسب كما يلي:

$مع_{ف.ط}$= [(ف-ط)/(3/2 $مو_1$ +3/1 مو)] حيث:

(ف-ط): عدد الأطفال المتوفين خلال العام قبل بلوغهم عاما واحدا.

$مو_1$: عدد الولادات في العام الحالي.

مو: عدد الولادات في العام الماضي.

ويمكن حساب هذا المؤشر الأخير على مستوى المناطق الجغرافية أو القطاعات الاقتصادية بغية استخدامه في عمليات المقارنة.

وعند دراسة مؤشرات الوفاة والزيادة الطبيعية للسكان إحصائيا لابد من التعرض إلى ما يسمى "بجدول الوفاة" التي تصف تغير السكان في بلد من البلدان بين عمر معين وآخر، بدء من العام "01" وحتى أكبر عمر يعيشه أي من هؤلاء السكان حيث ترتب الأعمار بشكل تسلسلي (1).

---

[1] عز الدين جوني. الإحصاء الاقتصادي. OPU.19.22 الجزائر 1983. ص ص.

1 . 2.3 - الحركات السكانية:

إن حركة السكان ودرجة النمو يمكن تناولها من جانبين. جانب النمو والزيادة أو الركود (الثبات) أو النقصان (التغير) من خلال عاملي المواليد والوفيات أو من جانب التنقل من مقر الإقامة إلى مقر جديد، وهو ما يسمى بالهجرة وما ينتج عنها من زيادة ونقصان في عدد سكان مناطق الجذب والطرد، وانتقال السكان من منطقة لأخرى مظاهر متعددة تختلف باختلاف مسافة الانتقال ومدة البقاء، ويتضمن هذا الانتقال الحركة من مكان الإقامة إلى مكان العمل والعودة أو الزيارات والسفرات، ويصف الديمغرافيون الحركة السكانية بأنها: "ظاهرة ذات أوجه نشاط متعددة، فقد تكون هذه الحركة بمسافة قليلة، كما قد تكون كيلومترات كثيرة، حيث تتجاوز الأيام والسنين، وتسمى الحركة التي تتضمن الاستقرار الدائم في مكان الوصول عدة الهجرة لكونه تغير مكان الإقامة الاعتيادي".

إن مكانا جديدا ومختلفا هو أحد العناصر الأساسية للهجرة، يخرج من هذا المفهوم الحركات المحلية كالانتقال من طابق لآخر في نفس البناية أو من منزل لآخر في نفس المدينة، إذ هي شكل من أشكال الحركة السكانية غير أنها ليست بهجرة.

لقد استعمل في هذا التعريف مصطلح "مكان" للدلالة على نقطة الاستقرار المجالي، وهو مصطلح قد لا يشير إلى المعنى الواسع والكامل والواضح وقد يصبح أكثر وضوحا عند استبداله بمصطلح "محلي" والذي يذهب إلى أبعد من التغير في وحدة المسكن فقط إلى التغيير في المحيط أيضا مع إدخال عامل المسافة، وذلك بتحديد مسافة معينة كحد أدنى لاعتبار الحركة هجرة، ويمكن تحديدها مع أساس تقسيمات إدارية كالبلدية، الدائرة والولاية كما هو الحال في الجزائر أو المقاطعات في بلدان أخرى، وما سبق يمكن تعريف الهجرة حسب:

علي عبد الرزاق جلبي: الهجرة هي عملية انتقال أو تحول أو تغير لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا الإقامة فيها إلى منطقة أخرى، أو من منطقة لأخرى داخل حدود بلد واحد، أو من منطقة لأخرى خارج حدود هذا البلد.

رياض إبراهيم السعدي: الهجرة هي تغير عمل إقامة من منطقة سجل مدني إلى أخرى، وحجم الهجرة يزداد أو ينقص وفق عدد الوحدات الإدارية المقسم إليه القطر (بلدية، دائرة، ولاية، ناحية، مقاطعة) وكلما تعددت التقسيمات بوحدات صغيرة في القطر الواحد، كلما اعتبرت نسبة كبيرة من حركة السكان على أنها هجرة، وتقل كلما قلت الوحدات الإدارية الكبيرة، ويمكن إدراج بعض الحركات السكانية المكانية تحت مفهوم الهجرة كحركة.

- البدو الذين ليس لهم محل ثابت للإقامة الدائمة.
- الحركات الفصلية مثل حركة الريفيين إلى مناطق مختلفة قصد العمل إما للحصاد صيفا أو جني التمور خريفا، أو جني الزيتون والبرتقال وغيرها وهي حركات فصلية وموسمية.
- حركة الرعاة صيفا وشتاء، شمالا وجنوبا خاصة بين مناطق الهضاب العليا والمناطق السهبية.

تعريف **إيفرت لي** Everrette Lee : الهجرة هي التغير الدائم أو شبه الدائم بمكان الإقامة بغض النظر عن المسافة المقطوعة، وهذا تعريف عام لا يميز بين هجرة حرة أو إجبارية أو داخلية أو دولية.

محمد الزعبي: يرى أن مفهوم الهجرة من المفاهيم التي يصعب تحديدها إلا بمقارنته بنقيضه، ونقيض الهجرة هو الإقامة وحركة البدو لا يمكن اعتبارها هجرة لأنهاحركة دائمة ومستمرة، إذ لا بد للمهاجر أن يعيش حالة استقرار أصلا في مكان محدد أي:

- يكون له مسكن ثابت.
- مصدر عيش ثابت.
- توفير وضع قانوني وإداري ثابت (سجل الحالة المدنية).
- شعور بالارتباط والانتماء إلى المكان وإلى الجماعة المستقرة في هذا المكان أي أن الإقامة كنقيض الهجرة ماهية إلا حالة اقتصادية، اجتماعية، نفسية وقانونية في آن واحد، والهجرة هي اختلال هذا المربع في بعض جوانبه أو كله، وتجعل عوامل الطرد أقوى بكثير من عوامل الجذب، أي البقاء، وبالتالي يلجأ المهاجر إلى إصلاح الاختلال من خلال محاولة إيجاد في المقر الجديد ما افتقده في المقر الأصلي.

تصنيف الحركة السكانية حسب المكان:

تأخذ الحركة السكانية المكانية شكلين مختلفين:

* - **الهجرة**: انتقال السكان من دولة لأخرى بغية العمل والاستقرار، وقد تكون إجبارية بسب الفقر المدقع أو ضغوط عسكرية أو سياسية، دائمة أو مؤقتة، وقد تكون اختيارية بسب البحث عن حياة أفضل من الحياة المعاشة في دولة الأصل.

- - **النزوح**: حركة السكان وانتقالهم من منطقة لأخرى، أي الحركة لا تتعدى حدود الدولة بشكل دائم أو مؤقت أو يومي.

1 . 4- تركيب السكان:

يطلق مصطلح التكوين العمري والنوعي للسكان على الأسلوب الذي يتوزع به أعداد السكان على فئات عمرية ونوعية متباينة. إن أفراد أي مجتمع ليسوا مجرد عدد وإنما هم أفراد يختلفون فيما بينهم من حيث النوع إلى ذكور وإناث ومن حيث العمر إلى أطفال وشيوخ [(1)].

ويعتبر التركيب النوعي والعمري من أهم العوامل التي لها علاقة بالظواهر الديمغرافية والاقتصادية من مجتمع لآخر كتفوق نسبة الشباب عن باقي الفئات العمرية، وهذا يساعد على توفر القوى العاملة اللازمة للعمل، وأيضا هذه الفئة العمرية تتميز عن غيرها بارتفاع نسبة المواليد، وكذلك فئتي الأطفال والشيوخ تعتبر فئات مستهلكة

[1] عبد المنعم عبد الحي. علم السكان (الأسس النظرية والأبعاد الاجتماعية). المكتب الجامعي الحديث. القاهرة.1985 ص 92.

وغير منتجة، وترتفع فيها نسبة الوفيات، كما أن التركيب البني للسكان يكشف أن الزيادة والتناقص قد تشمل النساء أو الرجال كل حسب كثير من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وفي هذا الصدد يكشف البروفسور "جون كلارك" في كتابه "جغرافية السكان" أن التناقص السريع لوفيات الإناث المتأخرة بمسببات بيئية ترجع إلى حد كبير لعوامل بيولوجية، وبهذا يتضح أن الجنس الألطف هو أيضا الجنس الأقوى، والدلالة على الضعف النسبي للذكور هو ارتفاع وفيات الرضع الذكور مما ينقص تفوقهم العددي المبدئي، وفي معظم الأقطار المتقدمة تزيد نسبة وفيات الذكور عموما على وفيات الإناث خلال فترة الحياة، وهكذا نلاحظ رجحان كفة النساء بين المجموعات العمرية الكبيرة، ومن جهة أخرى نجد في بعض الأقطار الآسيوية والإفريقية والأمريكية اللاتنية ارتفاع وفيات الأمهات وأحيانا إهمال الإناث مما ينتج عنه زيادة وفيات الإناث البالغات الصغار على الذكور، وهذا ما يسبب الزيادة العامة للذكور[1].

يعتبر تكوين السكان من أهم التغيرات في الدراسة السكانية لأنه يغطي كل الخصائص التي يمكن قيامها بالنسبة للأفراد الذين يكونون سكان مجتمع معين. فسكان أي منطقة ليسوا مجرد عدده بل هم مجموع الذكور والإناث ومختلف أفراده في فئات السن المتباينة، ومن مهن وحرف وثقافة أو مستويات تعليمية وزواجية وريفية وحضرية متعددة ومختلفة.

وبشكل عام فإن أهمية التكوين السكاني تكمن في النتائج الاجتماعية المرتبة على كيفيته، فمثلا إذا أوضحت الإحصاءات أن سكان بلد ما ترتفع معدلاتهم في فئة العمر "أقل من 15 سنة" فهذا يؤكد أن هذا المعدل من السكان يعتمد على غيره في مستلزمات معيشته وحاجياته، كما أنه إذا أوضحت الإحصاءات أن نسبة النساء اللواتي تقع أعمارهن بين (20-45 سنة) دل ذلك على أن المجتمع قابل للزيادة الطبيعية لأنه يحوي قوى في سن الخصوبة والزواج وهذا له إثارة الاجتماعية التي تلحق ببناء المجتمع [2].

1 . 4 . 1 التركيب العمري:

تتباين فئات السن من مجتمع لآخر، ويكون لهذا التباين أثر على نمو السكان، فالمجتمع الفتي والذي تفوق فيه نسبة الشباب يدل قوة السكان الإنتاجية وكذلك الفعالية الاقتصادية، والتركيب العمري يساعد على التعرف على مستقبل نمو السكان، علما أن الهيكل الفتي يدل على وجود إمكانية كبيرة للإنجاب وذلك استنادا إلى عدد النساء اللواتي يدخلن في سن الإنجاب أكبر من عدد اللائي يبلغن سن اليأس ويقسم السكان إلى أربع فئات عمرية وهي:

- السكان أقل من 15 سنة.
- السكان من 15 إلى 45 سنة.
- السكان من 45 إلى 65 سنة.
- السكان أكثر من 65 سنة.

---

[1] جون كلارك. مرجع سبق ذكره، ص 75.
[2] عبد الباسط عبد المعطي وآخرون .السكان والمج، ص 16.

وهكذا تكون الفئتان الثانية والثالثة هما الفئتان النشطتان في المجتمع، بينهما الفئتان الأولى والرابعة واللتان تتكونان من فئة صغار السن والمسنين فتعتمدان في معاشها على الفئتين الثانية والثالثة باعتبارهما الفئتان العاملتين والقادرتين على الإنتاج.

1. 4 .2 - التركيب النوعي :

ترجع أهمية التركيب النوعي للسكان إلى كون الفرد ذكرا أو أنثى ، باعتبار النوع يحدد أدوار الفرد الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها في حياته، وقد تختلف نسبة الذكور عن نسبة الإناث من مجتمع لآخر وقد تتساوى النسبة، وقد تزيد نسبة الذكور عن الإناث والعكس (1)، ويعتبر التركيب النوعي من أكثر المقاييس استعمالا لمعرفة التوازن بين السكان، وهو ما يسمى بنسبة النوع، ويتم حسابها بقسمة عدد الرجال على عدد النساء وضرب ناتج القسمة في 100 وأحيانا تقاس بقسمة عدد النساء على عدد الرجال أي:

نسبة النوع: (عدد الرجال /عدد النساء)* 100

أو

نسبة النوع: (عدد النساء/عدد الرجال)* 100[2].

وهذا المقياس يسمح بعقد المقارنات المباشرة بين التكوينات النوعية للمجموعات السكانية المراد دراستها.

1 . 4 . 3 - التركيب الريفي والحضري:

إن مصطلح التحضر يعني حركة السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية وما يتبع ذلك من تزايد نسبة السكان المقيمين في الأماكن الحضرية عن نسبة الذين يقيمون في المناطق الريفية[3].

بينما يستخدم مصطلح "الريفي" في مقابل مصطلح "الحضري" سواء بصورة واضحة أو ضمنية، ويشكل المصطلحات ثنائية في التصفيات الديمغرافية وفي التعدادات الإحصائية والسكانية، والخط الفاصل بين المناطق الريفية والحضرية يختلف باختلاف المجتمعات، وقد ظهر توزيع السكان حسب الريف والحضر سنة 1886 واكن تعريف سكان الحضر ظهر سنة 1926 وهو غير دقيق إذ يميز بين سكان الحضر والريف على أساس إداري[4].

1 . 5 - الظواهر السكانية وأنواعها:

ينظر الكثير من المفكرين إلى السكان كجسم بشري ينمو ويتحرك ويطرأ عليه التغير من حين لآخر، كما ينظر إليه آخرون بأنه عنصر في البناء الاجتماعي، وأن هذا العنصر يمتاز بالشباب والاستقرار نسبيا ويتغير كأي

---

[1] دريد فطيمة . النمو الديمغرافي وسياسة تنظيم النسل في الجزائر (دراسة ميدانية لولاية باتنة). رسالة ماجستير في علم اجتماع التنمية قسنطينة. ص 14.
[2] مريبعي السعيد. مرجع سبق ذكره. ص 32 .
[3] محمد عاطف غيث. قاموس علم الإجتماع دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . 1989. ص 499.
[4] مريبعي السعيد. مرجع سبق ذكره . ص 38.

عنصر بنائي آخر،ومن هنا جاء حصر المفكرين لمجموع الظواهر المتعلقة بالسكان كعنصر بنائي، وعدد آخر من الظواهر تترتب على تغير السكان، وهذه الظواهر هي:

1 . 5 . 1 - حجم السكان:

المقصود بحجم السكان هو عدد الأفراد في مكان معين وفي وقت محدد، دون الاقتصار على دراسة حجم السكان في معرفة كم فرد يعيشون في مكان ما أو على مساحة من الأرض محددة جغرافيا أو سياسيا في وقت محدد، بل يتعدى ذلك إلى معرفة عدد السكان على نفس المكان في فترة زمنية مغايرة ومقارنة الرقمين في زمنين مختلفين، للوقوف على أسباب الزيادة أو النقصان في الحجم والتنبؤ مستقبلا بالعدد الجديد.

ويتم الوقوف على حجم السكان عن طريق العدد أو الإحصاء في مساحة صغيرة أو كبيرة، وتكون العملية أسهل بالنسبة للأماكن التي تحوي عددا قليلا من السكان، وقد ابتكرت مع مرور الزمن طريقة الإحصاءات السكانية والتي تتم كل 10 سنوات، هذا إلى جانب التسجيلات الحيوية لحالات المواليد والوفيات والزواج والطلاق وغيرها [(1)]. ولقد اختلفت تعريفات التسجيل الحيوي، حيث تذهب بعضها إلى أن المقصود بتسجيل الأحداث الحيوية هي الأحداث التي تقع خلال سنة ميلادية عموما، وهي عملية تتم عن طريق مشروعات التسجيل المصممة يقيد جميع هذه الأحداث من مواليد ووفيات وهجرة وحالات الزواج والطلاق وقت حدوثها، ويختلف التسجيل الحيوي عن التعداد في أن الأول تسجيل للأحداث والثاني تسجيل للأشخاص، وعملية التسجيل الحيوي عملية إجبارية ومجالها أضيق من مجال التعداد، وتعتبر عملا مكتبيا موزعا على العام بطوله، وهو من السهولة بمكان إلى الحد الذي اعتبر عملا روتينيا [(2)].

1 . 5 . 2- توزيع السكان:

يعتبر متغير توزيع السكان عنصرا هاما ككل العناصر الأخرى المكونة لظواهر السكانية، ويكون شكل توزيع السكان على مساحة الأرض واقعا ماديا محضا في مظهره، ينتج عن المكان الماثل أمامنا وعن الظروف المحلية، ويعيد الجماعة الاجتماعية إنتاج أشكال الطبيعة المادية : مجمع سكاني في جزيرة معينة، منتظمة حول بحيرة، ومنتشرة في واد، وإن تجمعا مدنيا يشبه كتلة مادية تتمحور عناصرها حول نظرة مركزية وذات محيط واضح تقريبا[3].ويتدرج توزيع السكان بين المنطقة الكبيرة مثل القارة والمنطقة الكبيرة مثل القارة والمنطقة الصغيرة مثل القرية والريف، وقد يتم تقسيم السكان حسب درجة التحضر والتصنيع إلى:سكان المناطق الحضرية المتقدمة الصناعية، سكان المناطق الصناعية الحضرية الجديدة، وسكان المناطق الصناعية السابقة على مرحلة الحضرية، وقد يقسم السكان داخليا إلى السكان الذين يعيشون في المناطق المحلية الريفية التي تعتمد على المزارع، والسكان الذين يعيشون في المناطق الريفية التي لا تعتمد على المزارع، والسكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية أو

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي .مرجع سبق ذكره . ص ص 23-24

[2] عبد الباسط عبد المعطي و آخرون . مرجع سبق ذكره . ص 20.

[3] موريس هاليواك. المورفولوجيا الاجتماعية. منشورات عويدات . بيروت ، باريس . 1986 . ص25.

الضواحي، ويهتم عالم السكان بدراسة توزيع السكان في هذه المناطق وتتم هذه الدراسة وفقا للمتغيرات المتعلقة ببناء السكان وكذا بيان الصلة بين هذه المتغيرات.

ومن المعروف أن السكان في منطقة محددة قد يوزعون أنفسهم من خلال عمليتين متمايزتين:

الأولى: حركة نحو التمركز المركزي وتعرف في علم الاجتماع بأنها العملية الإطرادية التي يتحرك السكان بموجبها مع مصادر الثروة نحو مركز مفضل وينشئون بعد ذلك علاقات تجعل من المكان الجديد منطقة عامرة بالحيوية والنشاط.

والثانية: حركة تعرف باسم الانتشار نحو الخارج وهي عملية يتحرك على أساسها السكان بمصادر الثروة نحو منطقة غير مأهولة، أي يقيمون فيها عمرا جديدا ثم ينشئون علاقات وثيقة بمركز الأصل.

1 . 5 . 3 - الكثافة السكانية:

هي الحجم النسبي للسكان بالإضافة إلى المساحة التي يشغلونها، وغالبا ما يشار إلى كثافة السكان في ضوء من يقضون وحدة أرضية معينة [1]، وتقاس الكثافة السكانية من خلال قسمة عدد السكان على مساحة الأرض،ويعبر عنها بمجموع عدد الأشخاص في الهكتار الواحد في الكيلومتر مربع أو الميل المربع [2]، والحقيقة إن مناطق جبلية قليلة السكان، وأرضها غير قابلة للزراعة كثيرا، ترتبط مع مناطق أخرى توجد فيها تجمعات صناعية كثيرة، وكثافة سكانية عالية، ولحساب الكثافة الوسطية فيجب اختيار مناطق أكثر تحديدا ومتجانسة نسبيا وتمكن الكثافة السكانية الدارسين من قياس درجة القرب ليس فقط بين كائنات عضوية من الناحية الايديولوجية وحدها بل بين أناس يعيشون في مجتمع. والواقع أن أفكار الناس ومشاعرهم وتصرفاتهم تتغير تبعا لكثافة وتكاثر العلاقات بينهم، وفي هذه الحال فإن القرب بين الناس يقدم دليلا على كثافة المجتمع، وتؤدي هذه الكثافة إلى وقائع نفسية خاصة، ولعل درجة القرب بين الناس تؤثر أيضا في حالات الولادة والوفاة والزواج، ولذلك فإن مجموع الوقائع الديمغرافية ترتبط مع كثافة السكان ارتباط السبب بالنتيجة والنتيجة بالسبب [3].

ولذلك اتفق الكثير من علماء الاجتماع الحضريين على الكثافة السكانية كمحل للتمييز بين المجتمع الريفي والحضري، ولعل أبرز هؤلاء العلماء: سوروكين، زيمرمان، ردفيلد، لويس ويرث. باعتبار أن الكثافة السكانية تنخفض انخفاظا كبيرا في المجتمع الريفي عنها في المجتمع الحضري، ويعتبر هذا العامل من أهم عوامل التميز بين الريف والحضر، وتؤدي إليه بالدرجة الأولى متطلبات العمل الزراعي وظروفه الخاصة.

1 . 5 . 4 - نمو السكان:

---

[1] محمد عاطف غيث. قاموس علم الإجتماع . مرجع سبق ذكره .ص 127.
[2] علي عبد الرزاق جبلي. مرجع سبق ذكره. ص ص 26.25.
[3] موريس هالبواك . مرجع سبق ذكره . ص ص 88.87.

هو اختلاف حجم السكان في هذا المجتمع عبر الفترات الزمنية المتباينة ويرتبط مفهوم النمو في السكان بمفهومي تضخم السكان وأزمة السكان، وكلها مفاهيم لا تنفص ل عن قارة حركة السكان وتغيرها، ذلك لأنه طالما كان السكان كتلة من البشر لا تعيش في حالة استاتيكية دائمة، وإنما تتميز بالحركة والتغير، فإننا قد نلاحظ أن السكان في حركتهم وتغيرهم إنما قد يسيروا في اتجاه النمو نتيجة الزيادة في أعدادهم بفعل العوامل المختلفة مثل المواليد والهجرة، وإما أن يسيروا في اتجاه عدم النمو نتيجة للنقصان في أعدادهم بفعل عوامل أخرى مثل الوفيات والهجرة أو غيرها، فإن هذه الزيادة أو النقصان في أعداد السكان وحجمهم تسمى تغيرا أو نموا أو حركة، وقد يكون النمو أو التغير في صورة هائلة أو ضخمة مما قد يترتب عليه تضخم السكان، الأمر الذي قد يستنتج بدوره أنواعا من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية في المج مما يجعل البعض ينظرون إلى النمو السكاني على أنه أزمة سكانية أو انفجار سكاني.

1 . 6 - تصنيف نظرية علم الاجتماع للسكان:

يذهب بعض العلماء أن الدراسات السكانية قد وصلت بالقعل إلى مرحلة العلم بعد أن جمعت الحقائق ووضعت الفروض، وحاولت أن تنظمها في صورة نظرية، بل أن بعض المشتغلين بالسكان قد توصلوا بالفعل إلى قوانين سكانية[1] إذ ظهرت ثلاثة أنماط من النظريات هي:

- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد تفسيرا اجماليا.
- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد مع الأخذ في الاعتبار التمايز الطبقي.
- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد مع الأخذ في الاعتبار الصراعات الطبقية الموجودة في المجتمع[2].

ويرى البعض الآخر من العلماء أن الدراسات السكانية في الوقت الحاضر تفتقر إلى النظرية، بينما تتميز بوفرة النتائج الجزئية بفضل الجهود المتتابعة التي أجريت في ميدانها لجمع هذه النتائج دون الاهتمام بصياغتها في بناء منسق من المعرفة يفسر على أساسه سلوك السكان، ويرجعون هذا النقص إلى التقدم الذي أحرزته الدراسات

---

[1] علي عبد الارزاق جلبي . مرجع سبق ذكره . ص .
[2] عبد الباسط عبد المعطي و آخرون . مرجع سبق ذكره . ص ص.

السكانية في ميدان البحوث الأمبريقية وإلى انشغالها بتطوير مناهج متمايزة لجمع البيانات وتحليلها، من ناحية، وإلى ما يتميز به موضوع الدراسة السكانية وانتمائه إلى عدد من العلوم المتداخلة من ناحية أخرى (1).

والنظرية السكانية عموما هي عبارة عن مجموعة من القضايا المترابطة التي تقوم على أساس الملاحظة والتجريب، وتقدم تفسيرا لظاهرة ما من الظواهر السكانية، أو تنبوا بعلاقات يمكن ملاحظتها والتحقيق منها، والواقع أن كتابات المشتغلين في هذا الميدان لا تكون بناء متماسكا موحدا أو نظرية منسقة بقدر ما تمثل مجموعة متباينة ومتعددة من الأفكار والقضايا النظرية، إذ يفتقر ميدان علم الاجتماع في الوقت الحاضر إلى إطار مرجعي واحد يجمع بين مختلف القضايا الامبريقية والاستقرائية حول المتغيرات السكانية والاجتماعية والتي يمكن أن تطلق عليها نظرية ديمغرافية اجتماعية، وهذا لا يعني عدم توفر القضايا اللازمة لذلك، بقدر ما يدل على أن هذه القضايا لم يتم تجميعها معا في إطار منظم واحد أو في صورة نسق نظري (2).

وقد انطوت نظرية علم الاجتماع إزاء السكان على محاولات عديدة ومتباينة، حيث فسرت حركة السكان في كل مرة في ضوء عامل من العوامل، وصنفت النظريات الآتية :

1 . 6 . 1 - النظريات الطبيعية :

يذهب أنصار هذه النظرية أن المتحكم في نمو السكان هو طبيعة الإنسان نفسه وطبيعة العالم الذي يعيش فيه، وأن سيطرة الإنسان في هذا النمو هي سيطرة محدودة، وقد حاولوا إيجاد قانون لنمو السكان يتمكنون من خلاله معرفة ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل، لكن القوانين التي توصلوا إليها تؤكد عدم تدخل الإنسان والقيم الإنسانية والاتجاهات في هذا النمو (3). وفي هذا الصدد عرض سبنسر قضايا النظرية السكانية ضمن كتابه (مبادئ البيولوجيا) عام 1901 حيث يعتقد أن:

- الغذاء الجيد يزيد من القدرة على التناسل، لأن الحياة عند كثير من المخلوقات تبدأ في وقت من العام يكون فيه الدفء كبيرا والمؤونة الغذائية متوفرة والتي تسهل بدورها حياة الفرد مما يؤدي إلى تزايد السكان.
- أن هناك تعارضا بين التناسل والنضوج الذاتي (4) لأن طبيعة الإنسان قد حققت الغاية عن طريق إضعاف اهتمام بالتناسل في حين تؤدي به إلى تخصيص المزيد من الجهد والوقت للتنمية الشخصية والعلمية والاقتصادية، كان يعتقد أن هناك تناقصا طبيعيا في القدرة على التكاثر أي في القدرة على الإنجاب وبخاصة في النساء لأن اهتمام الفرد بنفسه أو النمو الشخصي يستدعي المزيد من الوقت والطاقة، وهذا النقص في القدرة على الإنجاب تضمن زيادة أبطأ في عدد السكان لأن التطور الاجتماعي مصحوب حتما بازدياد الاتجاه الفردي (5).

وبرغم تسليم سبنسر بأثر الغذاء على القدرة على التناسل، والتعارض بين التناسل والنضوج الذاتي وحرضه على بناء فروضه على شواهد من الواقع، إلا أنه أغفل شواهد أخرى منها أن الخصوبة المتناقصة لا ترجع إلى تغيرات فزيولوجية في بناء الإنسان بقدر ما ترجع إلى الرغبة والاختيار في تحديد حجم الأسرة وضبط النسل، إلى

[1] علي عبد الرزاق جبلي. مرجع سبق ذكره . ص .
[2] عبد الباسط عبد المعطي و آخرون . مرجع سبق ذكره . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.
[3] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.
[4] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.
[55] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.

جانب عوامل اجتماعية أخرى لنيل المرأة قسطا من التعليم تتجاوز خلاله أهم فترات خصوبتها والتـي تتميـز بهـا المرحلة العمرية من (20 – 30 سنة) [1].

1 . 6 . 2 - النظريات الاجتماعية:

تقوم هذه النظريات على أساس أخر وهو أن نمو السكان ليس موضوعا لأي قانون طبيعي ثابت، وإنما نتيجة للظروف الاجتماعية التي يجد الناس فيها أنفسهم، وهذا النمو يخضع لعدد كبير من العوامل المختلفة حسـب أنـواع البيئات الاجتماعية المختلفة التي يعيش فيها الناس، وفي هذا الصدد يبرز الكسندر كارسوندرز من خـلال مؤلفـه " سكان العالم " حيث تتلخص قضاياه النظرية فيما يلي :

- السكان في أي مجتمع إما أن يكونوا قلة، أو كثرة وعند حد أمثل، ويمكن التفريق بين عدد من الكثافـات هي: الكثافة الفيزيقية والكثافة الإحصائية والكثافة الاقتصادية، وذلك أن مفهوم الكثافة مفهوم نسبي باعتبار الكثـرة والقلة مسائل نسبية أيضا. وأن هناك علاقة بين حجم السكان وبين موارد الثروة في المجتمع من أرض زراعيـة – يمكن استغلالها أو ثروة معدنية – يمكن استخراجها أو غيرها من موارد لازمة للإنتاج، ويحكم كارسوندرز علـى عدد السكان بأنه قليل إذا كان لا يساعد على قيام المشروعات التي تستغل هذه المـوارد ويعجـز عـن أن يـوفر المنتجات التي يحتاجاها هذا العدد ولا يزيد القدرة الإنتاجية للفرد، ويكون هذا العدد كثيفا إذا كانت هذه الزيادة فـي عدده تؤدي إلى تناقص الإنتاج المستخرج من موارده.

ويوصف المجتمع بأنه قد وصل إلى حجم أمثل إذا كان في حالة وسط بين القلة والكثرة وبلغ إنتاجه أقصاه مـع عدم الزيادة في عدده [2].

ويستخلص كارسوندرز مقياسا يمكن من خلاله معرفة القلة أو الكثرة أو المثلى في المجتمع ويتمثل هذا المقياس في مستوى دخل الفرد، إذا أخذ متوسط دخل الفرد في الزيادة فهذا يعني أن عدد السكان عند حد القلة، وكان مستقرا فإن السكان في حالة الحد الأمثل، أما إذا هبط متوسط الدخل فإن عدد السكان عند حد متزايد.

لكن تركيز كارسوندرز على متوسط الدخل كعامل في نمو السكان يجعله لا يدرج أثر عوامل أخرى كعوامـل: التنظيم الاجتماعي والمستوى الثقافي والتكنولوجي والصحي والفني وغيرها.

وفي نفس السياق من النظريات الاجتماعية أعار عالم الاجتماع كنجزلي ديفز K. Davis موضـوع السـكان جانبا كبيرا من اهتماماته حيث عرض قضاياه النظرية في مقال عنوانه: " نظرية التغير والاسـتجابة فـي التـاريخ الديمغرافي الحديث " حيث تضمن ما يلي :

- يرفض ديفز النظريات التي تحاول تغيير التغير الاجتماعي بالرجوع إلى عامـل واحـد فقـط كالعامـل الاقتصادي مثلا، ويرى بأنه لفهم التطورات التي يمر بها المجتمع يجب النظر إليه على أنه يميل دائما إلى التـوازن الاجتماعي، وهذا التوازن يتعرض عادة إلى ضغوط وتوترات قد تنبع من داخل المجتمع أو خارجه وقد تهدم هـذه الضغوط التوازن بالكامل، هذا بالرغم من وجود قوى اجتماعية تعمل دائما على إعادة التوازن للمجتمع.

---

[1] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.
[2] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.

وهذا التوازن في المجتمع ليس توازنا بين عدد السكان والموارد المتاحة – كما اعتقد مالتوس – ولكنه توازن بين عدد السكان ومتطلبات البناء الاجتماعي للمحافظة عليه بتحقيق الأهداف الدينية والتربوية والفنية والترفيهية والسياسية التي يرمي إليها المجتمع.

وإذا اختل التوازن نتيجة لزيادة متطلبات البناء الاجتماعي أو لزيادة السكان أو للاثنين معا يميل السكان إلى التكيف مع هذه الظروف من خلال استجابة معينة أو " المتغيرات الوسيطية " كتأجيل الزواج، أو الالتجاء إلى الإجهاض أو تنظيم النسل

1 . 6 .3 - النظريات التي حاولت إبراز أهمية العوامل البيولوجية:

تذهب هذه النظريات إلى أن انخفاض الخصوبة الذي حدث في الدول المتقدمة يرجع بصفة أساسية إلى انخفاض القدرة الفزيولوجية أو البيولوجية على الإنجاب، واختلف أصحاب هذا الاتجاه حول العوامل المؤثرة في هذه القدرة، إذ يرى "سالدر" بأن ارتفاع الكثافة السكانية يؤدي بطريقة آلية إلى انخفاض القدرة على الإنجاب، ويرى "سبنسر" إلى أن تعقيد الحياة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي يتطلب من الإنسان أن يبذل جهودا إضافية للمحافظة على حياته الذاتية، وأن ذلك يؤدي إلى خفض قدرته على التوالد (1).

بينما يرى كورادوجيني أن العامل الرئيسي في نمو السكان هو التغير البيولوجي أكثر منه تغيير اجتماعي أو اقتصادي، وكان يرى أن المعدلات المختلفة للزيادة في فئات الشعب المختلطة تؤدي بسرعة كبيرة جدا إلى التغيرات في الصفات البيولوجية للشعب بأكمله. وقد أظهرت هذه الإحصائيات أن نسبة صغيرة نسبيا من جيل واحد تولد أغلبية السكان في الجيل التالي، وقد وصف عملية نمو الشعوب بأنها الارتفاع والهبوط الدوريات للسكان (2). بينما يرى "جوزوي دي كاسترو" ويؤكد أن للعوامل البيولوجية الأثر المباشر على ظاهرة الخصوبة في حين أن العوامل الاجتماعية لها أثر غير المباشر، والعوامل البيولوجية تتمثل في أشكال الجوع خاصة النقص في البروتينات وفي بعض الفيتامينات، يرى أن تلك العوامل تؤثر على مستوى الخصوبة، فإذا ما كان علماء السكان قد لاحظوا منذ زمن طويل أن الفقر يقترن بكثرة الإنجاب، فإنهم لم يهتدوا إلى السبب الحقيقي لذلك، والسبب – في نظر كاسترو – هو أن الفقر وما يرتبط به من نقص في التغذية يؤدي من خلال التأثير على بعض العمليات الفيزيولوجية إلى زيادة النسل، كما أن الجوع الذي ليس هو إلا عدم إشباع غريزة الأكل، يؤثر من الناحية النفسية على الإنجاب، إذ يؤدي إلى تعويض هذا الإحباط عن طريق الإفراط في الغريزة الجنسية، ولذا فالجوع هو السبب غي زيادة التناسل في الطبقات الفقيرة، ويشير كاسترو إلى أن انتشار ظاهرة الجوع في الطبقات الفقيرة ولا سيما في الدول النامية، يرجع إلى الاستغلال الإمبريالي لكل من الإنسان والأرض، فسوء توزيع الموارد الغذائية، سواء على المستوى المحلي أو العالمي، هو المسؤول عن انتشار ظاهرة الجوع، وبالتالي إلى التضخم السكاني، وبالتالي على التضخم السكاني، وبالتالي على التضخم السكاني الرهيب الذي تشهده الدول النامية وسوء استغلال الأرض وعدم الاهتمام بالإنتاج الغذائي، هما أيضا مسؤولان عن انتشار ظاهرة الجوع (3).

1 . 6 . 4 – النظريات التي حاولت إبراز أهمية العوامل الاقتصادية:

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي. مرجع سبق ذكره . ص 85.

[2] عبد الباسط عبد المعطي و آخرون .. ص ص . 49 . 96 . بتصرف.

[3] نفس المرجع السابق . ص ص 65-66.

يرجع التفسير الاقتصادي للظواهر السكانية إلى عهد قديم، إذ اعتقد المفكرون التقليديون أن الظروف الاقتصادية هي التي تحدد معدلات الزواج والإنجاب [1]، وكان " آدم سميث " من بين ممثلي هذا الاتجاه، حيث حاول تفسير العوامل الاقتصادية إلى مستوى المجتمع ككل، فهو يرى أنه حيث توجد زيادة في عدد السكان وقلة في فرص العمل، فإن الأحوال الاقتصادية والمادية ستحول دون إقبال الأفراد على الزواج والإنجاب، أما إذا توافرت فرص العمل بكثرة تفوق الارتفاع في الكثافة السكانية، فإن أجور الأفراد ترتفع، وتتحسن تبعا لذلك حالتهم الاقتصادية، فيقدمون على الزواج والإنجاب إلى أن تعود الحالة السكانية إلى التوازن، وبهذا يكون آدم سميث قد افترض وجود علاقة بسيطة بين الطلب على العمل والسكان أو بين العوامل الديمغرافية والعوامل الاقتصادية بينما تؤثر العوامل الاقتصادية مباشرة في السكان، أي أن العوامل الديمغرافية هي العوامل التابعة، لكن نظرية آدم سميث عجزت عن تفسير التطورات السكانية التي حدثت في الدول الأوربية في القرن التاسع عشر، حيث ارتبط التقدم الاقتصادي بهبوط معدل المواليد، وهو عكس ما قال به سميث، وربما يرجع ذلك إلى أنه لم يأخذ في الاعتبار تمايز السلوك الديمغرافي للطبقات المختلفة المكونة للمجتمع.

1 . 6 . 5 - النظريات التي حاولت تفسير نمو السكان في ضوء عوامل ثقافية اجتماعية :

للعوامل الثقافية و القيم الدينية دور في نمو السكان ، و يبدو ذلك واضحافي البلدان الإسلامية ، ففي الوقت الذي تسن فيه الدول المتقدمة قوانينا تشجع على تنظيم النسل ، تتسامح القوى الثقافية السائدة في المجتمع الياباني مع عملية الإجهاض ، غير أن بعض الباحثين يرون أن الإجهاض هو الوسيلة الأولىالتي يلجأ إليها السكان للحد من حجم الأسرة ، في المراحل الأولى من الضغط السكاني ، و قبل أن تنتشر في المجتمع وسائل منع الحمل ، أما عندما تنتشر وسائل تنظيم النسل في المجتمع يتحول الإجهاض إلى وسيلة إضافية تستخدم فقط في حالة فشل وسائل منع الحمل .

بينما في البلدان الإسلامية يختلف الأمر ، حيث تحرم الشريعة الإسلامية الإجهاض مصداقا لقوله تعالى : " ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق " وتبيح طرقا أخرى لتنظيم النسل ، وهذا حفاظا على صحة الأم و صحة الأطفال الذين تمكنهم هذه الطريقة من الإحاطة بالرعاية و العطف الضروريين لنموهم المنسجم . ... و يعتبر الإسلام مصدر استلهام أيجابي حيث لم يمنع التحكم بأي شكل من الأشكال التحكم في النمو الديمغرافي الذي تنبثق منه الأسرة التي يدعو إلىتحقيقها منسجمة و موحدة .[2]

1 . 6 .6 – نظرية توماس روبرت مالتوس:

---

[1] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.

[2] حزب جبهة التحرير الوطني . النمو الديمغرافي في الجزائر . نشر و توزيع قطاع الإعلام و التنشيط .

من أوائل النظريات التي عالجت مسألة النمو البشري للسكان نظرية مالتوس، والمحور الرئيسي الذي تـدور حوله النظرية هو العلاقة بين السكان والموارد بصفة عامة، حيث – وحسب رأيه – هناك خطورة في زيادة السكان وخاصة أن هذه الزيادة تسير بمعدل هندسي (1، 2، 4، 8، 16، 32،......) بينما تزيد الموارد الغذائية بمعـدل حسابي (1، 2، 3، 4، 5،......) فإذا تضاعف عدد السكان في 25 سنة، فإن الموارد الغذائية لا تزيد بنفس النسـبة بل أقل، وهذا يدعو الناس إلى التنافس على الطعام، والصراع والحرب، ولا بد أن يقل نصيب الفرد من هذا الطعـام فتسوء الصحة العامة، وتفشى الأمراض، أو يشح الطعام فتنتشر المجاعات، وعلى هذا فقلة الطعام بالنسبة للسـكان تؤدي إلى الحرب والمجاعة والمرض، وهذه العوامل هي العوامل الطبيعية التي تحد من تزايد السكان [1].

وكانت مقومات نظرية مالتوس كما يلي:

- إن قدرة الإنسان على التناسل وفعاليتها تعمل على زيادة عدد السكان.
- إن عدد السكان يتضاعف في كل جيل أو في كل 25 عاما إذا لم يعوقهم عائق قوي.
- إن قدرة الأرض – أو مصادر الطبيعة عموما – على إنتاج ما يتطلبه البقاء الإنساني مـن غـذاء قـدرة محدودة وتخضع لقانون الغلة المتناقصة.

ويتلخص قانون الغلة المتناقصة في أن لكل مساحة من الأرض الزراعية حدا يبلغ عنده الإنتاج الحد الأقصى بالنسبة لما يستخدم فيها من العمل ورأس المال، بحيث لو زيد مقدار المستخدم منها عن هذا الحد، لأخذ الإنتاج الذي تغله الأرض في التناقص التدريجي (بالفرق بين الزيادة في تكاليف الأيدي العاملة والإنتاج).

لتجنب المصير القائم ينصح مالتوس باتباع نوعين من الموانع للحد من الزيادة السكانية، الأول أخلاقي، يتمثل في العفة والرهبنة والزهد أو تأخير سن الزواج، والثاني موانع قسرية تفرضها الطبيعة، مثل العمل في المهن غيـر الصحية والفقر والأمراض والأوبئة والقحط والمجاعات والحروب، وإليها يرجع الفضل في الموازنـة بـين أعـداد السكان وبين موارد العيش المحدود في العالم.

وقد لقيت نظرية مالتوس انتقادا كبيرا من طرف العلماء والمفكرين الذين تعقبوا الثغرات التي احتوتهـا هـذه النظرية، إذ كشف اتجاه الأيكولوجيا البشرية أن الإنسان كان يستعين في حفظ التوازن بين الزيادة في نمو السـكان ووسائل العيش، في كل مجتمع عبر مراحل تاريخ البشرية بتطور بيئته التكنولوجية والتنظيمية، وأن الثورات التـي أحدثها الإنسان عبر هذه المراحل قد ترتب عليها زيادة ملحوظة في إنتاج الغذاء وهذا معناه أن إنتاج الغذاء لم يكـن يقل عن الزيادة في نمو السكان على خلاف ما يتوقع مالتوس، وحين اعتقد مالتوس أن نمو السكان يتم وفق متواليـة هندسية أغفل كشف اتجاه التنمية الاجتماعية الذي كشف في دراسته للعلاقات بين نمو السكان والمواليد والوفيـات، وأوضح أثر ظروف التنمية الاجتماعية في المجتمع على انخفاض معدل المواليد والخصوبة في المجتمع، خاصة في تغير مكانة المرأة في المجتمع، والتوسع في تعليمها، وإتاحة الفرصة أمامها للعمل ومشاركتها للرجل فـي القضـايا العامة، هذا فضلا عن أثر التوسع في استخدام موانع الحمل [2].

---

[11] نفس المرجع السابق . ص ص . 49 . 96 . بتصرف.

[2] علي عبد الرزاق جبلي، مرجع سبق ذكره . ص ص 9 –61.

خلاصة الفصل الأول :

إن التحول الديمغرافي هو التغير الذي يطرأ على مجتمع من المجتمعات لأسباب أو لأخرى ، و يعتبر موضوعا هاما و حساسا في الدراسات السكانية ، لأن وجوده يعود إلى خلفيات اجتماعية و تغيرات على مستوى حركة أو استقرار السكان ، وبه يقاس مدى ثبات أو حركة المجتمع .

إن الظواهر السكانية التي تعمل على حركة السكان، من مواليد ووفيات، وفئات السن التي ينقسم إليها السكان، والهجرة سواء بالنزوح أو الخروج أو الوفود كلها تتم في إطارات اجتماعية، بل هي صلب المجتمع في حركته وحيويته، إن المجتمع الإنساني لا يستسلم للطبيعة في تنظيم حركته الطبيعية ولا ينجب ويتناسل وفق غريزة الإنجاب والتناسل بل أنه ينظم زواجه وعلاقاته العائلية، إن المجتمع يحافظ على استمراره قدر ما يستطيع عن طريق التطور التكنولوجي والعرف والعادات والتقاليد وكذا وفقا للظروف المختلفة البيئية والبشرية والاجتماعية بشكل عام.

الـفـصــل الـثـانـي

العمــــران

2 . 1 - مفهوم العمران.

2 . 2 - التشوه العمراني.

2 . 3 - أنواع العمران.

2 . 3 . 1 - العمران المخطط.

2 . 3 . 2 - العمران العشوائي.

2 . 4 - العمليات العمرانية.

2 . 5 - أنماط المساكن.

2 . 6 - عوامل تعمير المجال.

2 . 6 . 1 - جغرافية المجال العمراني.

2 . 6 . 2 - تاريخ المجال العمراني.

2 . 6 . 3 - التصنيع في المجال العمراني.

2 .6 . 4 - المواصلات وشبكة الطرق.

2 . 7 - المرفولوجيا العمرانية.

2 . 7 . 1 - أبعاد المرفولوجيا العمرانية.

2 . 7 . 2 - المرفولوجيا الاجتماعية وعلاقتها بمرفولوجيا العمران.

تمهيد:

دراسة مظاهر الاستقرار البشري اهتمام حديث في علم الاجتماع الحضري، إذ يرجع عهده إلى مطلع القرن العشرين، وقد عنيت به المدرسة الفرنسية التي قام كثير من أفرادها بدراسة مفصلة لمدن متناثرة في

أنحاء فرنسا، وعنيت به المدرسة الإنجليزية التي وسعت نطاق بحثها، فشملت القرى كما شملت المدن وأطلقت على هذا النوع من الدراسة إسم دراسة العمران أو الاستقرار البشري، ومن أهم أهداف هذه الدراسة هو الربط بين مظاهر السطح والخصائص الفيزيوغرافية للمكان، وبين اختيار مواقع القرى والبلدان والمدن لأغراض معينة، أي ملائمة الغرض الذي قامت من اجله المحلة مع مقومات البيئة الطبيعية، ثم اتسع منهج البحث فشمل النواحي الاجتماعية والعمرانية للبلدان والمدن، ويظهر هذا الازدواج في البحث في كتاب لويس ممفورد عن ثقافات المدن The cultures of cities .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وانقشعت معاركها عن المدن أصابها الهدم والتخريب، اتجهت أبحاث المشتغلين بالعمران المدني في القارة الأوربية، إلى وضع أسس عمرانهم الجديد على قواعد سليمة من الاستجابة لمطالب السكان والملائمة بينها وبين البيئة الطبيعية وما يرجونه للبيئة الاجتماعية من اتجاهات سليمة وصحيحة، ولذلك وضع فرع جديد من الدراسة أطلق عليه تخطيط المدن، ونتيجة الاهتمام بهذا الفرع جعلت له معاهد خاصة تدرس قواعد الجغرافية المحلية وما تحتاج إليه البلدة أو المدينة من مصادر طبيعية كتوفير الماء واختيار البقعة الصحية التي يتوفر فيها مواد البناء من البيئة المحلية وربط المحلة بطرق الموصلات مع جارتها، كما يدرس الطلبة مبادئ علم الاجتماع، وكثافة السكان ديمغرافيتهم وعدد السكان المناسب للوحدة المدنية، وما يحتاج إليه المجتمع من مرافق عامة واجتماعية، مثل المدراس والمستشفيات والنوادي وقاعات الاجتماع ودور السينما والملاهي، ودراسة علاقة البلدة أو المدينة بالإقليم الذي تقع فيه، وبغيرها من البلدان والمدن، كما يدرس الطلبة أيضا مبادئ العمارة وتخطيط المدن وتوزيع الأحياء التجارية والصناعية والعلمية والمساكن الخاصة، وبعبارة مجملة دراسة عوامل البيئة الطبيعية والاجتماعية التي تؤثر في إنشاء المدينة وتخطيطها على أساس طبيعي واجتماعي سليم، فلا يأتي تكوينها مجرد مجموعة من المباني نشأت كيفما اتفق.

وليس معنى هذا أن تخطيط المدن مسألة حديثة، فالشواهد التاريخية تدل على أن لكل عصر ولكل مدينة طابعها الخاص في المدن سواء في اختيار موقع المدينة أو تخطيطها أو في عمارة مبانيها، وقد وصف الأستاذ فيرمان تخطيط مدينة أخناتون التي أنشأها مقرا لملكه حوالي 1370 ق. م وهي أقدم مدينة يظهر فيها التخطيط بوضوح [1].

2 . 1 - مفهوم العمران:

العمران حسب منجد اللغة والأعلام هو:

البنيان: إسم لما يعمربه المكان وتحسن حاله من كثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن [2].

والمقصود باصطلاح العمران هو الأيكولوجيا البشرية أو علم التبيؤ البشري، ومعناه تكيف الناس مع البيئة البشرية التي يوجدون فيها، وقد وضع اصطلاح إيكولوجيا العالم البيولوجي ايرنست هيكل سنة 1868، واشتقت من الكلمة اليونانية OIKOS ومعناها منزل أو سكن أو مسكن، وتعني الكلمة أيضا الناس

---

[1] محمد السيد غلاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 379-380.

[2] المنجد في اللغة والأعلام، درا المشرق، بيروت، ط26، ص 529.

الذين يقطنون في المنزل أو ينزلون في السكن أو يقيمون في المسكن، ونشاطهم اليومي للمحافظة عليه وتدبيره.

ولم يأبه كثير من الباحثين أول الأمر بالدراسة الأيكولوجية في السنوات العشرة التالية لكتابات هيكل الجديدة والفريدة، ولكن لم يمض زمن طويل حتى ازداد الاهتمام بدراسة العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية وبيئاتها، حتى أصبح يوجد ثلاثة فروع للدراسة الأيكولوجية وهي :

الأيكولوجيا الحيوانية والأيكولوجيا النباتية والأيكولوجيا البشرية أو العمران الذي لم يحظ باهتمام يذكر إلا بعد الحرب العالمية الأولى، على عكس التقدم الذي شهدته كل من الأيكولوجيا الحيوانية والنباتية [1] وبتحليل أي مجتمع بشري بالنظر إلى عناصره الأولية من الناحية العمرانية نجد أن تبيؤ عناصره قد جعل نتيجة تفاعل أربعة عناصر هي :

- حياة مجموعة من السكان في منطقة (Area).
- تميزهم بثقافة معينة.
- استغلال موارد المنطقة الطبيعية.
- تأدية وظائف حسب تقسيم العمل الاجتماعي السائد بها.

هذا التفاعل ينتج عنه توزيع وتنظيم للسكان وتغيرات في العمران، وكذلك أشكال للتجمع، وإذا كان التجمع العمراني يمكن أن يكون على شكل قرية، أو بلدة أو مدينة إلا أن هذه الأخيرة (المدينة) تأتي في المرتبة الأولى من حيث الأهمية لاتساع مساحتها وتعدد تخصصاتها ووفرتها المادية وسلطاتها الإدارية، إضافة إلى تمركز النشاط والخدمات بها.

لذا فالمدينة تعد منطقة سيطرة عمرانية يكون عادة وسطها مركزا للأعمال عند ملتقى خطوط المواصلات والتنقل، وللعمران الحضري ارتباط وطيد بالسكان لأنهم يشكلون المادة الاجتماعية للحياة ضمن المناطق المعمرة.

من هنا يأتي مفهوم التبيؤ البشري الذي هو التكيف مع البيئة التي يعيش عليها البشر، وهنا يظهر تطوران للمنطقة الحضرية، المنطقة الطبيعية والمنطقة الثقافية.

العمران حسب ابن خلدون :

لقد تحدث ابن خلدون في فصل من مقدمته قائلا: " إن تفاضل الأمصار والمدن في كثر الرفه لأهلها ونفاق الأسواق، إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة لأن الإنسان وحده غير مستقل بتحصيل حاجاته، وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك [2] "، فهو هنا يربط بين العمران والسكان، فكثرة السكان تعني ازدياد العمران وازدياد الإنتاج، والانتقال من الإنتاج الأولي الذي يتمثل في الزراعة إلى الإنتاج الثانوي الذي يتمثل في الصناعة، وتعني كذلك انتقال الاهتمام من مجرد إنتاج

---

[1] حسن الساعاتي، التصنيع والعمران، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 32.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، الباب الرابع، الفصل 11.

القوت والتفرغ للعلم والتعليم والفنون والصناعات وهي جميعا تصنع الرفاهية والترف، فالتقدم العلمي والاجتماعي نتيجة التقدم الاقتصادي، وهذا نتيجة كثرة العمران وكثرة السكان وعلى العكس من ذلك قلة السكان والافتقار إليهم لا يؤدي إلى الازدهار [1].

2 . 2 - التشوه العمراني:

يعتبر تشوه المباني والنسيج العمراني من بين الظواهر العمرانية التي أصبحت تميز المدن الحديثة، ذلك أن أهميته زادت بازدياد ظاهرة التصنيع والتحضر الكبير عن طريق النزوح الريفي، وفي غياب التوجيه والتخطيط نشأ العمران تلقائيا في ضواحي المدن وأطرافها، وبمرور الزمن أصبح المجال الذي يحتوي عمرانا مشوها يعيق التطور المخطط للمدينة سواء أثناء تجزئة المنطقة وتهيئتها من أجل البناء والسكن، أو من حيث تخطيط الشوارع وإيجاد مختلف المنافذ من وإلى قلب المدينة، أو أثناء تهيئة المدينة والمجال المشوه وتزويده بمختلف الشبكات الحيوية كالكهرباء والغاز والماء...وكذا مختلف المرافق الحيوية كدور التعليم والصحة وغيرها.

ولهذه الأسباب وغيرها أصبح التشوه العمراني في المدن يحظى بانشغال القائمين على عمليات التعمير سواء على مستوى التخطيط أو التسيير أو التنفيذ نظرا لتفاقم الأزمة، حيث أنه وفي مدن العالم الثالث – والجزائر كشاهد على ذلك – يشكل العمران المشوه حزاما حول جل المدن الكبرى وأحياء واسعة في مناطق استراتيجية تعطي منظرا مستفزا للمشاعر وباعثا على النفور من الأشكال غير المتجانسة وغير المؤهلة لأن ترتقي بها إلى الأمم المتقدمة.

2 . 2 . 1 - تعريفه:

جاء في القاموس للغة العربية بأن مصطلح التشوه يعني ما يلي: شوه: قبح، التشوه: القبح، المشوه: القبيح الشكل، كل شيء في الخلق والصنع لا يوافق بعضه بعضا.

والتشوه العمراني هو كل ما يعتري العمران من قبح، ومن عدم موافقة في أجزاءه ويحدث هذا عادة في غياب العناصر الأساسية للعمارة، والتشوه العمراني ظاهرة اجتماعية تجمع بين الظروف المادية والاجتماعية والاتجاهات الفكرية والقيم والمثل والعادات وأساليب الممارسة، وكأي ظاهرة فهي إنسانية الطابع، يصنعها الإنسان ويطورها ويقوض جذورها إن أراد، حيث تشكل هذه التجمعات العمرانية مناطق غير مريحة وليست خاضعة للمراقبة، باعتبارها قد نشأت وترعرعت وتطورت بعيدا عن مراقبة السلطات المسؤولة عن ضبط وإنشاء المساكن والتهيئة والتخطيط، وحسب د. أحمد بوذراع فهي تعبر عن جزء أو أجزاء من المدينة مزدحم بالسكان الفقراء، وانخفاض مستوى النمط العمراني ونوعية المساكن، وتسودها ثقافة فرعية ذات معايير أخلاقية وقيم نابعة من موضعها الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي المنخفض والعادات والتقاليد السيئة والضارة والسلوك المنحرف، وأن سكانها يتسمون بظاهرة اللامبالاة،

---

[1] محمد السيد غلاب، مرجع سبق ذكره، ص 585.

وحسب " بيرجل " فإن التشوه العمراني يطلق على المساكن ذات المستوى المنخفض بالنسبة للأسس والمعايير الإسكانية السائدة في المجتمع الحضري [1].

2 . 2 . 2 - خصائص التجمعات العمرانية المشوهة: [2]

تكون التجمعات المشوهة عمرانيا عادة مزدحمة بالأبنية أو الأبينة المكتظة بالسكان، أو كلتا الظاهرتين معا، وتتميز بالخصائص الآتية:

- على المستوى السكاني:

إن الكثافة السكانية لا تؤدي بالضرورة إلى نتائج اجتماعية خطيرة، وإنما الذي يؤدي إلى تلك النتائج بصورة حساسة هو شدة الازدحام داخل الغرفة الواحدة، وضمن البيت الواحد، ولعل ميزة الازدحام هي أهم صفات العمران المشوه، وذلك أن هذه المناطق تسكنها الطبقة الفقيرة ذات الكثافة الكبرى للسكان، ويرجع سبب ذلك إلى الحاجة الماسة إلى بيوت رخيصة، كما تؤدي إلى وجود تكدس سكاني في بنايات متجاورة ومتزاحمة لا تصلح للمأوى.

- وتشهد هذه التجمعات حركة كبيرة للسكان وتغييرا للسكن، وهذا يرجع إلى الرغبة الدائمة في تحسين ظروف العيش.
- وتشهد أيضا تضاعفا عدديا مستمرا للسكان وارتفاعا للكثافة.
- تؤدي الحالة العمرانية وتدهور الأبنية بسبب التهرئة إلى تشكيل خطورة على السكان، وعلى سلامة العامة من المارة بالقرب منها.
- عادة تشهد هذه التجمعات العمرانية لا تجانسا سكانيا من الناحية الإثية والمهنية، وذلك لأنها تستقطب الوافدين بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم الجغرافية.
- يعاني السكان عادة صعوبة في الاتصال مع محيطهم بسبب النظام العمراني السائد، وصعوبة في قضاء أوقات الفراغ لفقدان مرافق التسلية والترفيه، كما يفتقدون المتنفس الطبيعي الذي توفره المساحات الخضراء، إلى جانب انتشار الأمراض الناجمة عن الأوساخ والجراثيم المعدية في أوساط السكان كالكوليرا والتيفوئيد وغيرها.

- على المستوى العمراني:

تقع التجمعات العمرانية المشوهة عادة حول المدن، وتشكل امتدادا لها، كما تشيد على أراض خالية وبدون ترخيص أو تخطيط أو تهيئة عمرانية، وقد نجدها داخل المدن ولكنها مناطق قديمة تشهد تداخلا وظيفيا بين السكن والتجارة والخدمات والمرافق العامة، تكون عادة هذه المناطق مهملة لم يمسها الترميم ولا الصيانة، كما ترجع أغلب النواقص فيها إلى طبيعة السكن نفسه، حيث نجد عديدا من الأبنية – قد تكون قديمة – وآيلة للسقوط وقد تكون حديثة الإنشاء لكن مظهرها لا يوحي بذلك، فهي تفتقد إلى الأسس

---

[1] أحمد بوذراع، مرجع سبق ذكره، ص ص 15-18، بتصرف.

[2] نفس ال[2] أحمد بوذراع، مرجع سبق ذكره، ص ص 15-18، بتصرف.
مرجع السابق، ص ص 20-21، 192-199، بتصرف.

والمقاييس التخطيطية والشروط السليمة للعمارة، وهي غير قائمة على أساسات قوية الدعائم ومساحاتها صغيرة الحجم، وبالتالي فإن حجراتها ضيقة لتشكل بذلك مساكن من أكواخ خشبية أو من مخلفات معدنية، وتنتابها الفوضى ولا تلتزم بالتنظيم العام، حيث تتنوع أنماط البناء بشكل ملحوظ، بينما المساكن الرديئة منها والبالية يملؤها الدخان وروائح كريهة لاستخدام سكانها الخشب كوسيلة للوقود، أما تصميم هذه المساكن فيوحي بالفقر والبؤس الاجتماعي.

من جهة أخرى نجد التجمعات العمرانية المشوهة تتخللها شوارع ضيقة والرئيسية منها غير معبدة، وقليلا ما ترتبط بشبكة المواصلات الداخلية، وأزقتها ضيقة وقذرة وتتراكم بها القمامة، وهي لا تحتوي أرصفة بل تفتقد إلى كل عناصر الطريق التي تؤمن السير والعبور للراجلين والسيارات على السواء.

كما أن التجمعات المشوهة الواقعة في أطراف المدن تفتقد إلى المرافق العامة والخدمات الاجتماعية، أما التجمعات الموجودة داخل المدن فإن مرافقها العامة مجهدة، مما يجعل السكان يشعرون بعدم كفاية هذه المرافق.

كما تنعدم بها أماكن الراحة والحدائق العامة أو الفضاءات المفتوحة والمساحات الخضراء والتي تعد بمثابة المتنفس الطبيعي الوحيد لسكانها، وتفتقد أيضا إلى أماكن التسلية والترفيه والملاعب لقضاء السكان أوقات فراغهم، كما أن كثرة برك المياه والمستنقعات وأكوام القمامة وانتشار القاذورات يجعل المكان محل استقطاب لمختلف أنواع الحشرات اللاسعة والضارة والحاملة للجراثيم المعدية التي يتعرض لها السكان.

2 . 2 . 3 - وظيفة التجمعات العمرانية المشوهة:[1]

فضلا عن كون التجمعات العمرانية المشوهة تعطي فرصة وضع اليد على الأرض للنازحين، وتأجير المساكن بأجر رخيص، فهي تشكل من جهة أخرى الموطن الأول للمهاجرين والنازحين، وهي الأماكن التي ينطلق منها السكان للتحرك من أجل الاندماج في المجتمع الحضري الجديد، وتمكن الفقراء من السعي وراء عيشهم ومن الحصول على أفضل الأعمال المتاحة بالقرب منهم، ومن ثم يتمكنون من حل مشاكلهم بصورة تدريجية، وذلك بالتكيف مع مختلف الظروف الفيزيقية والاجتماعية للمكان.

من جهة أخرى فإن التشوه الذي يلحق بالمعمار كثيرا ما يعطي فرصة للأسرة لاحتواء أكبر عدد ممكن من الأفراد داخل المسكن، وكذا تحقيق الرغبة في تحويل وظيفة أو إضافة مجال داخل المسكن – وهذا خاصة في المعمار العمودي – أو إنشاء مجال للتجارة أو الخدمة من خلال فضاء المسكن.

---

[1] أحمد بوذراع، مرجع سبق ذكره، بتصرف، ص 193.

2 . 3 - أنواع العمران :

2 . 3 . 1 - العمران المخطط:

هو العمران الذي يخضع لخطة موضوعة يقوم على تنفيذها جهاز حكومي يتولى الإشراف على توجيهه وتنظيمه وتجهيزه بالمرافق العامة، ويخضع سكان المدينة لهذه الخطة ويلتزمون بها منعا لفوضى البناء وعشوائية النمو.

ورغم قدم النمو العمراني المخطط إلا أن إرهاصاته لم تتجل بوضوح إلا في القرن السابع عشر، حيث بدأت بعض المدن في إنشاء ما يسمى بالبلدية التي يناط بها الإشراف على المدينة وتخطيط امتدادها وإنشاء الطرق وإقامة المحطات وتوجيه العمران حسب الأصول العلمية السليمة.

واستجابة لنمو السكان ورغبة من الدول في تخفيف الأعباء عن المدن الكبرى اهتمت بالتخطيط لرفع مستوى معيشة المواطنين بتوزيع الخدمات المختلفة الصحية والثقافية والتعليمية وإنشاء المنتزهات والحدائق العامة والمجاري والكهرباء...إلخ.

فالدول النامية ورغم أنها اهتمت بتخطيط المدن إلا أن تطور عمرانها ظل يعاني من ظاهرة النمو العشوائي التراكمي أو متعدد النويات، وبعض المدن تجمع أنواع النمو كلها دفعة واحدة، ويبدو التناقض في رقعتها في النهاية نتاجا لإرث طويل، وانعكاسا لتباين الحياة بين الريف والحضر وربما لعدم وجود خطة قومية شاملة لتحقيق التوازن بينهما.

2 . 3 . 2 - العمران العشوائي:

2 . 3 . 2 . 1 - <u>النمو العشوائي التراكمي:</u>

يعد هذا النمو العمراني أبسط الأنواع، حيث يتم دون خطة موضوعة عن طريق ملء الأرض الفضاء داخل حدود المدينة أو بإقامة المباني عند أطرافها.

وكان هذا التوسع العشوائي التراكمي هو الذي دعا أحد الباحثين وهو بيرجس Burges إلى ابتداع نظرية النمو الدائري " الحلقي " للمدينة وقسمها إلى خمس حلقات دائرية وتعد الحلقة الأخيرة هي الحلقة الانتقالية التي يتماشى معها النمو الجاري للمدينة وتكون إطارا دائريا يحيط بها.

كما أن لوسائل المواصلات دور كبير في النمو العشوائي التراكمي للمدن، وذلك لأن المناطق المبنية تمتد على محاور الطرق في المدينة سواء كانت طرقا برية أو سككا حديدية، وتبدو المدينة في النهاية كأخطبوط واضحة المعالم أذرعه، تتمثل في محاور النقل والمواصلات وما تصنعه من نمو عشوائي تراكمي أولا بأول – بادئا بالمناطق المطلة مباشرة على الطريق – ومبتعدا عنها بالتدريج تماما كما يحدث النمو في باقي أجزاء المدينة إذ كلما زاد حجمها طالت الأذرع وتضخمت.

ويظل النمو العشوائي التراكمي للمدينة يتسع في كل الاتجاهات حتى يبلغ القرى المجاورة، ولتتحول هذه القرى مع الأيام إلى جيوب، وهذا يعني أن المدينة لا تتوسع دائما فوق أراض خالية من السكان.

كما أن أسوأ نتيجة للنمو التراكمي العشوائي للمدن الحديثة ظهور ما يعرف بأحياء أو عشش الصفيح (Bidonvilles) وهي أحياء بائسة للغاية على أطراف المدينة لا تتمتع بأي خدمات صحية أو غيرها كالمياه النقية أو المجاري أو الكهرباء، وتعاني من الأمراض وسوء المستوى الصحي والاجتماعي والاقتصادي وهي تحدث نتيجة تدفق المهاجرين الفقراء من بيئاتهم الأصلية الفقيرة أملا في سد الرمق وكسب أدنى عيش ممكن [(1)].

2 . 3 . 2 . 2 - النمو العشوائي متعدد النويات:

هذا النمو العمراني في أول مراحله كان متمثلا في ظهور نواة عمرانية جديدة (مدينة صغيرة) على مقربة من المدينة القديمة، ولكن عندما يمتد إلى مدينة أو بضعة مراكز مدنية حولها فإنه يأخذ بذلك صورة مركبة، وتقوم مدينة جديدة على مقربة من مدينة قديمة تلبية لرغبة في الانفصال Segregation، وقد يكون هذا الانفصال نتيجة رغبة اجتماعية لدى طبقة معينة من السكان، تلك التي تنزع للسكن في أحياء خاصة (طبقة برجوازية، طبقة حرفية) أو قد يكون الفصل العمراني عرقيا حيث ينزع الأجانب في المدينة إلى السكن في أحياء ولا يرغبون في الاختلاط بالسكان الوطنيين [(2)].

وتبدو أمثلة الفصل العرقي كثيرا في المدن الحديثة التي بناها الفرنسيون في مستعمراتهم خاصة في شمال إفريقيا، حيث بنى المستعمرون مدنهم قريبا من المدن الوطنية خوفا على أنفسهم من أهل البلاد.

وظهرت هذه الازدواجية المدنية في كثير من أقطار القارة الإفريقية نتيجة الاستعمار الأوربي، وهنا يصعب التمييز بين النمو متعدد النويات وذلك لأن النويات المدنية الجديدة رغم تميزها عن بعضها البعض إلا أنها تقع قريبا من المدينة القديمة، وهذا التكامل الموضعي يمكن أن ينمو هو الآخر بعد ذلك كوحدة عمرانية قائمة بذاتها وذلك بعد أن تغزو الحياة الجديدة [(3)].

2 . 4 - العمليات العمرانية:

حسب حسن الساعاتي فإن اصطلاح العمران هو خير ما يوضح الاصطلاح المستعمل في الكتب المؤلفة باللغات الأجنبية ألا وهو "الايكولوجيا البشرية" أو "علم التبيؤ البشري"ومعناه تكيف الناس مع البيئة التي يوجدون بها، وتعني الايكولوجيا البشرية أساسا بالعلاقات المكانية والزمانية، التي تربط الجماعات بعضها ببعض، وتلك التي تربط الأشخاص بالجماعات في إطار البيئة الجغرافية والسكانية [(4)].

ويفهم من هذا التعريف أن العمران يعني السكان في نشاطهم وعلاقاتهم وانسجامهم وتكيفهم مع البيئة التي يوجدون فيها في وقت معين مهما كانت هذه البيئة حضرية أم ريفية أم بدوية، ومن هنا فإن العمران يشتمل على ثلاثة عناصر أساسية هي: السكن والسكان والبيئة.

---

[1] فتحي أبو عيانة، جغرافية العمران: دراسة تحليلية للقرية والمدينة، دار المعارف، مصر، 1995، ص ص 201-203.
[2] فتحي أبو عيانة، المرجع السابق ، ص 204.
[3] نفس المرجع السابق، ص 205.
[4] حسن الساعاتي. مرجع سبق ذكره. ص 245.

كما أن العمران هنا بهذا المعنى لا يدل فقط على التعمير والنمو والنشاط فقد يدل أيضا ما هو ضد العمران من خراب وتدهور واندثار [1].

ويعلق الساعاتي عن العمران أيضا أنه يشير إلى العمليات والظواهر العمرانية الناتجة عن الهجرة والنزوح السكاني الذي يحدث بين الأمكنة والمناطق فيتعرض بعضها للنمو والتوسع العمراني على حساب تقهقر وتراجع عمران البعض الآخر حسب عوامل الطرد والجذب في البيئات المستقبلة والبيئات الطاردة.

بينما في هذا البحث فإن الآثار العمرانية المقصودة هي تلك الظواهر التي تصيب العمران وتتجلى في مختلف جوانبه، بسبب حركة السكان وهجرتهم وما ينجم عنها من مشكلات، تتعلق بأنماط الاستقرار والبناء والسكن في هذه البيئة الجديدة المستقبلة، فيتسبب ذلك في ظهور ما يعرف بالمناطق العمرانية غير المخططة، ثم وبعد انتباه السلطات تظهر منطقة مخططة، ومرة أخرى يتحايل الناس على القانون وتظهر البيوت القصديرية.

إن الايكولوجيا الحضرية تعني دراسة التوزيع المكاني للسكان من خلال العمليات الايكولوجية الأساسية التي أفادت الكثير في مجال هذا المدخل في ظهور تفسيرات جديدة لنمو المدن وتوسعها، رغم أنها حتى سنوات متأخرة لم تثر فهم العلماء بما يخص التخلف الحضري.

ولقد تطرق حسن الساعاتي لهذه العمليات الايكولوجية وأطلق عليها اسم العمليات العمرانية، حيث يرى أن ما دام البشر في المجتمعات المتحررة منذ العصور القديمة، يسمح لهم بالكفاح في الحياة والترقي في السلم الطبقي الاجتماعي ويستطيعون تغيير أحوالهم من كل الجوانب المادية والفكرية، ومن هنا يستطيعون النزوح من الإقليم ذاته أي من القرية إلى البلدة أو من القرية إلى المدينة، أو الانتقال، في المدينة نفسها من حي فقير متخلف إلى حي متوسط أو غني، ويعرف النزوح في الحالة الأولى بالهجرة ويعرف في الحالة الثانية بالانتقال، وإذا حدثت الهجرة أو الانتقال في نطاق واسع، فإن هذه الظاهرة تعرف عمرانيا بالغزو (Invasion) وبالنسبة للسكان الأصليين فقد لا يرضون بمجيء أفراد آخرين إلى منطقتهم والإقامة بجوارهم، فيرحلون عنها إلى منطقة أخرى يختارونها ليعيشوا في عزلة عمرانية (Segregation) يميزون بها أنفسهم، وقد يحدث أن يحتل المنطقة الواحدة فئة من الموسرين ثم تغزوها فئة أخرى من متوسطي الحال منها، ففي الوقت ذاته تغزوها الصناعة، ويطلق على هذه العملية العمرانية التتابع، فالغزو والتتابع عمليتان عمرانيتان في التغير الاجتماعي لهما نصيب بالغ الأهمية [2].

2 . 4 . 1 - الغزو:

وهو ميل الناس والمؤسسات إلى الانتقال من مجتمعها الذي يتفق مع أوضاعها إلى مجتمع آخر يختلف عنها [3].

---

[1] نفس المرجع السابق. ص 285.

[2] حسن الساعاتي. ص 36.

[3] عبد المنعم شوقي. مجتمع المدينة: الاجتماع الحضري، ط7. دار النهضة العربية. بيروت.1981. ص 137.

وكما يرى السيد الحسيني فهناك صلة بين الغزو والتتابع حيث لا نستطيع معالجة أحدهما بمعزل عن الآخر والغزو يمكن تعريفه على أنه نفاذ جماعة سكانية إلى منطقة منفصلة كانت تؤدي من قبل وظيفة مختلفة أو كانت تشغلها جماعة سكانية مغايرة وأبسط مثال لتوضيح عملية الغزو هو تحول منطقة حضارية راقية إلى منطقة شعبية بسبب انتقال أفراد الطبقة الدنيا للإقامة فيها، وعملية الغزو هذه ما هي إلا مرحلة أولى في دورة التتابع.

وأهم العوامل التي تؤدي إلى عملية الغزو هي:

- تحركات السكان.
- التوسع من أحد أجزاء منطقة إلى جزء آخر.
- التغيرات التي تطرأ على شكل وخطوط المواصلات.
- تهدم المساكن أو تعرضها للسقوط.
- إنشاء مباني عامة أو خاصة ذات خصائص جاذبة أو طاردة.
- إدخال أنواع جديدة من الصناعات.
- ظهور تغيرات اقتصادية من شأنها إعادة توزيع الدخل القومي.

ومن الملاحظ أن غزو جماعة سكانية لمنطقة جماعة سكانية أخرى لا يتم بطريقة فورية بل من خلال فترة زمنية طويلة، حيث يسبق الغزو ضغوط عديدة تمارسها الجماعة الغازية على سكان الجماعة المقهورة، وخلال عملية الغزو تنشأ مقاومة من جانب هؤلاء السكان قد تتمثل في الامتناع عن بيع أراضي البناء، وعدم قبول السكان الجدد بسهولة ويسر، ونظراً لأهمية كل من مصطلحي الغزو والتتابع نلاحظ اهتمام علماء الايكولوجيا الحضرية بدراسة هذين العمليتين في المدن الغربية عامة والأمريكية خاصة، إذ يشير هاولي Hawley إلى أن دراسة عملية الغزو قد تكون أيسر بكثير من دراسة عملية التتابع.

والملاحظ أن كثيرا من المدن الأمريكية قد شهدت خلال القرن العشرين عمليات غزو وتتابع عديدة، فلقد أوضحت دراسات فيري Firy ومكاي Mckay أن الجماعات العنصرية على الأخص الزنجية قد غزت كثيرا من الأحياء الحضرية في المدن الأمريكية الكبرى مما دفع السكان القدامى لهذه الأحياء إلى الانسحاب منها والبحث عن أحياء أكثر رقيا [(1)].

إذن فالغزو والتتابع عمليتان أيكولوجيتان مرتبطتان تعبران على التغير الذي يصيب بعض أجزاء المكان الحضري، فإذا افترضنا أن مدينة تنقسم إلى 30 منطقة سكنية وأن المنطقة رقم 11 تقطنها جماعة إثنية، في هذه الحالة يمكن أن نقول عنها بأنها منطقة منعزلة أو منفصلة، وعندما تحاول جماعة أخرى الانتقال إلى المنطقة رقم 11 لإزاحة بعض سكانها، فإننا نسمي هذه العملية غزوا، أما إذا استطاعت الجماعة الغازية أن تسيطر على المنطقة رقم 11 أو تحل محل سكانها، نطلق على هذه العملية احتلالا ومن هذه الزاوية يمكن القول أن:

---

[1] السيد الحسيني، مرجع سبق ذكره ، ص 134.

1. الغزو عملية أيكولوجية تنطوي على انتقال جماعة إلى منطقة منفصلة تشغلها جماعة أخرى أو إدخال نمط مختلف لاستخدام الأرض.
2. الاحتلال عملية أيكولوجية يتحول بمقتضاها الغزاة إلى سكان يسيطرون على المنطقة [1].

2 . 4 . 2 - المركزية :

المقصود بالمركزية عند عبد المنعم شوقي هي التفاف الناس حول نقطة ارتكاز في المدينة أو نقاط ارتكاز متعددة في حالة المدن الكبيرة ومثال ذلك المنطقة التجارية في المدينة [2]، والمركزية هي عملية أيكولوجية تتجمع بمقتضاها المؤسسات ذات الوظائف المتشابهة في مناطق الارتكاز، فإن كان التركز يعني مجرد قدوم جماعات ذات خصائص متشابهة أو مؤسسات للتوطن في بعض أجزاء المدينة فإن المركزية تتضمن تجمع الوظائف حول نقط حيوية أو في مواقع محورية عادة ما تكون مركزا لوسائل الاتصال والمواصلات، والمقياس العادي لعملية المركزية هو السيطرة أي تأثير وعلاقة تركيز الوظائف في مناطق معينة على بقية أجزاء المركب الحضري.

أما في قاموس علم الاجتماع " لمحمد عاطف غيث " فيطلق عليها مصطلح التمركز، وهو عملية أيكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة وهي عادة ما تكون مركزا لوسائل الاتصال والمواصلات، ويرجع هذا المصطلح إلى اتجاه الأعمال والمصانع والبنوك ومراكز الترفيه والصحة والتعليم للتجمع في قطاع مركزي من منطقة حضرية [3].

أما السيد الحسيني فيرى بأن كلا من مصطلحي التركز والتشتت يشيران إلى التغيرات التي تطرأ على توزيع السكان عبر المكان نتيجة للهجرة من منطقة لأخرى أو نتيجة للزيادة الطبيعية، وأن هذين المفهومين يعبران عن حركتين في اتجاهين متعارضين، فالعوامل التي تؤدي إلى التركز ليست نفسها التي تؤدي إلى التشتت، ويتم قياس عمليتي التركز والتشتت في ضوء الكثافة السكانية، ومن الملاحظ أن هذين العمليتين بدرجة القرب من وسائل المواصلات [4].

ويمكن تسمية هذين المصطلحين التقارب والتباعد، وهذا حسب فتحي أو عيانة حيث يرى أنه بالإمكان قياس توزيع العمران أو المنشآت العمرانية وذلك للحكم على درجة التركيز أو الانتشار في منطقة الدراسة [5].

2 . 4 . 3 - التشتت:

يتمثل في إنخفاض نسبة السكان الذين يعيشون في قلب المدينة والعكس بالنسبة للتركز وكلاهما عمليتان تؤثران في نمو المدينة.

---

[1] حميد خروف وبلقاسم سلاطنية واسماعيل قيرة، مرجع سبق ذكره ، ص 20.
[2] عبد المنعم شوقي، مرجع سبق ذكره، ص 136.
[3] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 143.
[4] السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 131.
[5] فتحي أو عيانة، مرجع سابق، ص 168.

2 . 4 . 4 - اللامركزية:

وتشير إلى مدى عدم تركيز المشروعات الصناعية والتجارية داخل المدينة أو خارجها، كما أن الاتجاه نحو لامركزية الصناعة والتجارة قد ظهرت في نفس الوقت الذي ظهر فيه هذا الاتجاه نحو تشتت السكان، ومبررات ذلك هو صعوبة الحصول على مواقع تتلاءم مع الاحتياجات الصناعية، وصعوبة النقل والمواصلات داخل المدينة، وإذا ما تأملنا موقف الدول النامية من اللامركزية نجد أن مشروعاتها الصناعية الضخمة تميل إلى الاتجاه نحو ضواحي المدن الكبرى [(1)].

إذن فاللامركزية المقصود بها هو ميل الناس إلى البعد عن مركز المدينة، ويحدث هذا عادة في السكن، فكثيرا ما يميل الشخص إلى المركزية والتجمع من ناحية العمل ولكنه يميل إلى اللامركزية من ناحية السكن [(2)].

كما تعني اللامركزية ميل الأفراد أو الوظائف لترك النقاط الحيوية في المدينة أو النقاط المحورية.

2 . 4 . 5 – العزل (الفصل) :

إن المناطق الحضرية تشهد تنافسا على الموارد النادرة والمواقع الجديدة وفي خضم هذه العملية يفرز هذا النوع من الصراع جملة من النتائج منها الصراع على المواقع الذي يعني توجه الجماعات والمؤسسات للتكتل في بعض مناطق المدينة، يطلق على هذا القول للسكان والوظائف إلى مناطق متجانسة ومنفصلة بالتفرقة أو الفصل أو العزل.

ورغم أن العزل كعملية أيكولوجية قد تكون طوعية أو غير طوعية فإنها تعود دائما إلى بعض الجماعات والمهن إلى الانفصال وتصبح بمقتضاها مناطق المدينة متخصصة في أنماط استخدام الأرض أو الخدمات أو السكان.

وهناك نوعان من العزل، فالأول يتعلق بفصل الوحدات السكانية المتشابهة، أما النوع الثاني فيرتبط بظاهرة التخصص.

حيث يستند النوع الأول إلى مؤثرات متداولة في التراث السوسيولوجي كالدخل، اللغة، الدين، الجنس، الثقافة، ولذلك ينطوي العزل على ظهور مناطق سكنية متقدمة وأخرى متخلفة ومناطق إثنية وأخرى صناعية...إلخ.

أما العزل المستند إلى التخصص فيقوم على أساس ميل المناشط الوظيفية المتشابهة إلى التركز في منطقة معينة، ومن ثم يصبح العزل كعملية أيكولوجية يشير إلى التجمع في مكان واحد [(3)].

---

[1] السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 133.
[2] عبد المنعم شوقي، مرجع سابق، ص 136.
[3] حميد خروف وبلقاسم سلاطنية واسماعيل قيرة، مرجع سبق ذكره . ص ص 19-20.

ومصطلح مجتمع منعزل يشير في الاستعمال الشائع إلى مجتمع محلي صغير منعزل ويكون في العادة متجانسا عنصريا أو ثقافيا، بالرغم من أنه يوجد داخل مجتمع كبير، وقد تكون عزلة هذا المجتمع مفروضة سياسيا أو اقتصاديا أو قد تكون طوعية [1].

ونجد محمد عاطف غيث يشير إلى " الفصل " في قاموسه على أن عملية أيكولوجية تصبح بمقتضاها مناطق المدينة متخصصة في نموذج استخدام الأرض أو الخدمات أو السكان، ولذلك ينطوي الانفصال على انبثاق أقاليم عمل وأقاليم صناعية وأقاليم للتحويل ومناطق مختلفة ومناطق مكدسة بالحجرات السكانية، ومناطق إقامة للطبقة العليا، وأقاليم إثنية وما إلى ذلك.

عملية انفصال الأفراد أو الجماعات لأغراض اجتماعية، وقد تحدث هذه العملية بطريقة طوعية في كثير من الأحيان، فالجماعات الدينية مثلا تحاول الإبقاء على الأشكال المميزة للعبادة، كما تحاول تعليم أطفالها نفس العقيدة، وتعمل على أن تقلل ما أمكنها من احتمال الزواج من جماعات أخرى، وهي لذلك تعمل على عزل نفسها لأغراض سكنية وتعليمية وترويحية ودينية مع درجات متفاوتة من الدقة والصرامة.

ومن جهة النظر السوسيولوجية، يفيد هذا العزل الطوعي في عملية الإبقاء على الاستقلال الثقافي ويقلل من فرص الصراع مع أعضاء الجماعات الأخرى وعلى ذلك فإنه قد يؤدي إلى نوع من الصراع المستتر وإلى مزيد من التوتر.

وقد يكون للإنفصال طابع جبري، بحيث يحدث انفصال للمساكن والمدارس والعمالة والترفيه...بطريقة غير طوعية تفرضه الجماعات المسيطرة على الجماعات التابعة خاصة إذا حددت الاختلافات بين الجماعات في حدود السلالة. وحينئذ يصبح هذا الانفصال شكلا من أشكال التفرقة الاجتماعية [2].

2 . 5 . - أنماط المساكن:

إن المسكن ليس بنية جامدة، بل يتعرض لتطورات وتغيرات أي أنه يمر بمرحلة انتقالية من التقليدي إلى الحديث، ويشهد المجتمع أيا كان أنواعا مختلفة من البنايات منها النمط التقليدي والجماعي العصري، البناء الذاتي والبناء القصديري.

2 . 5 . 1 – المسكن التقليدي:

إن المسكن التقليدي هو بناء منجز من طرف الأفراد الذين يرغبون فيه طبقا للحاجيات الاجتماعية ووفقا لقيم ومعايير تخص هذه الجماعة التي تعيش فيه، ويعد هذا النمط مشاعا في المناطق الريفية و المدنية وهو مبني بأبسط الوسائل التقليدية المتوفرة في المنطقة، فهو يلبي حاجاته الضرورية ويتماشى ونمط المعيشة السائدة، باعتباره يؤدي دوره الاجتماعي والاقتصادي كما ينبغي [3].

---

[1] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 411.

[2] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 405.

[3] محمد السويدي، محاضرات في الثقافة والمجتمع، OPU، الجزائر، 1985، ص 24.

ولقد تعرض الأستاذ " مصطفى بوتفنوشت " إلى وصف المسكن التقليدي، حيث سماه بالدار الكبير، ويرى أنه يجمع العائلة المركبة كثيرة العدد، كما أن حجم الدار يتوسع حسب متطلبات وحاجيات العائلة، ويرى أيضا أن الميزة الأساسية له هي التماسك العائلي، والتقارب وتعاون الأقارب فيما بينهم [1].

2 . 5 . 2 - المسكن الجماعي:

ونعني به المساكن التي تركها الاستعمار كالمجموعات السكنية المتركزة في المناطق الحضرية، وهي مصففة الواحدة تلو الأخرى، وهي مقسمة إلى أحياء ووحدات سكنية، وقد عملت السياسية الاستعمارية على إبعاد الجزائريين من المناطق السكنية المخصصة للفئات المعمرة لذلك قامت ببناء مساكن خاصة للفئات الشعبية الجزائرية، حتى تتجمع وتتمركز في مجال واحد، فوجدت العائلة التقليدية الوافدة من الريف – باحثة عن العمل السكن في المدينة – مسكنا فقيرا لا يتسع لجميع أفرادها نظرا لضيق غرفه، وكذلك مجاله المستعمل مما دفعها إلى التشتت والانقسام عبر الأحياء إن لم نقل عبر المناطق الحضرية الأخرى، وبعد الاستقلال سارت الجزائر على نفس المنهاج أي بتكثير البنايات الجماعية، ومن أجل تغطية النقص الفادح في مجال السكن، وتحتل هذه المجموعات السكنية مساحة كبيرة في مدننا، ويكاد هذا النوع يمثل البرامج المخططة للسكن، إلا أن من بين النقائص التي تمتاز بها هي السرعة في بنائها ونقص المرافق والخدمات الاجتماعية الضرورية.

2 . 5 . 3 - المسكن الذاتي:

كان المسكن الذاتي في المجتمعات التقليدية عملا جماعيا، تتدخل في إنشائه مجموعة من العائلات وتسمى هذه الظاهرة بالتويزة، وتمارس خاصة في المجتمعات الريفية، ولكن بدأت تقل هذه الممارسات في المجتمعات الحالية، حيث تطورت وسائل البناء وأحرزت تقدما كبيرا، وكثيرا ما يتخذ المسكن الذاتي الشكل التقليدي وذلك ببنائه على المستوى الأرضي.

2 . 5 . 4 - المسكن الحضري:

إن الحصول على مسكن في المدينة أمر صعب في وقتنا الحاضر وحتى يستطيع الفرد العثور عليه باستعمال كل الإمكانيات الممكنة نادرا ما يقع على موقع يعجبه لأن ظروف الحياة أصبحت تطغى على الفرد، وأصبح هذا الأخير خاضعا للبيئة والعوامل الخارجية نذكر منها ارتفاع عدد السكان وخاصة في المدينة، وسوء توزيع المرافق والخدمات الاجتماعية والاقتصادية، والهجرة غير المخططة وازدياد الحركة السكانية، تكدس وازدحام السكان حول دائرة مراكز الشغل، ارتفاع البطالة والأزمة السكنية والمواصلات ونقص المواد الغذائية، دون التحدث عن الظواهر السلبية المتعلقة بالجانب الاجتماعي، ومن مميزات المسكن الحضري أنه يتصف بالضيق وقلة المجال.

2 . 5 . 5 - المسكن القصديري:

---

[1] رابية نادية، المسكن والعائلية بعد زواج الأبناء، رسالة ماجستير، 1991.

لقد ظهر هذا النوع من المساكن مع ظاهرة الهجرة الداخلية أي الانتقال المستمر للفئات الاجتماعية نحو المدن والإقامة فيها، أول اتصال يقوم به المهاجر نحو المدينة هو مع الأحياء القصديرية لكي يساعدوه في الإقامة، وهنا يشعر بالارتياح حيث يجد إخوانه الريفيين فتقل الصدمة الثقافية، كما تنتشر هذه البنايات القصديرية حول المدن الصناعية وتعاني هذه الأحياء من نقص الخدمات الأساسية والنظافة [1]. وبتزايد المساكن القصديرية تتشكل بذلك أحياؤها فتحتل نطاقا واسعا في المدينة مشكلة بذلك ما يعرف بالأحياء القصديرية، وهي كما يعرفها محمود جاد بأنها "مناطق داخل المدن الكبرى، وأحيانا في أطرافها تتميز بانحطاط المستوى من الناحيتين: من الناحية الطبيعية، وتتميز هذه الأحياء بالشوارع الضيقة وغير المخططة وغير المهيئة، والتي تكتظ بعدد يفوق طاقتها من السكان، ولا تتمتع إلا بقسط ضئيل من وسائل الراحة الحديثة، أما من الناحية الاجتماعية فهي تتميز بفقر سكانها، وتفشي الرذيلة والجريمة وسوء الخلق واضطراب الحياة الأسرية والمهنية وانتشار التسكع والبطالة ".

ويعرفه أحمد زكي بدوي على أنه " يتميز من الناحية المادية بسوء حالة المباني وضيق الطرق وانتشار القاذورات في كل مكان، كما يتميز من الناحية الاجتماعية بازدياد كثافة السكان والفقر ، وسوء الحالة الصحية وارتفاع نسبة تشرد الأحداث والإجرام".

ويعرفه عبد الرحيم حفيان بأنه " التجمعات السكانية التي تتميز بعدم الشرعية في استغلال الأراضي وكذلك عدم عقلانية البناء وهذا الشكل من البناء أخذ في التزايد في السنوات الأخيرة ".

2 . 6 - عوامل تعمير المجال:

تؤثر على أيكولوجية أو تعمير أي مجال عوامل مختلفة أهمها العوامل الاجتماعية كميل كل طبقة اقتصادية إلى المعيشة مع بعضها مثلا، إلا أن هناك عوامل أخرى تؤثر على المجال وتساعد في تعميره وهذه العوامل نجد أهمها يتمثل فيما يلي:

2 . 6 . 1 - جغرافية المجال العمراني:

لو أن كل التجمعات العمرانية قد نشأت على أراضي سهلة ومستوية ليس فيها جبال ولا أنهار لكان نمطها الأيكولوجي نتيجة مباشرة لعوامل اجتماعية محضة، إلا أن هذا لم يحدث، فقد تأثرت أيكولوجية كثير من المدن بعوامل جغرافية خارجة عن إرادة الإنسان [2]، وتتمثل هذه العوامل الجغرافية في عنصرين هما موضع المدينة أو التجمع والموقع، حيث يلعب هذان العنصران دورا حاسما في مورفولوجية التجمع وحياته بل وفي نموه أو تدهوره ذلك لأن الجغرافية تعني بالدرجة الأولى بدراسة البيئة ويأتي الموضع المحلي في قائمة العناصر الجوهرية المؤثرة فيها.

الموضع Site:

---

[1] رابية نادية. مرجع سبق ذكره. ص ص 53-55.

[2] عبد المنعم شوقي، 1989، مرجع سبق ذكره . ص 135.

موضع المدينة أو التجمع العمراني هو المكان الذي تقوم عليه، وتتركز فيه رقعتها السكانية، وتتحدد فيه محاور النمو العمراني لها تبعا للظاهرات المحلية التي يتميز بها هذا المكان، سواء كانت تلالا أو بحيرات أو أنهارا تقوم المدينة على ضفافها.

وينشأ التجمع العمراني في موضع ما، وينمو هذا الموضع استجابة لظروفه المحلية من ناحية ولأهمية موقعه العام من ناحية أخرى، ذلك أن هذه التجمعات تقوم في أماكن معينة لتؤدي خدمة ضرورية للمجتمع يتغير نوعها بمضي الزمن، ويحدد نوع هذه الوظائف التي قامت من أجلها المدينة طبيعة المكان الذي تقوم عليه، أما العامل الحاسم الذي يتحكم إلى حد كبير في نموها ويساعد على تغيير وظائفها فيما بعد فهو الموقع [1].

وهناك عوامل تؤدي إلى اختيار مواضع التجمعات العمرانية منها سهولة الدفاع، ففي أحوال كثيرة يتجمع المدنيون في موضع معين تحميه قلعة، ويقوم ذلك الموضع في مكان يسهل الدفاع عنه، وإذا كان الموقع يفتقد الحماية الطبيعية الكاملة فإن الموضع يختار حيث تكثر العقبات أمام المهاجمين ويلجأ المجتمع حينذاك إلى إقامة الأسوار حولها بحيث تكمل الحماية الطبيعية للمدينة.

وكانت أبرز العقبات في العصور السالفة التي تحمي المدينة الأنهار والمنحدرات الشديدة، وقد اشتهرت مدن أقطار البحر المتوسط بمدنها التي تحتل رؤوس التلال، وكانت مظهرا مميزا للعمران الحضري استمر فترة طويلة [2].

ولقد حظيت فكرة دراسة موضع المدينة بالاهتمام الكبير من طرف علماء الاجتماع والجغرافيا...لتوضيح خصائص ومواضع المدن من خلال مقارنات منهجية، ومن خلال البحث عن تفسيرات نظرية للطريقة التي تنشأ فيها المدن وتتطور وتنمو، ومن أبرز ما كتب محاولة تشارلز كولي عام 1984 التي اعتبرت أول محاولة نظرية لتفسير نشأة وتطور المدن، فكان كتابه عبارة عن بناء نظري لدراسة القوى والمتغيرات التي تؤثر في اختيار مواضع المدن، وكانت فرضيته الرئيسية أن نشأة المدن وتطورها لا يأتي بمحض الصدفة أو نتيجة عوامل عشوائية، وإنما هناك مجموعة من القوانين والعوامل، وقد حدد العوامل الاقتصادية المؤثرة في نشأة المدن بعاملين رئيسيين: الأول: يتمثل في توفر إمكانيات الانتاج في موضع ما، كأن تتوفر الأرض الزراعية أو الثروات المعدنية، أما العامل الثاني فهو يعكس موضع المدينة بالنسبة لشبكة طرق النقل، حيث يعتقد أن عامل الموقع بالنسبة لطرق النقل هو أهم قوة مؤثرة في نشأة المدن في النطاقات الصناعية، وقد أشار إلى أن السكان يميلون إلى التجمع في نقاط انقطاع انتقالية، ويعرف الانقطاع بأنه تغير وتبدل في حركة أو وسيلة النقل، وقد حدد كولي ثلاثة أنواع من الانقطاع: [3]

- الانقطاع الطبيعي.

---

[1] فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره . ص146.
[2] نفس المرجع السابق ، ص 147.
[3] عبد الإله أبو عياش وإسحاق القطب. الإتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية . جامعة الكويت. 1979 . ص ص 24-25.

- الانقطاع التجاري.
- الانقطاع السياسي.

- **الانقطاع الطبيعي**: وينتج عن تبدل في مظهر سطح الأرض، كالانتقال من المياه إلى اليابسة أو العكس، أو من المناطق السهلية إلى المناطق الجبلية، فمثلا يمكن أن يكون هناك نهر صالح للملاحة إلى نقطة معينة، وبعدها يصبح غير صالح مما يضطر حركة النقل إلى التوقف، وعندها لابد للبضاعة المنقولة من ان تحول إلى وسيلة نقل برية، فعند هذه النقطة التي يحدث عندها انقطاع تنمو في العادة نوية استيطانية سرعان ما تنمو وتتحول إلى مدينة.
- **الانقطاع التجاري**: وينجم عن تبدل في ملكية البضاعة، أي أن تتحول البضاعة من شركة لأخرى أو من منطقة لأخرى، فالمدن التي تنشأ وسط مناطق زراعية تكون في العادة عقد انقطاع لحركة انسياب المحاصيل من المناطق الريفية المحيطة بها.
- **الانقطاع السياسي**: وينجم عن توقف حركة النقل على الحدود الدولية لأغراض جمركية [1].

والحقيقة أنه ما من باحث تناول موضع التجمعات العمرانية بالدراسة إلا وأعقبه بالعنصر اللصيق ألا وهو الموقع.

الموقع (العلاقة بين المدينة وظهيرها):

يحدد عادة الموقع الفلكي لأي موضع بدقة كاملة وبسهولة أيضا، وهذا في ظل خطوط الطول ودوائر العرض، كما يمكن تحديده بالمسافة أو الاتجاه بالنسبة لنقاط محددة على سطح الإقليم، ولفهم الخصائص المناخية للإقليم لابد من معرفة الموقع الفلكي للمراكز العمرانية.

ورغم هذا فإن عددا من الباحثين قد أكد أن لا علاقة للموقع الفلكي بقيام المدن وتطورها، حيث أن هناك مدن قامت في المنطقة المدارية كما أن هناك مدنا قامت في المناطق الأشد بردا وفقرا [2].

وعلى هذا الأساس فإن الموقع المقصود هنا هو تحديد مناطق نفوذ المدينة، أي المناطق الواقعة على أطراف المدينة والتي تدين بالولاء في معاملاتها واحتياجاتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية والإدارية للمدينة، ولهذه الأطراف المحيطة بالمدينة تسميات عديدة فمن العلماء من أطلق عليها مصطلح: ظهير، ومنهم من أطلق عليها: نطاق نفوذ ومنطقة التصريف، والمنطقة الرافدة، والمجال الحضري...

وقد انصبت مختلف الأبحاث على دراسة العلاقة المتبادلة بين المدينة وأطرافها أي مناطق النفوذ المحيطة بها، وأبرز المواضيع التي نالت الاهتمام الأكبر في دراسة علم الاجتماع للمجتمعات الحضرية هي هجرة الأيدي العاملة من المناطق المحيطة إلى قلب المدينة، وما خلفته هذه الهجرة من آثار سلبية وإيجابية، حيث أنها وباستقطاب اليد العاملة تحدث تأثيرات إيجابية حيث تعمل على ازدهار المناطق المحيطة بالمدينة من خلال التحويلات والمساعدات المالية التي يرسلها العمال لعائلاتهم، لكن استمرار عملية الهجرة وتفريغ المناطق المحيطة من السواعد الشابة يترك في المقابل آثارا سلبية على حياتها الاقتصادية حيث تتهافت

---
[1] نفس المرجع السابق ، ص 25.
[2] فتحي أبو عيانة، مرجع سابق، ص 145.

أفواج النازحين على الخدمات، وبمرور الزمن تصبح غير كافية على استيفاء أعداد المقبلين عليها، وفي ذات الوقت تعجز المدينة عن استيعاب الأعداد الغفيرة الآتية إليها فتقذف بهم إلى أردأ مكان بها، حيث يصنعون لأنفسهم الأكواخ وبيوت القصدير حيث تفتقد إلى أبسط شروط العيش الكريم ومن هنا تبدأ مشكلات المجتمعات الحضرية.

والواقع أن موضوع الموقع بين التجمع العمراني الرئيسي وما حوله قد أولى له الباحثون كبير اهتمام، حيث يمكن تحديد الموضوعات الرئيسية التي عولجت ضمن هذا المفهوم وهي كالآتي:

1- الدراسات التي تناولت المدينة وإقليمها والعلاقات المتبادلة بينها.

2- الدراسات التي تناولت التغيرات الجغرافية في توزيع السكان وخاصة الهجرات من الأرياف إلى المدن.

3- الدراسات التي تناولت تغير مواضع الصناعة وهجرتها من وسط المدينة إلى الضواحي البعيدة.

4- الدراسات التي اهتمت بتغير مواضع المناطق السكنية وتبدل نطاقاتها من حول المدينة.

وقبل شرح هذه المواضيع من قبل الباحثين الاجتماعيين كان ابن خلدون قد أشار إلى علاقة المدينة بإقليمها من خلال ما يمكن أن يطلق عليه بالتخلخل الإقليمي وهذا مقطع مما قال: "... ولهذا تجد الأمصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة، وبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة الأقطار التي هي مركز الدولة ومقرها، وما ذلك إلا لمجاورة السلطان لهم، وفيض أمواله فيهم كالماء يخضر ما قرب من الأرض إلى أن ينتهي إلى الجفوف على البعد ".

2 . 6 . 2 - تاريخ المجال العمراني:

لا شك أن لتاريخ المكان أهمية كبيرة في جذب السكان أو طردهم، فالتجمع العمراني سواء كان مدينة أو قرية أو حيا يجلب السكان – عادة – بفعل ميزاته المتراكمة عبر التاريخ إذ أن الموضع التاريخي للمدينة – الذي تربعت فوقه عند نشأتها الأولى – يرتبط أساسا بالوظيفة التي شيدت من أجلها المدينة لتؤدي وظيفتها، وقلما تتخلى المدينة عن وظائفها الأولى، بل إنها تحقق تراكما في الوظائف الإدارية والسياسية والخدماتية وغيرها، وتنتقل عبر مراحل تاريخية إلى أن يهفو إليها السكان ليس من المناطق المحيطة بها فحسب بل حتى من المدن الأخرى، وفي عبور المدينة لمختلف مراحل التراكم العمراني والحضاري شبهها " لويس ممفورد " بالكائن الحي حيث أن المحلة العمرانية الواحدة – واحدة من مجموع المدن – تماثل حضارة بأكملها، وقد قدم تصنيفا على أساس الارتفاع الحضاري والسقوط الحضاري ومن خلال ثلاثة مراحل تعلو فيها المدينة (وتصبح مقصدا للسكان للتعمير والاستقرار والاندماج) وثلاثة أخرى تهبط فيها بشكل حاد (حيث يغادرها السكان باتجاه الضواحي والمناطق المحيطة قصد السكن والعودة إليها نهارا قصد العمل والحاجات الأخرى)، ولكنه

لم يستبعد إمكان ازدهار المدينة وعلو مكانتها مرة أخرى بعد السقوط، كما حدث في مدينة روما مثلا، وهذه المراحل هي كالأتي:

1- ما قبل المدينة: (Eopolis) وهي مرحلة ظهور القرية التي تعتمد غالبا على الزراعة والتعدين والصيد.
2- المدينة: (Polis) وهي ظهور مدينة سوق صغيرة بها بعض الصناعات، وتعتمد على إقليم محدد وتخدمه فقط، وغالبا ما تنبثق عن قرية ذات موقع جيد.
3- مدينة كبيرة: (Metropolis) وهي مدينة كبيرة تهيمن على عدد من المدن الأصغر والقرى وتنمو في موقع مناسب، وهذه المدينة يسكنها خليط من السكان (بفعل الوفود إليها) ذوي أموال عديدة وذوي مهن مختلفة، ولها مجال نفوذ مدني واسع، وما تلبث هذه المدينة أن تعاني من الصراع الطبقي ومن مشكلة اندماج الأقليات السكانية العديدة بها ومن تزايد سطوة رجال الأعمال والتجار بها [1].
4- المدينة العملاقة: (Megalopolis) وهنا تأني المدينة التي تسيطر الثروة المادية على حياتها، وتبدأ المنتجات النمطية في الإحلال محل المنتجات الأصلية، ويحل الحجم محل الشكل، ويتعاظم دور البيروقراطية وشرورها، وأبرز أمثلتها: روما في القرن الثاني الميلادي وباريس في القرن الثامن عشر ونيويورك في القرن العشرين.
5- المدينة الطاغية (المستبدة) (Tyrannopolis) وتلك المدينة التي تصبح المباهاة والإنفاق هي مقاييس الحضارة، واللامبالاة تحل محل السلوك السوي الجيد، وتتأرجح التجارة فيها بين التوسع والإنكماش أو الإنتكاس.
6- نيكروبوليس (Nekropolis) أو مدينة الأموات حيث تسود الحرب والمجاعات والأمراض وتنهار الخدمات البلدية وتتدهور المؤسسات الثقافية وتصبح في هذه المرحلة قشورا بالية وأطلالا مثل بابل ونينوي، وهي الأماكن التي لا تدعو أبدا إلى تعميرها واستيطانها.

2 . 6 . 3 - التصنيع في المجال العمراني:

لقد اعتبر موضوع التصنيع لصيقا بقيام المدن – عادة – إضافة إلى العوامل الجغرافية والتاريخية منذ نشأة أولى التجمعات العمرانية رغم أن الصناعة ليست في أصلها خلاقة للمدن بصفة دائمة، رغم أنها ذات دور مدني هام، فكل المدن التي نمت نموا كبيرا في العصر الحديث شهدت تنمية صناعية كبيرة، ذلك لأن الصناعة تقوم معتمدة على المدينة ووسائل المواصلات وتوفر الموارد وغير ذلك [2].

[1] فتحي أبو عيانة، مرجع سابق، ص 227.
[2] فتحي أبو عيانة، مرجع سابق، ص 265.

إلى جانب ذلك فإن وجود الصناعة في المناطق الخالية يجذب السكان لتعمير المجال تحت وطأة الظروف وتكيفا مع الواقع الذي تفرضه شروط العمالة في المنطقة الصناعية (المصانع) وكذا سيطرة المؤسسات البيروقراطية، وازديادالاهتمام بالوقت بعد أن كان عنصرا ثانويا، ونظرا لارتباط العامل بساعات عمل محددة ومنظمة، فليس العامل أو المهني حرا في أداء عمله، وإنما يخضع الصانع لسيطرة أو رئاسة، ولكل منها مسؤولية خاصة تراقب العمل، وتشرف على من يعمل، وعلى كمية ونوع إنتاجه ورصد سلوكه أثناء عمله، بعد أن كان صاحب الحرفة حرا في عمله تعتمد على نفسه لأنه يرأس ذاته [1]، إن هذه الشروط المفروضة في المصانع كفيلة بإحداث وإنشاء مساكن للعمال قرب أماكن العمل، تصاحبها مختلف الخدمات الضرورية ثم الخدمات الغير ضرورية (الكمالية)، وما يميز مدن البلدان النامية هو التفاف البيوت القصديرية حول المصانع ذلك لأن المناطق النائية التي أنشأت عليها المصانع تكون الأقرب للريف عادة، كما تكون أرضا ملكا للدولة مما يسهل للنازحين من الأرياف إقامة سكناتهم بها وبذلك تتشكل نواة لتجمع عمراني مدني يتطور بمرور الأيام بإقبال السكان من جهة وبإقبال أصحاب المشاريع الخدماتية من جهة أخرى ويشجعهم في ذلك انخفاض سعر الأرض.

إضافة إلى ذلك فإن نجاح صناعة ما في مكان ما، يغري صناعات أخرى بالوفود والتوطن، خاصة إذا كانت هذه الصناعات متكاملة مثل صناعة النسيج التي تجذب صناعة الصناعات، وصناعة الحديد والصلب التي تجذب صناعة الآلات والسيارات وعربات السكك الحديدية وغيرها، وذلك كله للاستفادة بمقومات الصناعة الأساسية ومعنى ذلك أن الصناعة تجذب الصناعة، وتنمو بذلك المدينة وتتنوع صناعاتها وتتغير مورفولوجيتها وتزداد الخدمات بها [2].

2 . 6 . 4 - المواصلات وشبكة الطرق:

لقد برزت الشوارع والطرق في المدن كمحور رئيسي في التخطيط منذ فجر التاريخ وذلك لأهميتها سواء داخل التجمعات العمرانية، أو خارجها من خلال الربط بين مختلف التجمعات، ويفسر بعض الدارسين للآثار والمعماريين قيام المدن بأن نشأة المدينة كان لامتداد التعاون والتفاهم من داخل القرية الواحدة إلى القرى القريبة منها والمجاورة لها، فتنشأ طرق القوافل للتبادل التجاري، وإذا تقاطعت الطرق صارت نقطة هامة تجذب إليها الناس، بعضهم جاء للتبادل التجاري، وبعضهم للشراء، وبعضهم الآخر يتخذها مقره الدائم، ويعتمد في معيشته على خدمة المسافرين أو على حرف يدوية وإنتاج، فتتكون عند مقاطع الطرق مراكز للتبادل التجاري، وإذا كبرت واشتهرت جذبت إليها أعدادا

---

[1] قباري إسماعيل، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغيير والتنمية، ص ص 53، 54.
[2] فتحي أبو عيانة، مرجع سابق، ص 278.

أكبر من الناس فتنمو إلى بلد وإلى مدينة، وفي هذه البلدان تتكون العلاقات وتتشابك، وتوضع أصول المعاملة، ويتكون المجتمع وتحاط المدن بالأسوار من أجل الدفاع عنها، وكلما كبرت وازداد النشاط والرخاء جذبت إليهاأعدادا أكبر من الناس، فتتضخم وتكتظ وتتلاصق المباني على طول الطرقات، وهي التي كانت في الأصل طرق القوافل [1].

ولأن المدينة تعتمد بشكل كبير وضروري على التجارة بنوعيها الداخلي والخارجي فإن الزيادة المستمرة في كفاءة وسائل النقل البعيدة كالسفن والقطارات السيارات والطائرات له الأثر البالغ في تطور التجمع العمراني وزيادة نموه [2]، ذلك لأن نمو المراكز الحضرية واتساعها وامتدادها يتمثل في سهولة الاتصالات الدائرة بين الأفراد وفي يسر الانتقال النسبي من مكان إلى آخر، بل إن علماء الاجتماع يؤكدون أن هيكل الاتصال هو أفضل الأسس لتقييم ثقافة مدينة [3].

وإلى جانب ذلك فإنه في حال توفر طرق المواصلات نحو أرض الخلاء، مهما كانت بعيدة سهلت على البشر الوصول إليها واكتشاف مزاياها وما تتوفر عليه من معادن أو أي أسباب للمعيشة الأفضل، واستيطانها وإقامة العمران المناسب لإنشاء حياة في المجال العمراني.

وكلما اكتست الطريق أهمية (في موقعها ونقاط ربطها للأماكن) كلما نمت على جوانبها التجمعات العمرانية، ناهيك عن جودة إنشائها، حيث أنه حاليا تستخدم طرق السيارات من أجل تأمين عبور السيارات المتحركة بسرعات كبيرة، فتصمم لتعبر السيارات كافة مراحل الطريق (منحنيات، استقامات، منخفضات، جسور عبارات..) بسرعات وحمولات معينة وبحيث تؤمن للبضائع والركاب قدرا معينا من الراحة والأمان.

إن الطرق التي تصل التجمعات السكنية والأماكن الإنتاجية الصناعية والزراعية ببعضها البعض مع أماكن التفريغ والتحميل تشكل شبكة الطرقات وهي بهذا تعتبر مرفقا هاما للسكان [4]، ويحدد مسطح شبكة الشوارع المدينة بتوزيع المنشآت الإنتاجية والبيوت السكنية والأبنية العامة والمحطات والمرافئ وكذلك بالربط مع طرقات خارج المدينة، حيث عند توسع المدن يدخل بالتدريج ضمن مجموعة شبكة الشوارع طرقات خارج المدينة، لذا توزع شبكة الشوارع للتجمعات العمرانية الجديدة مع اعتبار وضع شبكة الطرقات في المناطق القريبة من المدينة[5].

من جهة أخرى فإن توزيع الشوارع والتقاطعات والساحات يعد جزءا مهما من التوزيع المعماري العام للتجمع العمراني، فعند تصميم شبكة الشوارع يؤخذ بعين الاعتبار الشكل المعماري العام للساحات المجاورة والكورنيشات والحدائق...

2 . 6 . 4 . 1 - أصـــــــناف الطــرق

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أوت 1988، ص ص 169-170.
[2] محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري، ص 137.
[3] محمد عبد الستار عثمان، ص 170.
[4] محمد زهري حبوس، الطرق والمطارات، القسم الأول، المطبعة الجديدة، دمشق، 1978، ص ص 3، 4.
[5] نفس المرجع السابق، ص ص 374-375.

ويمكن تصنيف الطرقات وفق تصنيفين رئيسيين يستخدمان عادة حسب الشروط الاقتصادية والإدارية :

* - **التصنيف الإداري (التصنيف حسب الفئة)**: تصنف الطرق في الإدارة العمومية حسب الفئة إلى أربعة أصناف هي:

الطرق البلدية: وهي الطرقات المتواجدة داخل حدود البلدية وذات أهمية بسيطة.

الطرق الولائية: وهي طرقات تؤمن المواصلات داخل حدود الولاية.

الطرقات الوطنية: وهي طرقات تمثل مسالك اتصال كبيرة، ولها اهمية مشتركة في البلاد، حيث تربط مختلف الولايات، وتكون تهيئتها وصيانتها على عاتق الدولة.

الطرق السريعة: وهي طرقات وطنية وذات صنف خاص، حيث مميزاتها وخصائصها كالأتي:

- مخصصة للحركة السريعة فقط.
- لا تحتوي على تقاطع مع طرق أخرى.
- ممنوعة على الراجلين والدراجات العادية والعربات المجرورة.
- يمنع توقف العربات والسيارات إلا في حالة الضرورة القصوى.

ولهذه الطرقات السريعة عادة قارعتين.

* - **التصنيف الإداري**: " **حسب البيئة** "

يتوقف هذا التصنيف على السرعة المسموح السير بها على تلك الطرق، وكذا موقع هذه الطريق، حيث تصنف إلى خمسة أصناف أساسية :

الصنف الممتاز: تضمن هذه الطرق الربط لأكبر المراكز الاقتصادية والصناعية، وهي طرق خاصة للتنقل بالوسائل السريعة، وهي ذات قارعتين منفصلتين، وفي بعض الأحيان ذات القارعة الواسعة، حيث يكون تخطيطها على ميدان سهل، قليل التقاطعات، ممنوع للراجلين مثل الطريق الرابط بين الجزائر وهران.

الصنف الأول: هذا النوع من الطرق يوجد في الأراضي السهلة، ولكن في بعض الأحيان يعبر بقرب المباني والتقاطعات حيث يكون مرتبطا بالطرق من الصنف الممتاز مثل الطريق الرابط ما بين جيجل وقسنطينة.

الصنف الثاني: يوجد في الأراضي الصعبة، نوعا ما، أو وعرة، حيث يكون مرتبطا بالولايات المجاورة، ولا توجد به مميزات الصنف الممتاز أو الأول، ويصنف ضمن الطرق الولائية مثل الطريق الرابط بين بسكرة وباتنة.

الصنف الثالث: وهي طرق ضيقة نظرا لوجودها في الجبال أو المسالك الوعرة، حيث تكون في ميدان ذي ضاريس ملتوية،حيث لا يوجد بها أي ارتباط بالأصناف السابقة ولكنها مرتبطة بالدوائر المجاورة مثل: ولاية تيزي وزو والدوائر المجاورة.

الصنف الرابع: وهي الطرق التي تسمى في الإدارة العمومية بالواطئ (Les Pistes) ذات القطاعات العضرية والتضاريس الجد صعبة، وأراضيها لا تسمح بأي توسيع، ولا يكون لها أي ارتباط بالأصناف السابقة من حيث مميزاتها.

2 . 6 . 4 . 2 - مكونات الطرق:

تتــــكون الطريق من العناصر الأساسية

* - **حرم الطريق**: هو عرض الأرضية التابعة للأملاك العامة، أي التابعة للطريق، ولا يمكن استعمالها في مشروع آخر، وقد تكون الطريق في حاجة لها إذا أردنا تعريض الطريق.

- **صحن الطريق**: وهو العرض الذي يشمل المسطحة، بالإضافة إلى الصارف والكتف ومنحدراتها (بمعنى آخر هو العرض الذي يشما الطريق وكل ضرورياته).
- **مسطحة الطريق**: هي المساحة المخصصة للسير (أي بمعنى آخر المساحة التي تشمل القارعة والحاشيتين).
- **قارعة الطريق**: هي مكان مرور وسائل النقل، حيث تتكون القارعة من ممر أو ممرين أو أكثر.

- العناصر الملحة:

- **الحاشيتان**: وتسمى في الطرق الخارجية بالجوانب، وهو مكان توقف السيارات، أو مرور الراجلين أو أصحاب الدرجات.
- **الصارف (الخندق)**: هو مكان صرف مياه الأمطار، حيث مياه الأمطار، حيث يستعمل في الطرف في حالة حفر، وله عدة أشكال.
- **المنحدر الجانبي**: وهو الخط المائل بالنسبة للأفق.
- **السهلة**: ودورها الفصل بين قارعتين، وبالأخص في الطرق السريعة، وفي بعض الحالات داخل المدن، يتراوح عرضها ما بين 1 إلى 2 م، حيث تمكن من توسيع الطريق عرضيا في المستقبل لكثرة الحركة، ضف إلى ذلك أن لها دور جمالي وأمني.

2 . 7 - المرفولوجيا العمرانية:

2 . 7 . 1 – مفهوم المرفولوجيا العمرانية

المرفولولجيا حسب قاموس علم الاجتماع " لعاطف غيث " هي دراسة الصورة والبناء، ويمكن أن تشمل المرفولوجيا على دراسة البناء الجسدي أو اللغوي، أو الاجتماعي، وتعبير المرفولوجيا حسب موريس هالبواك معناه علم الشكل، وهو جزء من البيولوجيا (علم الأحياء)، ويدرس شكل وبنية الأجسام الحية، وتكوين أشكال وبنى جديدة.

ولدى اشتغال العلماء والمفكرين الحضريين بتخطيط المدن وجغرافية العمران فقد تواترت تعبيرات مثل " العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية " واستخدمت مقومات جديدة مثل: " التباين المساحي لسطح

الأرض " ثم أصبحت المناطق الحضرية في العالم الغربي خاصة محل أهمية كبيرة وأصبحت مرفولوجية المدينة أو تركيبها الداخلي مجالا خصبا لتحليل المدن، وترتبط هذه الدراسة بثلاثة تغيرات هي: خطة المدينة، واستخدام الأرض أو وظيفة المباني والأسلوب المعماري للمباني، ورغم أن كل متغير من هذه المتغيرات الثلاثة يبدو مستقلا عن الآخر إلا أنها ترتبط مع بعضها بعضا لتنتج في النهاية مظهرا حضاريا مميزا.

2 . 7 . 2 - **أبعاد المرفولوجيا العمرانية:**

تختلف التجمعات العمرانية من حيث تعقد الحياة بها حسب درجة التركز السكاني والمعماري، ففي التجمعات العمرانية الصغيرة (القرية، الريف) يعتمد السكان مباشرة على الأرض والحياة الطبيعية في المجال، حيث يسحب الماء مباشرة من الأرض ويجمع الطعام مباشرة أيضا، كما بإمكانه إضافة غرفة إلى منزله أو بناء مخزن أو ما شابه ذلك، في حين أن ساكن التجمعات العمرانية الكبيرة (المدينة مثلا) ذات التركز السكاني العالي يواجه أنشطة معقدة ومترابطة مع بعضها، فهو خاضع لقوانين جماعية إذ لا يمكنه إضافة غرفة إلى منزله بدون خطة، ولا يبني بشكل عشوائي بل يخضع لما تخططه البلدية، وإن حدث – ويحدث عادة في البلدان النامية – البناء بدون رخصة وخطة فإن ذلك يجر تشوها على النسق العمراني، ومعنى ذلك أن التركز السكاني في المدينة يؤدي إلى خلق مشاكل ترتبط بالرقعة المبنية بها، وبامتداد المدينة واتساعها ومحاور هذا الاتساع، وهذه الأمور تتعلق بدراسة مرفولوجية المدينة وأشكال النمو والتركيب الداخل بها [1]، وهو ما نعبر عنه بأبعاد مرفولوجية التجمع العمراني والمتمثلة فيما يلي:

2 . 7 . 2 . 1 - **البعد الأفقي (خطة المجال العمراني):**

تختلف التجمعات العمرانية خلال نموها وامتدادها، فهناك التجمعات التي نمت نموا طبيعيا بغير نظام بحكم امتدادها، وهناك تجمعات أخرى نمت وفق خطة موضوعة، وتعتبر المدن التي تخضع لخطة قديمة قدم التفكير المعماري، حيث اتخذت الشكل المستدير أو المربع والمستطيل، وقد صنف المخططون في العصر الحديث ثلاثة أنماط رئيسية هي نماذج لإنشاء المدن أو تعديلها، وهذه الخطط تتأثر إلى حد كبير بموضع المدينة، فالتجمع العمراني الذي بني في بطن الوادي المستطيل يكون شكله مستطيلا ونجد أهم صفاته وجود شارع واحد رئيسي يمتد بطول التجمع في موازاة جوانب الوادي، وإن كان التجمع واقعا عند التقاء واديين يمتد معهما، والتجمع العمراني الواقع على شريط ضيق مطل على البحر وخلفه الجبل ند أنه يمتد على طول هذا الشريط في شكل خطوط متوازية، كما أن التجمعات العمرانية الواقعة عند انحناءات الأنهار تمتد مع انحناء النهر وهكذا.

إلى جانب ذلك فإن وظيفة التجمع العمراني أو المدينة تؤثر في شكل المدينة وخطتها، فمازالت المدن التجارية القديمة تحتفظ بذلك الشارع الطويل المستقيم الذي كانت تنتقل عليه التجارة، كما أن الميناء يجذب الشوارع إلى أرصفتها، والمدينة الدينية أو الجامعة تتأثر في تخطيطها بوجود المكان الديني أو الجامعة [2].

---

1 فتحي أبو عيانة، مرجع سابق، ص 193.

2 نفس المرجع، ص ص 193، 194.

خطة الزوايا القائمة:

تعتبر خطة الزوايا القائمة من أكثر الخطط شيوعا منذ القديم، وتسمى أيضا بـــ " خطة أو نظام الشطرنج "، ويعمل هذا النظام على تقسيم المدينة أو التجمع العمراني إلى عدة أقسام منتظمة تفصلها شوارع مستقيمة ومتعامدة، ولهذا النظام مميزات جعله محببا من طرف المخططين ذلك لأنه يقسم التجمع العمراني إلى قطع صغيرة بسيطة وغير معقدة، حيث ترتفع المباني في سهولة ويسر دون تعقيد في فنون البناء، كما أنه من السهل تقسيم المدينة إلى أجزاء متساوية مما يسهل الخدمة للشرطة ولمصالح البريد وكذلك لكل المصالح التي تعتمد في تسيير المدينة على تقسيم التجمعات العمرانية.

وقد كانت هذه الخطة محببة لدى الرومان، حيث اتبعت في مدنها، وخلفها الاستعمار الفرنسي بشكل ملحوظ في مدن شمال إفريقيا، ونجد مدينة بسكرة –كمثال على ذلك– حيث تحتوي في الجهة الشمالية على مستوطنة فرنسية بنيت وفقا لمخطط شطرنجي يتميز بشوارع متقاطعة ومتماثلة ومحلات سكنية موحدة حجما وشكلا ومساحة في غالبيتها.

الخطة الإشعاعية ذات الدوائر المركزية:

تقوم هذه الخطة على أساس انتظام التجمع العمراني في حلقات دائرية حول المركز المتوسط، بينما تمثل الشوارع أقطار الدائر في الوقت الذي سهل الوصول إلى قلب التجمع العمراني حيث مراكز العمل والنشاط المدني، وهذه الخطة تسهل للتجمع الامتداد والانتشار عبر الأطراف.

لكن هذه الخطة لا تخلو من عيوب، حيث أن أجزاء الخط الدائري بعيدة الصلات عن بعضها البعض، كما أن الشوارع التي تتقاطع أحيانا مع الدوائر وأحيانا أخرى مع الأقطار يؤدي إلى وجود مساحات يصعب الاستفادة منها في البناء.

وإزاء هذه العيوب حاول المخططون القيام بعملية التصحيح حيث جعلت محيطات الدوائر عبارة عن شكل متعدد الزوايا والأضلاع أي جعلها خطوطا منكسرة، وبهذا تصبح المسافات بين كل نقطة وأخرى أقصر، كما أن ذلك يساعد حتى تصبح الرؤية أسهل عند التقاء الشوارع.

الخطة الشريطية أو الخطية :

تعتبر هذه الخطة أكثر تفصيلا من أي وقت مضى، حيث كانت مفضلة للتجمعات العمرانية الصغيرة أو المدن الصغيرة، وكانت استجابة لظروف موضع التجمع مباشرة، وقد اقترح سفن دال " Seven Dahl " نموذجا لمدينة شريطية، تمتد على جانبيه المباني السكنية ويكون هذا الشريان طرق سكك حديدية أو طرق سيارات واسع ممتدا لمسافة تصل إلى 10 كلم، وتقوم الإدارات المختلفة والمراكز الصناعية على امتداد هذه الطريق أو السكة الحديدية التي يجب أن يكون لها محطة كل كلم واحد، ويستطيع السكان هنا أن يمارسوا حياتهم ببساطة شديدة، ويبدو من هذه الخطة أنها تكو نوعا من خطة الزوايا القائمة، ولكنها تتميز بالطول الكبير.

2 . 7 . 2 . 2 - أنماط البناء: (البعد العمودي) :

تختلف أنماط البناء خلال إنشائها طبقا لعوامل، منها ما يرتبط بالعامل الجغرافي كالموضع مثلا، ومنها ما يرتبط بالعامل التاريخي كالوجود الاستعماري والسياسة المنتهجة من طرف السلطات، ومنها ما يتعلق بالأصل القانوني للأرض كالأنماط التي يفضلها واضعو اليد على الأرض، ومنها ما يتعلق بالعامل الوظيفي والخدمات وما يحتاجه المجال العمراني في وظائف وخدمات.

وتتمايز أنماط البناء عن بعضها البعض انطلاقا من أشكالها ومضامينها، من حيث الشكل: فإن المساكن تختلف من حيث المظهر الخارجي أي أنها ليست متجانسة لا من حيث الشكل الهندسي ولا من حيث مادة البناء، وكذلك الحال بالنسبة للسقف وشكله الخارجي.

من حيث المضمون: تختلف المساكن أيضا من حيث التقسيمات الداخلية، فهناك مسكن يتكون من غرفة واحدة ومسكن واحد يتكون من عدة غرف، كما أن الغرف في حد ذاتها تختلف من حيث الحجم من مسكن لآخر.

من حيث المجال الخارجي: هناك مساكن تقع في مجال مفتوح، والبعض الآخر منها يقع ضمن مجال مغلق ونوع آخر يشرف على منطقة خضراء إلى غير ذلك.

وعلى هذا الأساس تصنف أنماط البناء إلى :

النمط الجماعي: وهي العمارات التي تتكون من مجموعة من الطوابق قد تصل إلى 10 طوابق أو أكثر، يشترك سكانها في مدخل واحد، وفي مجال خارجي واحد، كما أن مساكنها متجانسة من حيث التقسيم الداخلي، إلا من حيث الحجم فإنها تختلف في عدد الغرف.

النمط الأوربي: ارتبط هذا النمط من البناء بالاستيطان الفرنسي في الجزائر، حيث وفي كل المدن تقريبا شيدت مجموعة من المساكن تتميز بأشكالها الخارجية المزخرفة وجدرانها السميكة، وسقوفها المغطاة بالقرميد الأحمر، كما تحتوي على مجموعة من الأبواب، وفي معظم الأحيان تتكون من طابقين إلى غاية أربعة طوابق، كما تتميز تقسيماتها الداخلية باتساع غرفها.

نمط الفيلا: هي الأنماط الفخمة التي يتفنن البناءون في أشكالها الخارجية، وقد تحيط بها منطقة خضراء أو حديقة، وقد تسكنها أسرة واحدة أو مجموعة من الأسر تنتمي إلى عائلة واحدة، وهو أفخم نمط تعرفه المدن الجزائرية، وقد ارتبط هذا النمط بالطبقة الأرستقراطية من المحتلين الأوائل واستمر هذا النمط إلى حد الآن من طرف ميسوري الحال.

النمط الفردي: هي عبارة عن مساكن فردية تجمع بين الطابع القديم والحديث من حيث الشكل الخارجي، سقفها عبارة عن ضالة، وتكلفتها بسيطة، وهذا النمط بين الطراز العربي القديم والتطور الحديث.

نمط المحتشدات: هي بيوت متواضعة جدا تتفق كلها في أشكالها الخارجية وتقسيماتها الداخلية، وقد ارتبط اسمها بظروف تاريخية معينة، ففي السنوات الأخيرة من الحرب التحريرية لجأ الاستعمار إلى فرض سياسة المحتشدات التي بنيت خصيصا بهدف فرض العزلة على السكان، وعدم تقديم المساعدات للمقاتلين، وهذه المساكن تشبه الملاجئ وإلى حد كبير، لأنها تفتقر لأدنى الشروط الضرورية للمسكن.

النمط الفوضوي: حسب "الصادق مزهود" في كتابه "أزمة السكن في ضوء المجال العمراني" فإن النمط الفوضوي قد وجد نتيجة تكدس السكان في المدن الكبرى التابعة للبلدان الأقل نموا، وهؤلاء السكان ليست لهم موارد رزق جاءوا من الضواحي واحتلوا مجالا لا يستهان به من المدينة، وغالبا ما يكون هذا المجال عبارة عن مناطق معرضة للفيضانات أو أنها عبارة عن منحدرات.

وقد بنيت هذه المباني بمواد تحصلوا عليها مجانا من أماكن القمامة أو الموانئ أو أماكن التخزين، وهي عبارة عن صفائح من القصدير أو القش، وتفتقر تماما إلى أبسط الشروط الصحية، كما تعكس صورة حقيقية عن فقر المساكن الريفية التي جاءوا منها، ويعد النمط هو الأسوأ الذي عرفه الإنسان، في هذا القرن، وغالبا ما تبدأ هذا النمط بالقصدير بعد الاستحواذ على الأرض، ثم ينتهي بمساكن تبنى بالحجارة ثم الإسمنت، لكن الآثار السلبية تظل عالقة في شكل المنازل وشكل الشوارع التي يخلفها التعمير غير المنتظم، ناهيك عن الآثار الاجتماعية التي تظل عالقة بأذهان السكان من أنها ذات التخلف الأكثر والجرائم وانحراف الأحداث وربما ارتبطت بحوادث مأساوية معينة [1].

2 . 7 . 2 . 3 - البعد التركيبي (استخدام الأرض أو وظيفة المباني):

يعتبر التركيب الحضري الاجتماعي والمكاني للتجمعات الحضرية من أهم العوامل التي تعطي العنوان الأنسب للمجال العمراني، حيث أن التغيرات الأساسية في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أدت إلى التغير في مدى الأنشطة الاجتماعية وكثافتها وإلى ظهور نظم اقتصادية تتطلب أنواعا مختلفة من المهارات والمهن حتى أصبحت المهنة والتعليم من المقاييس العامة في التباين الاجتماعي، كما أدى التباين الوظيفي إلى تزايد ظهور الأنشطة البديلة في التجمعات العمرانية الكبرى خاصة، كما أن التغير الذي شمل سكان الحضر أيضا نجم عنه انعزال الجماعات العرقية، وبهذا ظهرت المناطق المتشابهة في المدينة وبالتالي فهناك ثلاثة أسس مستخلصة هي: المرتبة الاجتماعية (أو الوضع الاقتصادي)، والتحضر (أو الوضع الأسري) والفصل أو العزل (أو الحالة العرقية)، وتقاس هذه الأسس الثلاثة بسلسلة واسعة من المتغيرات التي يمكن الحصول عليها من التعداد.

وتبدو ملامح التجمعات العمرانية على الخريطة أكثر منها على الأرض التي تقوم عليها، سواء كان شكلا متجانسا منتظما أو متنافرا مبعثرا، ويعكس ذلك بطبيعة الحال تظافر العوامل التي ارتبطت بالموضع والمواصلات وتاريخ التجمع.

وفي الواقع يظهر التجمع العمراني من خلال تركيبه مظهرا عمرانيا غير متجانس في الواقع، فمبانيه تتباين في الحجم والشكل والارتفاع والتنظيم بل وفي العمر والوظيفة، كما يتباين توزيع السكان على الرقعة الجغرافية وتختلف الكثافة السكانية بين مناطق هذا التجمع وتتفاوت الحالة الاجتماعية والعرقية وربما اللغوية كما تتمايز الأحياء والمناطق عن بعضها من حيث العمر والتركيب السكاني والتخصص الوظيفي وكذا المستويات الاجتماعية للسكان، فبينما تحتفظ أقدم الأحياء على بقايا أقدم مبانيها، تحتفظ أيضا بأشكال

---

[1] الصادق مزهود. مرجع سابق. ص ص 63.61. بتصرف.

شوارعها الأصلية، في حين تميل أحداث الأحياء في المدينة إلى الظهور قرب الأحياء القديمة أو على أطراف المدينة، وتختلف وظائف الأحياء أو التخصص الوظيفي للأحياء من زمن لآخر تبعا لتحرك السكان والتي تعتبر سمات مميزة للمحلات العمرانية الحضرية.

والتجمعات العمرانية الحضرية والمدينة بشكل عام يتفاوت فيها استخدام الأرض تفاوتا ملحوظا، فالرقعة السكنية في المدينة غير متجانسة على الإطلاق، ذلك أن رحلة واحدة من قلب المدينة إلى الضواحي يكشف عن مجموعة من الاختلافات المتباينة، ففي المدينة الواحدة نجد مناطق للسكن وأخرى للصناعة وثالثة للأعمال التجارية ورابعة للخدمات الإدارية وغيرها، وهي تبدو مفصلة في ما يلي: القلب التجاري (حي التجارة والأعمال):

هو المركز الرئيسي للتجمع العمراني وبؤرة نشاطه الداخلي ويمتاز بكثافة المباني وكثافة المرور، حيث تنتهي إليه معظم الطرق الرئيسية التي تربط التجمع بينه، وتقوم له مقام الشرايين للقلب تدفع له الحركة والنشاط.

وبشكل عام المركز أو القلب التجاري له الخصائص الآتية:

* - **سهولة الوصول**:

هي أبرز ميزة، حيث يمكن الوصول إلى هذا القلب من كل الاتجاهات حيث يستخدم لذلك مختلف وسائل النقل والمواصلات كما أن هذا القلب يكون مرتبطا بنهايات الطرق العامة، حيث هناك اتصال مباشر بيئته وبين المطارات أو محطات السكك الحديدية، كما أنه يوجه إلى حد كبير أنواع النشاط الاقتصادي في هذا القلب، حيث تقام المحلات التجارية الكبرى، مما يوجه النقل السهل في هذا القلب إلى وجود خدمات أخرى غير الخدمات التجارية مثل الشركات والحاسبين والمحامين والأطباء، ومن على شاكلتهم مستفيدين من ظروف الموقع وسهولة الوصول إليه.

* - **ارتفاع قيمة الأرض**:

يؤدي عادة الطلب المتزايد للخدمات المختلفة في قلب التجمع العمراني إلى منافسة شديدة في الحصول على مساحات من الأرض في هذا القلب لإنشاء المحلات التجارية أو المكاتب المختلفة فيه، وهذا ما يؤدي بدوره إلى ارتفاع قيمة الأرض، ثم تحصل كثافة في استخدام الأرض والتي يعكسها تركز المباني العالية، بل والوصول بها إلى أقصى ارتفاع مسموح بذلك استفادة من موقع هذا التجمع الهام.

وكمثال على ذلك نج ناطحات السحاب في المدن الأمريكية حيث حاولت تحقيق الاستفادة القصوى من هذا الموقع في وسط المدينة، وبواسطة المصاعد الكهربائية أدى إلى تركز عدد كبير من العاملين في مساحة صغيرة هي التي تشغلها ناطحات السحاب.

* - **قلة السكان المقيمين**:

تترك المباني عادة في هذا القلب لخدمة الأنشطة المختلفة، ذلك هجر السكان لهذا المركز نحو الأطراف يساعد على تحسين طرق المواصلات، إلى جانب ذلك فإن من الحوافز الرئيسية التي أسهمت في

عدم إقبال على سكن منطقة التجارة والأعمال – أو مغادرته – للسكن خارجه ذلك الارتفاع الهائل في أسعار الأرض به حيث يزيد الطلب على المباني به.

وأمام هذه الظاهرة فإننا نلاحظ الهجرة الداخلية الدائمة على رقعة التجمع العمراني أو المدينة، حيث يتجه السكان من الوسط نحو الأطراف، ومن ثم إعادة توزيع السكان وهجرهم للوسط وإقبالهم على الأطراف وقد حذا ببعض الجغرافيين إلى القول بأن " قلب المدينة – من وجهة النظر الديمغرافية وتوزيع السكان فقط – هو قلب ميت ".

ولعل أبسط مثال على أسباب الهروب نحو الأطراف نجد في الجزائر العاصمة، وفي بن عكنون بالذات أن الإيجار لشقق عادية يصل إلى غاية (20.000 دينار جزائري) أي مليوني سنتيم للإيجار شهريا.

* - **قلة الصناعات :**

ليست الصناعات الإنتاجية مهمة في وسط التجمع العمراني، تماما كالسكان المقيمين، غير أن هناك صناعات متخصصة جدا قد تنشأ بالقرب من هذه المنطقة مثل طباعة الكتب والمجلات والصحف، وبشكل عام فإن الصناعات التي تقوم في هذا الوسط هي صناعات خفيفة يميزها صغر المكان وقلة عدد العمال، وربما كانت الصناعات اليدوية من سماتها المميزة.

* -**المناطق الصناعية :**

لقد كان لتطور الصناعة أثرا كبيرا على شكل المدن ووظائفها، فحين كانت الصناعة بسيطة غير معقدة تعتمد على قوة الريح واستخدام الأخشاب في توليد الطاقة كانت تنتشر عادة في الريف والخلاء، وبمرور الزمن تطورت الصناعة فظهرت المدن الصناعية، والواقع أن هناك بعض الصناعات كالصناعات التحويلية مثلا تستدعي بيئة مدنية ذلك لأنها وحدها تشكل مدينة بكاملها، وتتخلف الصناعات من حيث نوعيها بأمرين حيث أن الصناعات القديمة (الخفيفة) والتي تشتهر بها المدن القديمة، وغالبا ما تكون بجوار منطقة القلب التجاري للاستفادة من وفود العملاء إليه، وكثيرا ما يتجمع أصحاب كل حرفة واحدة في شارع واحد، فتجد شارعا لصناعة الزجاج وآخر لصناعة النحاس وثالث للحدادين ورابع للصاغة، ولا شك أن هذه الصناعات تعتمد بصفة رئيسية على الإقليم المجاور للمدينة لاستهلاك منتجاتها، بينما الصناعات الحديثة (الثقيلة) فهي التي تحتاج لقيامها لمساحات واسعة بقصد إقامة المصانع وتشييد مساكن العمال وربطها بوسائل مواصلات وكذلك سهولة الحصول على المواد اللازمة لها، ولذلك تتجه إلى خارج المدينة يجذبها في ذلك رخص الأرض وسهولة النقل وتمتاز هذه الصناعات بمبانيها الواسعة ذات الحوائط العالية كما يميزها وجود المداخن وخروج العمال ودخولهم لها في مواعيد منتظمة.

كما أن هناك أحياء في المدينة والتجمعات العمرانية الكبيرة عادة تستخدم عددا من القوة العاملة الماهرة مثل صناعة المواد الغذائية والأثاث وكذا تختص في الصناعات الهندسية وغيرها مما تتطلبه المدينة عادة.

*** - المنطقة السكنية:**

تمثل المنطقة السكنية أو الرقعة المسكونة في المجال الحضري العمراني أكبر مساحة، وتتطور المساكن عادة حول نواة التجمع العمراني، ثم لا تلبث أن تتجه خارج المجال وهذا بعد ترك منطقة القلب لمختلف الوظائف، كما يتركز عدد السكان في النطاق الخارجي مقارنة بالقلب أو بالنواة الأولى حيث تزدحم الأطراف بسبب الحركة الداخلية من المركز باتجاه الأطراف وكذا بسبب النزوح من المجالات العمرانية (الريفية والقروية خاصة) المجاورة، إلى جانب أن انخفاض سعر الأرض في الأطراف يعد استقطابا قويا للسكان من مركز المدينة، هذا بالإضافة إلى ظروف المناخ وهو ما يشجع ويساعد على امتداد طرق النقل المختلفة بين المركز والأطراف.

والواقع أن المناطق السكنية في التجمعات العمرانية تختلف باختلال سكانها، فهناك مساكن الطبقة الفقيرة والتي تتميز بالتركز العمراني والاكتظاظ السكاني حيث تفتقر إلى الظروف الصحية، بينما سكن الطبقة المتوسطة فيميلون إلى الابتعاد داخل المدينة السابقة حيث يرتبطون بالمدينة الأصلية، أما الطبقة الراقية ذات الدخل المرتفع فإن مساكنها تتميز بالمباني المتناسقة ذات النمط الواحد تقريبا، إلى جانب نظافة الشوارع واتساع الرقعة المبنية وكذا نقص الكثافة السكانية، ولكل هذه الأسباب عواقب اجتماعية وخيمة منها أن مساكن الطبقة الفقيرة ترتفع لديها معدلات وفيات الأطفال الرضع، ومعدلات الجرائم ونسبة الأمية وينخفض لديها المستوى الاقتصادي والاجتماعي، هذا مقارنة بمساكن الطبقة الغير الفقيرة.

هذا أسس تركيب المدن والتجمعات العمرانية بشكل عام، حيث يختلف هذا التركيب باختلاف وظائف التجمع، فأحيانا تطغى الوظيفة الإدارية وأحيانا الوظيفة التجارية وقد يكون التجمع مدينة جامعية وعليه فإن استخدام يتنوع بتنوع الوظائف الممارسة من طرف السكان ومع ذلك فهناك مظاهر أخرى لاستخدام الأرض.

*** - مظاهر الاستخدام الأخرى:**

إضافة إلى الاستخدامات الرئيسية للأرض، فهناك استخدامات أخرى هي:

الخدمات: وتشتمل على عدة استخدامات مثل الخدمات التعليمية والعلمية (كالمدارس والجامعات وكاتب الدراسات ومراكز البحوث...) والخدمات الثقافية والدينية والترفيهية (المتاحف، النوادي...) والخدمات الصحية (المستشفيات والقطاعات الصحية...).

المناطق المكشوفة: وتشمل الحدائق والمنتزهات، والأرض المفتوحة حيث يتلقى السكان إحساسا بالراحة والجمال، ولذلك نرى أن الأمم كثيرا ما تحرص على هذه المناطق لأنها تمثل رئة التجمع

العمراني حيث يجد الكبار راحة الجلوس والأطفال راحة اللعب (خاصة إذا كانت ملاعب الأندية والمدارس)

النقل والمواصلات: ويشتمل هذا النوع من الاستخدام محطات النقل المختلفة كالسكك الحديدية ومحطات الحافلات وسط التجمعات العمرانية وكذا المطارات، كما تشتمل أيضا مواقع مكاتب البريد والتليفونات والتلغراف.

الحكم والإدارة: وتشمل مقار وحدات الحكم والإدارة وكذلك خدمات الأمن ودور القضاء.

المناطق العسكرية: وتشمل الثكنات العسكرية والمطارات الحربية...

المدافن والجبانات: ولا تخلو منها التجمعات العمرانية أيا كانت، وترتبط في توزيعها بنمو المدينة وتركيب سكانها الديني وربما العرفي.

الأرض الخالية: وتمثل احتياطي النمو العمراني في المستقبل سواء كانت داخل التجمعات العمرانية أو على أطرافها.

المناطق الأثرية: وهذه المناطق تتواجد خاصة في المدن القديمة وكثيرا ما تفضلها السلطات مناطق للإستئثار التاريخي بدلا عن مناطق سكنية أو وظائف أخرى غير السياحية.

6 . 3 - المرفولوجيا الاجتماعية وعلاقاتها بمرفولوجيا العمران:

دراسة العلاقة بين البناء الاجتماعي والبيئة الفيزيقية، وخاصة الصورة المادية التي تميز البناء الاجتماعي لمجتمع معين في بيئة فيزيقية محددة، وفي ضوء نماذج التوزيع المكاني أو نماذج السكان والخدمات، والكثافة السكانية وغير ذلك، وقد صك إميل دو[1]ركايم هذا المصطلح وهو يشبه المفهوم السوسيولوجي المألوف " الأيكولوجيا البشرية " [(2)].

حيث في هذا المجال الاجتماعي يجري الحديث عن الأشكال، ولكن في مفهوم غامض ومجازي في بعض الأحيان، ولذلك يقترح هالبواك المقصود بالبنى والأشكال الاجتماعية فيما يلي:

أولا: شكل توزيع السكان في مساحة الأرض، وهذا واقع مادي محض في مظهره، ينتج عن المكان الماثل أمامنا وعن الظروف المحلية، ويقوم السكان بإنتاج تلك الأشكال الطبيعية المادية، مثلا: مجمع سكاني على جزيرة ما، أو منتشرة في مكان ما، وتشبه التجمعات المدنية كتلا مادية تتمحور حول مركز، وذات محيط واضح تقريبا.

ثانيا: يشبه المجتمع الجسم العضوي، حيث يشكل الرجال والنساء فيه نسيجين حيين كبيرين متقابلين ومكملين لبعضهما، وتمثل الأعمار أطوار التطور المتتالية لخلايا عضو معين أو جسم معين، والمجتمعات البشرية هي ذاتها كتل حية ومادية، لأنها تتكون من كائنات تمثل أجزاء من المكان ومتقاربة لبعضها، ولها مثل جميع الأجسام والأشياء الملموسة حجم وشكل وحتى وزن نوعي، وهي تموت وتفقد أجزاء من

---

[2] محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع ، ص 295.

مكوناتها، وتستبدلها بواسطة الولادات، وتتحرك في شكل القبائل الرحل، والجيوش المتنقلة...، وبشكل عام فهي متحركة العناصر، تتنقل داخليا وخارجيا (دخول وخروج).
ثالثا: يشكل الجانب الثالث في المجتمعات البشرية ما نسميه بالوقائع الأخلاقية إلى جانب كونها تمثل أشكالا مادية، فالقبيلة مثلا أو العائلة هي ذات بنية معقدة ومندمجة مع عائلات أخرى جزئيا، ولو كان تمركزها في المكان غير محدد.

إن قربى الدم، والقربى في المكان لا تكفيان لتكوين العائلة، في تقاليدها وروحها، وإن تنوع علاقات القربى، والدرجات غير المتساوية التي تميز الترابط العائلي تنقلنا إلى عالم من التصورات والحالات العاطفية التي ليس فيها شيء مما هو مادي، وجميع عوامل الشكل والحجم والمكان والمسار الحيوي الذي يمر من جيل إلى آخر، كلها تفسر الآن واقعا مختلفا، أي من الأفكار والحياة النفسية، ولهذا التفسير واقعه كذلك يدخل كما هو في الوعي الذي تكونه العائلة عن ذاتها في تغيراتها وتصرفاتها وتماسكها.

وبهذا يكون هالبواك قد انتقل من الأشكال الظاهرية لاسيما الفيزيائية والجغرافية (الموضع، الحجم، الثقل النوعي) إلى الأوجه العضوية والقياسية للحياة (الجنس والعمر) وبالتالي للبنى السابقة المشابهة، ولكنها متضامنة بوعي جماعي لا ندركه لا نحكم بضرورة افتراض وجوده بشكل معين، على صعيد الدرجتين الأوليين. هذا هو إذن علم الشكل الاجتماعي.

خلاصة الفصل الثاني

لهذا الفصل أهمية قصوى في تحديد بعض المفاهيم ، و إبراز بعض الأدوار لبعض الفراغات ، وبعض الأسباب التي تشكل الصورة و تصنع الفعل على مستوى المدينة ، فالتشوه العمراني في المدينة مثلا لا يمكن إدراكه مالم نقف على أنواع العمران و التمييز بين المخطط و غير المخطط ، لذا فإن هذا الفصل يتعرض لمفهوم العمران والعلاقة الرفيعة بينه و بين الأيكولوجيا في محاولة لمقاربة الواقع من خلال المصطلحات الأيكولوجية المفسرة للظواهر العمرانية، و يتعرض الفصل أيضا لأنواع العمران و حدود الفصل بين العمران المخطط و العشوائي و كيفية النمو العشوائي للعمران في شكله التراكمي و متعدد النويات، إلى جانب ذلك هناك العمليات العمرنية التي يتبيؤ بمقتضاها السكان و الخدمات في المجال .

الفصل الثالث

آثار التحول الديمغرافي على العمران

تمهيد

تمهيد:

عـــندما نـــتحدث عن نمو المراكز الحضرية فإنه يتبادر للأذهان الامتداد الفيزيقي للمديـــنة بواســـطة الـــتزايد المســـتمر لعـــدد السكان واستحضـار- مباشرة- العمليتين الرئيسيتين المتمثلتين في :

- نمو وتزايد أعداد المدن والبيئات الحضرية.
- قـــوى دفع السكان من المناطق الريفية وقوى جذبهم إلى المدن والمراكز الحضرية.

ويعـــالج هـــذا البحـــث عملية التحضر من زاوية واحدة وهي الشكل الذي أثر به الـــتحول الديمغرافـــي علـــى المدينة، وما أفرزه من مظاهر عمرانية، والاقتصار على مجموعـــة النظريات والنماذج الديمغرافية بغض النظر عن نظريات النماذج الاقتصادية والنماذج المرتبطة بالتغير الاجتماعي.

3 . 1- نظريات السكان والعمران:

3 .1.1- النظريات والنماذج الديمغرافية:

وتركز هذه النماذج على أثر التزايد السكاني، وتركيب السكان والتغيرات السكانية وخاصةانتقالهم من المناطق الريفية إلى المدن، ويمكن اعتبار نموذج ديفيس (Davis) مـــثالا لهـــذا النوع من النماذج ، ويتلخص بناء هذا النموذج في أن عملية التحضر تتم نتيجة ما يلي:

- إن التزايد السكاني الطبيعي يؤدي إلى تزايد أحجام المراكز الحضرية مما يؤدي إلى تحول بعض المستوطنات من مجرد قرى صغيرة إلى مدن كبيرة.
- إن التزايد السكاني غير الطبيعي ينتج من حركة انتقال للسكان من مناطق إلى أخرى، وتمثل الهجرة من الأرياف إلى المدن أهم جوانب هذه الحركة [(1)].

ويمكـــن ملاحظة أن حجم الوحدات المكانية المدروسة له علاقة حقيقية بالدينامية الســـكانية، وخاصـــة الأهمية النسبية للهجرات والزيادات الطبيعية، لأنه على المستوى العالمي قد لا تلعب الهجرة لفترة أي دور في التحول السكاني، وعلى المستوى القاري يخضـــع عملها للزيادة الطبيعية، وعلى المستوى الوطني غالبا تزيد أهميتها خاصة في

---

[1] عبد الإله أبو عياش وإسحاق القطب، مرجع سبق ذكره ، ص 106.

الـــدول الصـــغيرة، وعلـــى المستوى المحلي فربما تعتبر العامل الرئيسي في التحول السكاني [1].

3 .2.1- نظريات نمو المدينة (الإمتداد الفيزيقي للمدينة):

إن الإعتماد على الأيكولوجيا كمدخل منهجي من شأنه أن يتناول المدينة بالدراسة كونهـــا ظاهرة اجتماعية، ويحلل مظاهر تركيبها الحضري وأشكال التأثير والتأثر فيما بين مختلف القوى المشكلة لها، وقد حدت هذه المقاربة بالباحثين إلى تقسيم المدينة إلى مناطق اجتماعية متمايزة عن بعضها وأبرز هؤلاء العلماء بيرجس في 1925.

ويعتـــبر القلب التجاري أكثر مناطق المدينة تأثيرا وتوجيها للجماعات البشرية في بقـــية المناطق، وذلك أن السكان في الدوائر المحيطة يحاولون غزو منطقة القلب لتحل محـــل ســـكان آخرين يتوجهون نحو الضواحي، ويؤدي ذلك إلى عملية فصل اجتماعي بيـــن ســـكان المديـــنة، وإن كان يرتبط بأسعار الأرض في المقام الأول، أي بظروف الطلـــب علـــى الأرض، وتكون المحصلة النهائية ظهور عمليات بيئية كالغزو والتتابع والاســـتيعاب والفصـــل حـــتى تصبح المناطق الطبيعية هي الأساس في تقسيم المدينة وتتصف بتشابه الحياة والمساكن، وتنمى العادات المميزة لها بمضي الوقت[2].

3 .1.2.1- نظرية بيرجس (نظرية الحلقات المتعاقبة ذات المركز الواحد):

ابـــتدع بـــيرجس نظرية تقسيم المدينة، وطبقها على مدينة شيكاغو، وتعرف هذه الـــنظرية بإســـم نظـــرية المناطق الحلقية (الدائرية) ذات المركز الواحد، حيث وضع نموذجـــا ووصفا بيانيا للطريقة التي تنمو بها المدينة وتنظيمها المساحي، وقد عالج نمو المديـــنة فـــي ضوء امتدادها الفيزيقي وتمايزها في المكان، وقد أكد أن أسعار الأرض وســـهولة الوصـــول تـــبلغ أقصاها في قلب المدينة[3] وتوضح هذه النظرية أن المدينة تتركب وظيفيا من عدة مناطق متعاقبة بشكل دائري على النحو الآتي:

---

1 جون كلارك، مرجع سبق ذكره، ص 36.

2 فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

3 حميد خروف وبلقاسم سلاطنية واسماعيل قيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 21، 22.

3 . 1 . 2 . 1 . 1 – المنطقة المركزية أو النواة:

التـــي تنتهي إليها خطوط المواصلات التي تصب في المدينة، وتتميز هذه المنطقة بأنهـــا أقدم مناطق المدينة، وقد أزيلت المباني القديمة وحلت محلها مباني جديدة، وتقوم هــذه المنطقة بالوظائف التجارية والإدارية والثقافية، ونظرا لأفضلية الموقع من حيث سهولة الوصول إليه أدى ذلك إلى زيادة الطلب على الأرض وارتفاع أسعارها.

3 . 1 . 2 . 1 . 2 – المنطقة الانتقالية أو التحول:

وهـــي التـــي تحـــيط بنواة المدينة وتتصف بسوء الأحوال، حيث تشغلها الأحياء الســـكنية الفقـــيرة، ويسكنها المهاجرون، كما تنتشر فيها الصناعات الخفيفة والشركات الـــتجار[1]يـــة (2)، وهـــي ناتجـــة عـــن التوسع والنمو الذي تتعرض له منطقة الأعمال المركـــزية، وهي في تغير مستمر، وتتميز بكثافة سكانية عاليـــة وانخفاض ملحوظ في الدخل الفردي وانتشار الأمراض الاجتماعية كظهور التفكك الشخصي والاجتماعي (3).

وحســـب بـــيرجس فـــإن المـــنطقة الأولى تمتد فيزيقيا من خلال عمليتي الغزو والاحتلال على حساب المنطقة هذه التي تتوسع هي الأخرى وتغزو المنطقة الموالية.

3 . 1 . 2. 1 .3 – منطقة سكن العمال:

وهـــي خاصة بالعمال وأصحاب المهن، وأولئك الذين يفضلون السكن على مقربة مـــن مكـــان العمـــل، والواضح أن قاطني المنطقة الثالثة لهم تطلعات لتحسين مستوى معيشة أطفالهم ودفعهم لصعود السلم الاجتماعي (الحراك) (4).

3 . 1 . 2 . 1 . 4 – منطقة سكنية أفضل:

وهـــي خاصـــة بالطـــبقة المتوســـطة وتوجد بها مساكن خاصة وأخرى مشتركة وتتضـــمن مســـاكن الأسرة الواحدة وأحياء الأعمال المحلية والشقق والعمارات الجميلة وبعض فنادق الإقامة، ويسكن هذه المنطقة أصحاب المهن وصغار المنظمين.

---

[2] فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

[3] حميد خروف وبلقاسم سلاطنية واسماعيل قيرة، مرجع سبق ذكره، ص 36.

[4] نفس المرجع السابق . ص 37.

3 . 1 . 2 . 1 . 5 – منطقة السفر اليومي أو الضواحي:

الضواحي السكنية على الأطراف أو المنطقة التي يسكنها الذين يفدون إلى المدينة فـــي رحلة يومية، أي يقومون برحلة ما بين مكان العمل داخل المدينة والسكن في هذه الأطـــراف وهـــم من الطبقات العليا والعليا– وسطى، كما يمكن أن تكون هذه المنطقة مقرا لبعض الأحياء المتخصصة وتتكون من عدة نويات مبعثرة تمتد أساسا على امتداد خطوط المواصلات الطويلة التي تخترق المدينة.

لقد أوضحت هذه النظرية أن المدينة تنمو وتتوسع في شكل حلقات ودوائر وتمثل هذه الحلقات الخمس مناطق متتابعة من الامتداد الحضري، وهنا نجد بيرجس يتخذ من فكـــرة الـــنمو والتوسع ليدرس عمليتي الغزو والاحتلال، أي أن توسع منطقة الأعمال المركزية يؤدي إلى غزوها للمنطقة الثانية، وتوسع هذه الأخيرة يؤدي إلى غزو الثالثة، كما أوضح أنه كلما ازدادت المسافة بعدا عن مركز المدينة، كان هناك ميل نحو زيادة أحجام القطع الأرضية، وانخفاض في كثافة التملك.

ولكـــن هذه النظرية – نظرية بيرجس – تنطوي على وضع مثالي نظري حسب صـــاحبها، وأن مديـــنة شيكاغو التي استمدت منها هذه النظرية يقترب نمطها من هذا الوضـــع، ولذا فهو كان يتوقع أن يجد اختلافا وتعديلا في فكرته إذا طبقت على المدن الأخرى.

إن فحـــوى هذه النظرية يعتمد على أن نمو المدينة يتجه من الداخل نحو الخارج وأن نطاقاتها الدائرية تتعاقب الواحدة تلو الأخرى، وينبغي أن يكون واضحا أن نظرية بـــيرجس فـــي الـــنمو الحضـــري تنطبق على المدن الغربية فقط التي توجد في أوربا وأمـــريكا الشمالية واستراليا، وأما في القارات الأخرى فإن الوضع يختلف حيث توجد إحدى المساكن في منطقة الأعمال والتجارة والأحياء الوسطى كما توجد الأحياء السيئة ومدن الصفيح على الأطراف [1].

3 . 2.2.1– نظرية القطاعات:

بعـــد بيرجس اقترح هويت (Hoyt) نظرية جديدة تقوم على أساس تقسيم المدينة إلـــى قطاعـــات – كرد فعل على الانتقادات التي تعرضت لها نظرية بيرجس – حيث

---

[1] فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص 120.

أدخل القطاع كبديل لمفهوم الحلقات والدوائر المتتابعة، وتفترض هذه النظرية أن خطوط المواصلات تصنع قطاعات تمتد عبر المناطق الحلقية التي أشارت إليها نظرية بيرجس وهي في هذا تلتقي في الواقع، والنمو يتجه صوب الأطراف، لأن الوظائف الأخرى الداخلية قد تنمو خطيا في نفس الاتجاه الخارجي، وإزاء تحليل هويت لنمو المدينة أوضح أن تحديد سكن القطاعات أو سكن الطبقات الاجتماعية تعتمد على القيم الايجارية، وقد درس بصفة خاصة متغير الدخل، واتضح له أن مايحدد انتشار المناطق السكنية هو دخل الأفراد، وما يحكم التركيب الداخلي للمدن هو الطرق التي تخرج من قلب المدينة في اتجاه الأطراف، وهذه المناطق السكنية تنقسم إلى ثلاثة قطاعات رئيسية إلى جانب مناطق النشاطات التجارية في مركز المدينة:

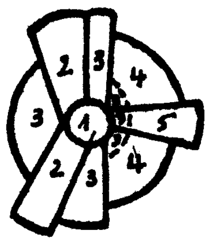
- قطاع الإيجارات المنخفضة، ويضم العمال ذوي الدخول المحدودة.
- قطاع الإيجارات المتوسطة، ويضم الأفراد ذوي الدخول المتوسطة.
- قطاع الإيجارات المرتفعة، ويضم الأغنياء ذوي الدخول المرتفعة.

كما أكد أن النمو الحضري يتحدد في ضوء امتداد النمط السائد من أنماط استخدام الأرض، ونظر إلى المدينة كدائرة، وإلى المناطق المختلفة كقطاعات، كما أوضح أن النمو الحضري يتم بأقصى سرعته على خطوط النقل الرئيسية وعلى الخطوط الأقل مقاومة.

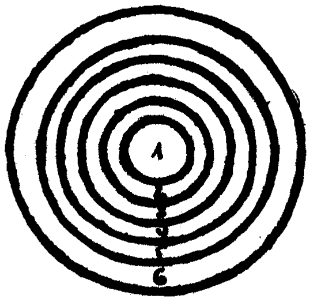
لكن هذه النظرية تتميز بمحدوديتها وضيق نطاق تطبيقها، بسبب انطلاقها من نمط أيكولوجي محدد يعكس واقع بعض المدن في فترة تاريخية معينة.

وعلى العموم فإن هذه النظرية تضع أسسا هندسية صارمة لنمو المدن، ولكن الواقع غير ذلك، حيث أثبتت الدراسة الميدانية لكثير من المدن أن لكل مدينة حديثة أو حتى قديمة شخصيتها ومناطقها الخاصة، كما أن لكل منها منطقة قلب مركزي له ملامحه المميزة وتتركز به التجارة والإدارة ونهايات الطرق المؤدية إلى المدينة، وتمتد الأحياء السكنية بالابتعاد عن هذا القلب وعلى محاور الطرق الرئيسية ولكل حي من هذه الأحياء منطقة تجارية مصغرة خاصة به.

التركيب الداخلي للمدينــــــة



نظريــــة القطاعــــات



نظرية المناطــق المتمركـزة

الأحيـــاء :

1ـ حـــي الأعمال المركـــزي .

2ـ حـــي البيع بالجملة والمنتجات الخفيفة .

3ـ إقامـــة الطبقة السفـــلى .

4ـ إقامـــة الطبقة المتوســــطة .

5ـ إقامـــة الطبقة العلـــيا .

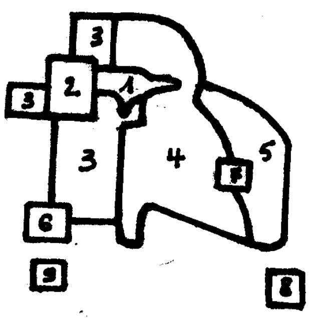
6ـ الصناعـــات الثقيـلة .

7ـ حـــي أعـــمال خـــارجي .

8ـ ضاحـــية سكنيـــة .

9ـ ضاحـــية صناعيـــة .

10ـ منطقـــة السفر اليـــومي .



تعدد الأنويــــــة

3 . 3.2.1- نظرية النويات المتعددة :

تقوم هذه النظرية على أساس أن الكثير من المدن - في نمط استعمالها للأرض - لا تبنى حول مركز واحد فحسب، بل حول عدة مراكز أو أنوية قد تبدأ من عمق المدينة، وقد تنمو مع نمو المدينة واستمالتها للهجرة والتخصص [1]، وتنطبق نظرية التعدد النووي بوضوح على المدن التي تضم أثناء توسعها عددا من القرى والمدن الصغيرة المجاورة التي تحتوي كل منها نواة صغيرة للنمو في داخل المحيط الحضري في النهاية، ويمكن أن تنطبق هذه النظرية على كثير من مدن آسيا وإفريقيا والتي تتصف على الأقل بوجود نواة أوربية وأخرى وطنية، ومن أمثلة تلك النويات:

- نواة النشاطات التجارية والخدمات الرئيسية في مركز المدينة.
- نواة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة.
- نواة الصناعات على أطراف المدينة.

وقد كشف لنا عن جانب آخر من مسألة تعدد النويات حينما أشار إلى اختلافها من ناحية العدد، نظرا لتباين التطور التاريخي من مدينة لأخرى وتأكيدها لتمددها وتخصصها تبعا لكبرها، ولقد تحول الباحثان بعد ذلك إلى مناقشة توزيع المناطق السكنية حول النويات المؤثرة في النمو الحضري، فأوضحا أن بعضها لذوي الدخل المحدود وبعضها الآخر لذوي الدخل المتوسط،وبعضها الثالث لذوي الدخل المرتفع.

كما يبدو واضحا من النظرية أن وظائف محددة مثل الصناعة الثقيلة تميل إلى الظهور على امتداد الجبهات المائية ومواقع السكك الحديدية منفصلة بذلك عن الأحياء السكنية الجيدة، بينما تميل الصناعات الخفيفة مثل الملابس إلى الاستفادة من المواقع المركزية والأحياء السكنية وما إن تستقر بعض الأنشطة الحضرية حول النويات الثانوية حتى تتحول إلى حي مميز وظيفيا ينمو ويتوسع هو الآخر.

كما أن هناك أربعة عوامل تؤثر على توزيع الأنشطة في المدينة هي:

1- تتطلب بعض الأنشطة تسهيلات خاصة، توجد في أجزاء محددة من المدينة، مثلا: منطقة الأعمال المركزية التي تتطلب سهولة في الوصول إليها.

---

[1] حسن عبد الحميد رشوان، المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب ت، ص 37.

2- تستفيد بعض الأنشطة من وجودها في مكان واحد -تجاورها- كما هو الحال في الصناعة ومحل إقامة الطبقة العاملة.

3- تميل بعض الأنشطة إلى أن تكون متعارضة، وأن يكون تأثير بعضها سلبيا، الأمر الذي يقلل من احتمال تواجدها في مكان واحد كما هو الحال في تعارض تجاور المصانع لمساكن الطبقة الراقية.

4- لا تستطيع بعض الأنشطة الحصول على المواقع الممتازة الشيء الذي يدفعها للبحث عن مواقع أقل مرغوبا فيها وذات إيجار منخفض، ومن أمثلة تلك الأنشطة: مناطق التخزين التي تقع في المناطق الفقيرة الهامشية.

والواقع أن ما نظرية من تلك النظريات تنطبق على مدينة معينة انطباقا كاملا، بل يوجد في معظم المدن أكثر من نموذج أو نمط من استعمال الأرض، وكلما استطعنا أن نتفهم تلك النماذج والأنماط كان في إمكاننا أن نقيم التطلعات المستقبلية للمدن وترتيب أجزاءها.

3 . 2 – آثار التحول الديمغرافي في تشويه العمران

3 . 2 . 1 - آليات تأثير التحول الديمغرافي في التشوه العمراني.

في غياب التخطيط الاجتماعي، وتحت الضغط الديمغرافي المستمر، وغير المتوقع وغير المحسوب له قبل حدوثه في المجال الحضري، ينمو العمران ويتطور، ويتشكل بنفس سرعة السكان في المجيء ولكن بطريقة مشوهة، حيث تفقد العمارة عناصرها الأساسية، وتتخذ طابع المأوى فقط في عنصرها الوظيفي، إذ تفقد عنصر المسكن البشري بكل ما يحمله من وظيفة ومتانة واقتصاد وجمال، ويقع التشوه العمراني بفعل التحول الديمغرافي عادة على مستويين اثنين:

المستوى المعماري:

تتظافر الأسباب الاجتماعية كعلاقات الجوار والأمن والأقتصاد وغيرها مع العنصر الديمغرافي لتنتج وضعا مختل التوازن حيث أن حجم الأسرة المتزايد -عادة- والذي يصل إلى 7 أفراد في المسكن على مستوى الوطن – على سبيل المثال – وقد يزيد ،لا يستوعبه المسكن – في ظل القدرة المادية والشرائية المتدنية للسكان – سواء

في المساحة أو عدد الغرف، وهو ما يدفع بالكثيرين إلى البحث عن مأوى بطرق شتى (قانونية، غير قانونية، كالاستلاف من الغير لمدة معينة، أو الكراء أو الشراء في بعض الأحيان لأولئك المضطرين الذين لم تتح لهم فرصة مشروعة للحصول على مسكن، سيما العائلات الجديدة من الشباب...) ولذا فإن إشكالية عدم الاستقرار تظل واردة ما دامت العائلة تشهد تحولات اجتماعية تتعلق بعدد الأفراد.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يعمد آخرون إلى تحوير المجال العمراني، ففي المجال الداخلي، وحسب د. بلقاسم ذيب فإن هذه التحويرات تتخذ صورا مختلفة لمحاولة المستعمل الانسجام مع الغلاف المعماري ولاستيعاب حجم الأسرة ولو بالتضحية بمجال حيوي في المسكن، حيث يتراجع العنصر المعماري المتمثل في الحوش، ووسط الدار، والصحن، والذي كان يلعب دورا اجتماعيا ووظيفيا مناخيا (خاصة في المناسبات العائلية والأفراح والأعياد...)، وحلول النظرة الاقتصادية للمجال، وإدخال أنظمة إنشائية جديدة تحكمها مقاييس تقنية تتعلق بأبعاد الجدران، وأحجام الغرف، وأنظمة قاسية للهياكل تسمح بسرعة الإنجاز، والتي تم بواسطتها إنجاز معظم المناطق الحضرية للسكن الحديث التي كان لها الأثر السلبي على تجميع أفراد العائلة الكبيرة والتواصل بينهم، كما كانوا عليه من قبل، حيث حدد المسكن لحجم عائلي متوسط من (6-7) أفراد، كما أن قيمة الدار، كإنتاج ذاتي للمستعمل تفقد قيمتها الاجتماعية والثقافية وتحد من طموحات الفرد وتكبح نمو العائلة.

كما أن الطبيعة القانونية للمسكن تحد كثيرا من صلاحيات المستعمل في التصرف في مجاله الخاص وخوفا من الإجراءات القانونية تتحول ردة فعله إلى مقاومة ذاتية تتمثل في الحد من نمو حجم العائلة والاستعانة بالأهل لضمان مجال آخر يأوي بعض أفراد العائلة، وانتظار الدور للحصول على مسكن آخر بواسطة عائلة جديدة (عائلة الابن المتزوج التي يمكنها إيواء بعض أفراد العائلة كالأم ولو مؤقتا...)، وكثيرا ما تظهر المعاناة في شكل آخر وهي أن السكن تحت سقف يمتاز بالملامح الحديثة في كل ما تنم عنه من خصائص مادية وسلبيات نفسية اجتماعية.

أما في حالة عدم الخوف من الإجراءات القانونية فإن الأسرة وإن لم تجد مكانا آخر ملائم لحجم أفرادها وتطلعاتهم كشراء بيت فردي أو قطعة أرض وبنائها، فإنها

تعتمد إلى أمر آخر وهو تغيير المجال الداخلي باستحداث مجالات إضافية عادة تكون غرف نوم، وهذا محاولة من المستعمل من التكيف مع المجال في حدود ما يسمح به النظام الإنشائي وموارده المادية وكثيرا ما يلحق هذا التغيير تشوها على المستوى الخارجي، حيث أن المستعمل الذي يقوم بغلق الشرفة ويحولها لغرفة نوم أو مطبخ أو ما شابه ذلك، يصنع مجالا آخر غير متناسق لونا وشكلا وحتى مادة في الواجهات، وينتج هناك تلوثا بصريا لا يعكس القيمة الحضارية لهذه المجمعات، ولا الصورة المعمارية التي تروق للناظر في معظم النواحي كاللون ومواد البناء والتضارب في الأشكال، باعتبار أن المجال بجزئيه الداخلي والخارجي هو وحدة متكاملة.

كما يسجل د. بلقاسم ذيب في أطروحته – من خلال أطروحته التي تناول فيها مدينتي بسكرة وباتنة بالدارسة، حيث وتحت وطأة الحجم العالي لأفراد الأسرة تنشأ لديهم حسب التملك للمجال الخارجي – يسجل تعديا صارخا على الإنسان من قبل الإنسان على مستوى المساكن الجماعية، هذا زيادة على خرق القواعد العمرانية المتعلقة على الخصوص بالمصلحة العامة أو المجال العام الذي يعتبر قانونا وعرفا تحت استعمال الأفراد، غير أنه لاحظ أن تلك القواعد لا تخرج من الظل لتطبق نظرا لأسباب تصب في خانة المرض الاجتماعي أو الخلل في منظومة بأكملها.

ومن ضمن ما سجل – من خلال دراسته – كشاهد على ذلك، استغلال السطح – في المساكن الجماعية – الموجودة فوق الرواق المعد في اصلح لحركة الراجلين والمحلات التجارية الموجودة بالطابق الأرضي، إذ يقدم مستعملو شقتين متقابلتين في جناح من العمارة على بناء ذلك السطح وتحويله لمسطحة قابلة للاستعمال مع شق الجدار الخارجي للمبنى على مستوى الشرفة، وفي الجهة المجاورة يعمد مستعمل آخر لشق الجدار بنفس الطريقة وزيادة ارتفاع السطح ليجد مكانا لخزن الماء الذي يظهر وبكل وضوح على الواجهة، علما أنع استغل الرواق بالطابق الأرضي الموالي لمرآبه.

بينما الصورة الثانية فتتمثل في احتلال المجال الخارجي والتعامل معه وكأنه ملك للشخص الذي يستغله كمساحة خضراء أو كمرآب لسيارته أو مدخلا لمحله، دون مراعاة لما ينجر عن ذلك من تشويه للمجال واستهلاك للمساحة الخضراء التي كان من المفروض أن تكون بدلا عن ذلك.

وفـي مديـنة بسـكرة سجل الدكتور صورة لاستغلال المجال الخارجي بصورة عشـوائية لا تزيد إلا في تدني قيمة المجال – رغم أنه كان بالإمكان الاستغلال الأمثل لهذا المجال من قبل المستعملين كمساحة خضراء – حيث يحدد ويسيج بباب، ومن ثم تغطيه جزء كبير من الواجهة لحساب مستعمل واحد، أو محاولة استغلاله فوضويا مما يزيد في تشويه منظر الواجهة أو يحول ذلك المجال لبؤرة تجمع فيها القمامة.

إن صورا كهذه لسلوكات مستعملي المجال قد نجد لها مبررات في عملية تخطيط المسكن لكن ذلك لا ينبغي كونها تؤثر وبشكل ملحوظ على البيئة الصحية، حيث يكرس التلوث البصري عند تغيير الصورة المرئية للإنسان في هذه البيئة، فضلا عن الأشكال والمـواد والألـوان غير المنسجمة مع البيئة المدركة، وذلك ما يفضي للاكتئاب والقلق مما يزيد في عزلة المستعمل وهجران المجال ومن ثم إهماله.

هـذا مـن جهة، من جهة أخرى وعلى مستوى التجزئات، يفتح المواطنون الباب واسعا لتجزئة المساحة الممنوحة وبيعها أجزاء، حيث أن المستعملين الذين لم يتيسر لهم إنجـاز تلك المساحات يعمدون لتجزئتها وبيع جزء منها لضمان إنجاز الجزء الباقي مع أن الـتجزئات تقسم وتباع بعد طول تفكير ودراسة للوصول إلى تنظيم عمراني جيد لا يشـوبه أي تشوه، لكن هذه التجزئة من قبل المستعملين تصنع مجالا يشغله ذوو الميول الـتجارية، فـيعمدون إلى التجزئة وتحقيق الميول حتى وإن لم يكن المكان ملائما لذلك سواء من الناحية الصحية أو الجمالية.

وفـي حالـة العائلـة الممتدة كثيرة العدد أو الأسرة التي يتزوج أبناؤها ويظلون مقيميـن في نفس المسكن فإن التجزئة يستغل بشكل أفقي حيث ينجز على نفس المجال مسـكنان متجاوران بمدخلين منفصلين وجدار مشترك يفصل بينهما، كما يمكن لكليهما أن يسـتفيد مـن الإضاءة والتشميس والتهوية من خلال فناء مشترك يربط بينهما عادة مدخـل يمكـن اسـتعماله في حالات معينة، وقد يستغل بشكل رأسي حيث يفرد مدخل موحد في أغلب الأحيان يؤدي إلى بئر السلم الذي يفصل بين طابقين (أرضي وعلوي) دون تجـزئة قطعة الأرض [ويبدو هذا حالا لا يخرق القانون التنظيمي للتجزئة]، لكن فـي الواقـع هذا الإنتاج المعماري في الواقع لا يمتثل لبعض القواعد المسطرة للتنظيم خاصـة مـنها تغيـير الواجهة وتجاوز الارتفاعات المحددة، فضلا عن تحويل وظيفة

الطابق الأرضي، وتغييب المساحة الخضراء من الواجهة (الفيراندا)، وكذا عدم احترام معامل الاستهلاك الأرضي، مما ينقص من القيمة الصحية للمسكن.

ومادام نموذج العائلة الممتدة يحظى بالعناية في المدينة الجزائرية -كذا كما له من مـزايا كثـيرة كالأمـن والاقتصـاد التي تتجسد في التعاون على مغالبة أعباء الحياة الحضـرية، هـذا فضـلا عن الجانب القيمي والأخلاقي في المجتمع- فإنها -المدينة- ستظل تشهد إنتاجا معماريا بهذه الصفة من الاستغلال للعقار.

وهكـذا تظـل العلاقـة بين الإنسان والمكان في جدلية مستمرة ففي الوقت الذي يحـافظ فيه الفرد على العدد الكبير لأفراد أسرته يصطدم مع الواقع المعماري الذي لا يستوعب هذا العدد فيعمد إلى تحوير المسكن وتحويل الوظائف والاستحواذ على المجال الخارجـي بشـتى الطـرق تكييفا مع الوضع القائم، ويتحول بموجب ذلك المعمار إلى مجرد مأوى لا يلبي إلا الجانب الوظيفي في غالبيته على حساب الجوانب الأخرى، وما ينـتج هـو نسـيج عمراني يفتقر للتناسق سواء في طريقة الإنجاز أو مواد البناء، أو الأشـكال العمرانـية، ناهـيك عـن الـنمط المعماري الذي لا يستوعب كل الحاجات الإنسانية.

أمـا علـى مستوى **التنظيم العمراني** فإن التحول الديمغرافي بشكليه – النقصان والـزيادة – يـؤدي إلى تشوه عمراني بالغ الخطورة، حيث أن التحول بالنقصان سواء بزيادة الوفيات (بسبب الأمراض والأوبئة والحروب...) أو عن طريق الهجرة ومغادرة المكـان، حيـث يخـرج السكان، فيظل العمران مهجورا وكثيرا ما يتعرض للإهمال تصاحبه في ذلك عوامل التعرية الطبيعية فتؤول السكنات إلى السقوط والزوال، وكمثال على ذلك نجد في الجزائر القصور الموجودة في ....؟

بيـنما التحول بالزيادة الذي ينجم خاصة عن الهجرة والنزوح، فهو الأخطر على التنظـيم العمراني، نظرا لما تنطوي عليه عملية الهجرة والنزوح والانتقال المكاني من مظاهـر ماديـة ونفسية وقيمية، ذلك أن تغيير البيئة من شأنه أن يفرز مظاهر سلوكية تسـتهجن عـادة في المحيط الجديد، نظرا لما تصنعه من تشوه على الصعيد العمراني

والمعمـــاري، حيـــث وفـــي غياب التخطيط والتوجيه الجمعي (*) يظهر التعارض بين المصـــالح الشخصـــية ومصـــالح الجماعـــة في المواقف الاجتماعية المتعلقة بالتنظيم العمرانـــي، وحيـــن لا يواجـــه الفرد أو النازح من الريف أو المرتحل من البادية أثناء اســـتقراره بالمكان مشكلة الاختيار بين مسايرة مصالحه وأهدافه الشخصية أو إخضاع مصـــالحه الخاصـــة لمصـــالح الجماعة أو الأفراد الآخرين ورفاهيتهم، فيؤسس مسكنه بطريقـــته الخاصة تماشيا مع ظروفه الاقتصادية – وهي متدنية عادة – حيث يضع اليد علـــى أرض لـــم تخطـــط وتقـــع عادة على أطراف المدينة وهي الأقرب إلى موطنه الأصـــلي، ينشئ كوخا متواضعا، أو ينصب خيمة – إن كان بدويا – ويستحوذ على ما حولهـــا من مساحة لمواشيه وحيواناته وبعض أغراضه، وفي ذات الوقت يرمي بنفاياته خـــارج المجال، وبمرور الزمن يزدحم المكان بالوافدين من واضعي اليد، وفي غياب ترشيد الاستقرار بالمكان وفي غياب التخطيط ومعالم الطرق والأرصفة تتباين المساحة المستحوذ عليها من طرف كل ساكن، كما تتباين الواجهات، وتتباين وسائل الإقامة بين مـــن ينصـــب الخـــيمة المصـــنوعة من الشعر إلى البناء بالطين والحجر والصفيح أو الإســـمنت، وحتى بعد تدخل الجهات المعنية بالتنظيم العمراني تسوى الوضعية القانونية للعقـــار المستحوذ عليه، لكنه يظل يحتفظ بشكله القديم، الدائري أو المستطيل أو المربع .....، وربمـــا يظل الكوخ أو البيت القصديري على حاله مادام صاحبه ذا دخل محدود، ولمـــا تـــنمو المدينة وتمتد عمرانيا وتلتهم المكان، فإن هذا التنظيم العمراني يظل جيبا قرويا يحمل بصمات أصحابه الأصليين وشاهدا حقبة تاريخية معينة.

وإزاء هذا التنقل الأيكولوجي يتحرك الأفراد بين موقع فيزيقي لآخر، وفي غياب التخطـــيط الاجتماعـــي الحضـــري (*) يكتظ السكان في مجال ضيق والذي يمثل عادة النقطة الأقرب إلى وجود الماء أو الأقرب للوصول إلى المدينة، دون تجانس من حيث

* التوجيه الذاتي – والتوجيه الجمعي: التعارض بين المصالح الشخصية ومصالح الجماعة في المواقف الاجتماعية، حيـــن يواجه الفرد، في موقف اجتماعي معين، مشكلة الاختيار بين مسايرة مصالحه وأهدافه الشخصية أو إخضاع مصالحه الخاصة لمصالح الجماعة أو الأفراد والآخرين ورفهيتهم، عاطف غيث، القاموس، ص 407.

* التخطـــيط الاجتماعي الحضري هو تخطيط اجتماعي لمدينة أو لمنطقة حضرية كبيرة توجهه أو تقوم بتنسيقه هيئة إقليمـــية، ويـــرجع التخطـــيط الاجتماعي الحضري إلى أقدم العصور، ويمكن أن يشمل التخطيط من هذا النوع إلى تخطـــيط المناطق، وتنظيم المرافق الصحية، والصحة العامة، والمواصلات، ووسائل الاتصال، وأي مجال آخر من المجالات التي يعتبرها المجتمع أو قيادته من الأمور الهامة لتحقيق أهدافه العليا، عاطف غيث، القاموس، ص 331.

المســتوى الثقافــي والمهنــي وكذا الانتماء الاثني ودون خطة شاملة للمجال العمراني تمــتص رغــبات كــل السكان، تحصل المضاربة العمرانية، ويتنصل كل فرد من كل الضــوابط والقيود التي تفرضها قواعد تعمير المجال، فأول مظهر يبدو هو التلقائية في التعمــير حيــث يبني كل ساكن مسكنه في موقع حسب ذوقه، يجعل وجهته كيفما شاء وواجهته كيفما شاء وكذا مواد البناء حيث قد نجد في المعمار الواحد كل أصناف مواد البــناء مما يفقده كل مسحة من جمال ولأن المسكن أنجز بمواد غير متينة فيظل لفترة طويلــة في مرحلة الإنجاز دون أن يكتمل وتتخلل هذه الفترة عمليات الصيانة والترميم والإضافة خاصة أن السكان يعمدون عادة إلى بيع جزء من العقار لإنجاز الجزء الآخر فينــتج فــي النهاية تجمعا تمتاز بناياته بصغر المساحة، لكن ذو الأصول الريفية عادة يمــيلون إلــى تشكيل الأسر الممتدة بدلا عن النووية، فيتزوج الأبناء في نفس المسكن ويكتظ المكان بالأفراد وبالتدريج يعمد الساكن إلى احتواء الفضاءات الخارجية المحاذية لمســكنه لربط مواشيه أو وسائل تنقله أو حتى لوضع دلو القمامة، وفي هذه الأثناء – مــع الحاجة إلى فضاء يحتوي الأفراد – يغيب عن فكره إنشاء مساحة خضراء بل كل مــا شــغله هو الاستحواذ على المجال الماثل أمامه وضمه بمرور الزمن إلى ممتلكاته الخاصــة، ولــذا في نهاية الأمر ينتج لدينا عمرانا تتنوع فيه أنماط البناء، وتختلف فيه مــواد البــناء، يخضــع فيه تخطيط الشوارع إلى التلقائية، والتي تتفرع عنها الشوارع الحــادة والضــيقة والملــتوية، والممرات والممرات المغلقة...، وكل أصناف مجالات المــرور التــي تصعب عملية السير أكثر ما تكون قد نشأت لأجلها أصلا، فالأرصفة تغيــب معالمها في هذه الأثناء، وكل عناصر الطريق لا يبدو لها أثر إزاء هذا، وأحيانا تجــد شوارع لا تدخلها السيارات أبدا ليس لأنها غير معبدة فقط بل لأنها لا تتسع لذلك وإن اتســعت فهي غير مستقيمة، ففي التجمعات العمرانية المشوهة قد تصطف المنازل علــى شــارع ما مع وجود منازل شاذة تخرج عن مستوى الاصطفاف إلى غاية ثلاثة أمــتار، وهذا النوع من الشوارع، خاصة إن كان في قلب التجمع العمراني يسبب أعقد المشــكلات إزاء تهيــئة المجال خاصة بالماء والغاز والصرف الصحي، وهو ما يفسر تأخر العملية لسنوات عدة وهو ما يزيد أيضا في المظاهر السلبية كالاكتظاظ العمراني حــول مصدر الحياة دون تنظيم وكذا قذارة الشوارع، حيث أن السكان يضعون فتحات

أسـفل جدار الواجهة أو ينشئون ميزابا من أعلى تتدفق منه المياه القذرة باتجاه قارعة الطـريق، وهـو ما يؤدي إلى إعطاء منظر مشوه ومقزز للشارع، إلى جانب ذلك فإن المراحيض إما أن ترمي مخلفاتها في آبار تحفر خصيصا لذلك وسط الشوارع وإما أن ترمـي بهـا فـي دلـو القمامة وهو ما يسبب أعتى الأمراض، ولذا فإن هذه المناطق المشـوهة تشـكو عادة من تردي الأحوال الصحية، من جهة أخرى فإن هذه المناطق المشوهة تشكو عادة من انعدام الكهرباء وبالتالي فهي تفتقر إلى الإنارة العمومية مما لا يسمح لها بمواكبة الحياة وإنجاز الأعمال إلا مع إشراقة الشمس.

إن اكتظاظ المجال بالمباني المكتظة بالسكان من شأنه ألا يدع حيزا آخر للمرافق العمومية، كوجود المدرسة والمستشفى، وحتى إنشاء محطات تحويل الكهرباء التي من شـأنها خدمـة السكان في بيوتهم، ولهذه الأسباب وغيرها تجد هذه المناطق المشوهة عمرانيا متخلفة في كل مجالات المعيشة سواء السكنية والصحية والتعليمية وغيرها.

إذا كـان الـنمو الديمغرافـي الطبيعـي يؤدي بالساكن حتما إلى تشويه الفضاء المسـكون بتحوير الوظائف وتحويل الواجهات واحتلال المجالات الأخرى فإن النزوح الريفـي والاسـتقرار البدوي من شانه أن ينشئ عمرانا مشوها منذ البداية، وذلك بنقل ثقافـة المجـتمع الأصلي إلى المناطق الحضرية وغرسها بالقوة، ذلك أن توحيد وجهة الواجهـة لكل السكنات أمرا بالغ الصعوبة، وترميم المسكن أو إصلاحه هو أصعب من هدمـه نهائيا، وحصول التجمع العمراني على كل الخدمات هو أصعب وأعقد أمر في ظل نظام الشوارع والمباني الفوضوية والمشوهة.

كما أن التشوه الناجم عن النمو الديمغرافي قد يقضي عليه بقوة القانون حيث يلجأ القـائمون علـى التنظيم العمراني إلى الساكن وإجباره بقوة القانون إلى إعادة المجال المسـكون إلـى طبيعـته الأولى، بترك ما استحوذ عليه،... بينما تكمن الصعوبة في الـتجمعات التـي جـاءت عن طريق النزوح الريفي، ذلك أن إجراءات الإصلاح هي أصعب من إجراءات الهدم والإزالة.

3. 2 . 2 – الآثار العمرانية الناجمة عن التحول الديمغرافي :

3 . 2. 1.2– النمو العمراني التلقائي:

إن التوســـع الحضري غير المخطط والتلقائي يعتبر ظاهرة عامة تميز المجالات الحضـــرية في البلدان النامية، وهي ناتجة عن المعاملات العقارية غير المشروعة بين المواطنيـــن وتشـــيد المســـاكن دون التقـــيد بمعايير البناء والسكن الحضري، وغياب المراقـــبة، ولهذا فإن مساكن هذه المناطق تبقى بدون تجهيز لمدة معينة، وتجهيز بصفة بعدية بالمرافق الضرورية، من طرقات وماء وكهرباء وقنوات تطهير وغيرها.

إن هذا الوضع يعكس الخلل الواضح الذي تعيشه هذه المراكز من حيث إمكانياتها الاقتصـــادية في توفير مناصب الشغل وإمكانياتها الاجتماعية من حيث توفير الشروط الضرورية للعيش وفي مقدمتها المسكن.

وهـــذا الخلل لا يؤدي إلى التوسع الحضري التلقائي فقط، وإنما يؤدي إلى حدوث اضطرابات في تسيير المؤسسات الحضرية نفسها، وأن النمو الديمغرافي الذي تتميز به العائلـــة المهاجرة يلعب دورا مهما في هذا التوسع، وذلك بسبب التزايد السريع للحاجة إلى المسكن.

3 . 2 . 2 . 2 – الاختلال المرفولوجي العمراني:

<u>3 . 1.2.2– تعدد أشكال النمو العمراني:</u>

لقـــد تبيـــن أن النمو غير الاقتصادي والاجتماعي، هو في الواقع يمثل نوعا من الـــنمو الغـــير المخطط، تجده يتخذ أشكالا من النمو الحضري لا تتلاءم مع احتياجات الوافديـــن إلـــى المدن، وهذا ما يخالف علم التخطيط الحضري باعتبار أن المهاجرين يرغـــبون في الإقامة بالمناطق التي تتوفر فيها – إلى حد ما – بعض الخصائص التي تتطلـــبها علاقـــاتهم مع الأماكن القريبة من سوق العمل المتاحة في المدن، ومن ثم فإن المنطقة المفضلة لدى المهاجرين في المدينة تتسم بما يلي:

- موقع ملائم تتوفر فيه وسائل النقل الدائمة، وتتواجد مثل هذه المواقع في المـــناطق القريبة من الطرق العامة لتوفير وسائل النقل التي تعمل على تسهيل مهمة سكانها في التنقل من موقع السكن إلى موقع العمل.

- إقامـــة لا تتطلب من المهاجر أن يلتزم بها حيث لا تكون لديه ارتباطات قوية، وليست لديه أدنى المسؤوليات ولا يتطلب استيعاب ممتلكات منقولة تعمل على ارتباطه بمكان الإقامة.
- إن تجمـــع أعـــداد كبيرة من المهاجرين في مناطق كثيرة ما تصبح هذه المـــناطق في المدن إضافات سكنية غير مرغوب فيها من طرف المدن باعتبارها مناطق متخلفة غير مخططة ومن ثمة يتضح أن النمو ف=غير المخطط للمدن يحتوي على عدة أنماط من النمو (1).

* – النمو الشريطي:

ينتشر هذا النوع من النمو على أطراف المدن من خلال تحويل الأرض الزراعية إلـــى مـــناطق ســـكنية جديـــدة دون إذن قانوني، وهذا في غياب السيطرة على النمط العمراني في ضواحي المدن، كما أنه ينتشر على أطراف الطرق الرئيسية للمواصلات وخطـــوط السكك الحديدية المؤدية للمدن، وأن انتشار النمو الشريطي في المدن يؤدي إلى إفراز مشاكل اجتماعية واقتصادية، تتطلب منذ البداية موقفا صارما وحلولا حاسمة لإيقافـــه، وإلا تحولت الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن إلى مناطق سكن للمهاجرين وهـــذا يزيد من مطالب سكانها بالنسبة للمرافق العامة والخدمات الاجتماعية، وهذا أمر قد يفوق الإمكانيات المادية المتاحة للمدن.

* – النمو الحضري الخطي:

يعـــتمد الـــنمو الحضري الخطي في انتشاره على حركة واتساع وامتداد كل من المدن الرئيسية الكبرى والمراكز الحضرية الأخرى وهذا من خلال امتداد الطرق التي تـــربط فـــيما بينها مكونة بذلك مراكز حضرية صغيرة تظهر على شكل عنقود، وذلك علـــى امتداد الخطوط الطولية القريبة من شبكة المواصلات الرئيسية التي تتقاطع فيها مع مراكز سكانية ريفية وذلك على طول المحاور العديدة والمختلفة (2).

---

[1] أحمد بوذراع . مرجع سبق ذكره .ص 164 .

[2] نفس المرجع السابق ، ص 164.

* - الاندماج الحضري:

للاندماج الحضري علاقة وثيقة بالنمو الخطي إذا ما ترك وشانه دون تدخل حيث يـؤدي فـي الـنهاية إلى انتشار الاندماج الحضري، بصورة تدريجية حتى يتم اندماج المدن المجاورة ببعضها لتصبح منطقة حضرية واحدة.

ويتضـح فـي هذا المجال أن الوضع السيئ لأحوال المدن في العالم الثالث كان سـببه ظاهـرة التضخم الحضري الذي نجده يعوق كل الإمكانات المادية المتوفرة لدى المدن، كما أنه كان سببا في تعرض أغلب المدن إلى نمو غير مخطط وكان من نتائجه ظهور المناطق السكنية الحضرية المتخلفة وانتشارها بشكل واسع.

3 . 2 .2.2.2- تعدد أنماط البناء في التجمع العمراني:

إن الـنظر إلى العمران وأشكال التجمع كبنى مادية للفئات والمجموعات السكانية التي تنتظم بها الواقع، يوضع كيفية توزيع أنماط البناء على مساحة المجال، وحيث أن الهجـرة الواسـعة والمنتقلة أحيانا تؤدي إلى ظاهرة ساهمت في تعدد أصول ومشارب القادمين، أي في ضعف التجانس الاجتماعي والاقتصادي للساكنين ضمن مجال واحد، وهو ما ساهم في تدهور وتفكك المدن – وفي بلدنا أدى إلى تحطيم الفضاءات التقليدية الحميمة فيها – [1].

وهـذا ما يطرح وجها آخر لعلم الشكل يتعلق بالطبقات: من حيث ترتيبها المادي، واستعداداتها وتنقلاتها في المكان، فتخلق الصناعة الكبيرة تجمعات واسعة وكثيفة، غير أنـه يظهـر لمن يمر عبر أحياء مدينة مزدحمة بالسكان، أن كل حي يتميز عن الآخر بالمستوى الاجتماعي لفئة سكانه، وفي نفس الوقت بنمط تجمع السكان في أبنية مسكونة بكـثافة، أم فـي بيوت متباعدة في الفسحات المتروكة بين الأحياء المبنية قديما، على مقربة من المصانع، وفي المناطق المحيطة حيث تكون خارج المدينة، وليس في الريف كذلـك، وفـي الواقع تكون كل مدينة مؤلفة من عدة مجموعات تقوم إحداها إلى جانب الأخـرى، وتتناسب في الغالب مع عدد من الطبقات اقتصادية المختلفة [2]، حيث يبدو الـتجمع العمرانـي من خلال تركيبه مظهرا عمرانيا غير متجانس في الواقع، فالمباني

---

1 جاسم الدباغ، العمارة وتخطيط المدن في المناطق الحارة، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني" المدينة الجزائرية المعاصرة التحديات و الآفاق " جامعة قسنطينة .ماي 2001.

2 موريس هالبواك، مرجع سبق ذكره . ص 64.

تتباين في الحجم والشكل والارتفاع والتنظيم بل وفي العمر والوظيفة، كما يتباين توزيع السكان على هذه الرقعة، وتختلف الكثافة السكانية بين كل وحدة جوار وأخرى، بل وبين مسكن وآخر، وكذا الحالات الاجتماعية والإثنية وربما اللغوية.

ففي المدن الشرقية يمثل الحي كتلة بنائية صلدة واطئة تتخللها (فراغات) أروقة وأفنية وأزقة ضيقة، قد تبدو للناظر المتعجل غير كافية نسبة إلى الكثافة السكانية للحي، لكنها تتميز بكتلة بنائية متعاشقة مع الطبيعة الأفقية، مقارنة اليوم مع مراكز المدن ذات الأبنية المتعددة الطوابق. وإن ارتفاع الأبنية جعل الواجهات معرضة مباشرة لأشعة الشمس وإلى العواصف الرملية والترابية، إن هذه المقارنة تسمح بتفسير سبب الشعور بالراحة في الدار ذات النمط التقليدي ذات الفناء المفتوح مقارنة بالسكن الجماعي المرتفع المنتشر اليوم، كما تمكن المقارنة بالمسكن المنفرد (الفيلا) ذو النمط الغربي المفتوح إلى الخارج.

كما أن الجدران السميكة المشتركة مع الجار تضمن العزل الحراري أفضل من أي المعالجات المعاصرة في السكن الغربي الطراز، لذا فإن ساحات الجلوس المسقفة (في الطابق الأول والأرضي كمساحات مفتوحة مسقفة كأروقة) توفر أماكن للجلوس والمسامرة، إضافة إلى كونها مساحات لنشر الغسيل، فهي تعالج مشكلة تصاميم المساكن الحديثة التي تفتقد لمساحات لعمل ربات البيوت للطبخ أو نشر الغسيل (السشوار) وهنا نتجاوز المناظر السيئة في الواجهات عند تجفيف الملابس[1].

هذه بعض مزايا المساكن التقليدية التي تتلاءم مع طبيعة مناخ المنطقة، ومع ذلك فإن معظم الناس تقبل على السكنات الجماعية بما توفره من اقتصاد في أرض البناء ومواد الإنجاز.

هذا بالنسبة للمدن الشرقية، أما في مدن أوربا وأمريكا مثلا فإن المناطق السكنية في المدينة تختلف باختلاف سكانها، فهناك مساكن الطبقة الفقيرة وتتميز باكتظاظها بالسكان بدرجة كبيرة، وعدم اتباع الوسائل الصحية في التهوية غالبا ما تكون بعض أجزائها مناطق القذارة في المدينة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا نجد أحياء بكاملها للطبقة الفقيرة جدا ومخصصة لسكن الزنوج، وكأنها مدينة داخل مدينة، أما

---

[1] جاسم الدباغ . مرجع سبق ذكره .

ســكنى الطــبقة المتوسطة فيميل إلى الابتعاد داخل المنطقة السابقة، وإن كان مرتبطا بالمديــنة الأصلية في معظم الأحيان، وتتميز المدينة في الوقت الحاضر بوجود مساكن للطــبقة الراقية ذات الدخل المرتفع، وهذه تتميز مبانيها بأنها على نسق شبه موحد، كما أنهــا تتمــيز بالنظافة والهدوء وغالبا ما تكون منازلها قائمة بمفردها، ولكن لكل منها حديقة خاصة وتتصف المباني السكنية في المدينة بتزايد أحجامها وتكلفتها وتباعدها عن وســط المديــنة بمرور الوقت، وتتصف الأحياء السكنية الأشد فقرا بسمات مميزة في مســاكنها وســاكنيها، حيــث ترتفع معدلات الوفيات للأطفال الرضع، وكذلك معدلات الجــرائم إذا قورنــت بالأحياء المدينة، كما ترتفع فيها نسبة الأمية وينخفض المستوى الاقتصادي الاجتماعي.

إذا كــان السكان في الدول المتقدمة يصنعون أحياء تميزهم حسب طبقاتهم وفئاتهم الاجتماعــية ومســتوياتهم المادية، فإنه في العالم المتخلف يصنعون مساكن خاصة بهم لكــن ضــمن حي واحد أو مجال عمراني واحد، حيث تجد الفيلا تنصب شامخة بأبهة وكــبرياء يلتصق بها كوخ أو بناية آيلة للزوال، كما قد نجد مسكنا تقليديا يقابله مسكن جماعي أو ما شابه مما يخالفه، إن السكان الوافدين، وبتعدد مشاربهم ومناهلهم يضعون مساكنهم حسب تلك المشارب والمناهل، وإن لم يشاركوا في صنع ما يسكنون – خاصة فــي البــنايات الجماعــية – فهــم يعمدون إلى تحوير ما وجدوه تبعا لأنماط تفكيرهم وأعــرافهم وتقالــيدهم لذا فإن التجمع العمراني الواحد في بلداننا يكاد يشمل كل أنماط البناء في وقت واحد.

3 . 2 .3.2– التركز العمراني على الهامش:

إن مــن نــتائج الخلل الذي يصيب المدن التي تعرضت لهجرة ريفية، هو انتشار ظاهــرة الحياة الاجتماعية الهامشية بالنسبة للنازحين الذين يجدون أنفسهم على هامش الحــياة الحضرية مكدسين في الأكواخ والأحياء المتخلفة وبدون مأوى أحيانا، وهذا لما تصطدم آمال الريفيين النازحين بالواقع الحضري الذي لا يستجيب لهذه الآمال[1].

[1] محمــد بوخلــوف، التوطين الصناعي وآثاره العمرانية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، الجزائر، 1995.

وقــد وجــد بيترســون في 1971 أن المهاجرين الجدد يميلون إلى الإقامة على الهامس الحضري الريفي، حيث يتجه المهاجرون القادمون إلى التركز في المدن القديمة علـــى هامش المدينة القريب من موطنهم الأصلي، أو في أراضي الفضاء التي استولوا عليها بواسطة وضع اليد في وسط المدينة أو الضواحي.

ففـــي مديـــنة طهـــران مثلا وضع معاكس، حيث يعيش كثير من المهاجرين في الخانـــات أو الفنادق الواقعة بجنوب المدينة، وقد يقومون بالتنقل من مكان لآخر، بينما يعـــيش البعض من المهاجرين مع ذويهم وأقاربهم بعضا من الوقت، أما بالنسبة لعمال البـــناء فـــإن غالبيتهم يعيشون في موقع العمل جنبا إلى جنب مع عمال من نفس القرية وقد تركوا أسرهم بمنازلهم بالقرية [1].

وإن اكـــثر مـــا يحقـــق التشـــوه العمراني التحول الديمغرافي عن طريق النزوح الريفـــي، حيـــث يختار النازحون مناطق تبعا لسعر الأرض أحيانا وأحيانا أخرى عن طريق غزو الأرض بدون ترخيص لتشكل بيوتهم وأكواخهم حزاما حول المدينة تمتزج فـــيه الحـــياة الريفـــية والحضرية، وتتخذ تجمعاتهم العمرانية أشكالا وأنواعا تعتبر كل واحـــدة منها امتداد للأخرى، حيث تتخذ في البداية شكل الحافة الريفية – الحضرية، ثم شكل الضاحية وتتطور الضاحية لتصبح حيا له مميزاته الخاصة، وتبقى مميزات أولى اللبنات بصمات شاهدة على فترة معينة من الزمن من خلال الجيوب القرية في المجتمع الحضري، وفي ما يلي تفصيل أم هذه التجمعات :

الحافة الريفية الحضرية:

يطلـــق على هذه المنطقة في مجال استخدام الأرض " منطقة الاختلاف الكبير "، ويطلـــق علـــيها " المـــنطقة الخالـــية مـــن السكان "، وكلا التعبيرين مشتق من كثرة الاستخدامات التي تزخر بها هذه المنطقة في إطار العمران البشري، ومن المعروف أن المديـــنة لا تنمو نحو الأطراف في حلقات محددة تماما بمعدلات متباينة الامتداد بشكل حـــاد فـــي الـــبعض الآخر، وتعد هذه الحقيقة إحدى الصفات الرئيسية لنطاق الحافات الحضـــرية، وعلـــى ذلك تتعدد استخدامات الأرض قي نطاق الحافات الحضرية بشكل ملحـــوظ، وهـــي في ذلك تتراوح بين الزراعة التقليدية والقرى البسيطة القديمة التي لم

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مشكلة المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، 1997، ص ص 63-69.

تــتأثر بالمديــنة، إلى الضياع الحديثة والقرى المتطورة، ومن المتاجر المتواضعة إلى المســتودعات التجارية الكبرى متعددة الأغراض، وتكون السمة الغالبة هي الاستخدام غــير المخطــط أو غــير المنضبط، ولذا يبدو في مظهره النهائي خليط من الوظائف المتعددة في أطراف المدينة، فمن المسالخ والمستودعات ومحطات الكهرباء والصرف الصحي (المجاري)، والمرافق ما تلبث هذه المرافق أن يبتلعها النمو الحضري وتصبح داخــل الأحــياء السكنية، وكثيرة هي المقابر ومستشفيات الأمراض العقلية التي ميزت الكثير من حواف التجمعات العمرانية ثم لا تلبث أن يمتد إليها العمران الحديث، فتختلط المظاهــر الســابقة بالمظاهر الحديثة فينتج نسيج عمراني غير متجانس، بل وعشوائي يعكس حالة ساكنيها ومستواهم المادي والاجتماعي، وقد حدد Colledge في دراسة عن مدينة سيدني سبعة فروض عن الحافة الحضرية وهي :[1]

1. أن نمط إشغال (إعمار أو استخدام) الأرض نمط دائم التغير.
2. أن المزارع تتميز بصغر الحجم.
3. أن إنتاج المحاصيل كثيف.
4. أن السكان ليسو ثابتين بل متحركين، وذي كثافة منخفضة أو معتدلة.
5. أن التوسع السكني سريع.
6. النقص في الخدمات والاستعمالات العامة المتحاة.
7. من الشائع أن المباني تتسم بالمضاربة.

وتتمــيز الحافة الحضرية بشكل عام بمظاهر تكاد تكون عامة في كل المناطق في العــالم وهي: الفصل أو العزل العمراني بين هذه المنطقة وبين المدينة التي نشأت على حافتها، والهجرة الانتقالية، حيث تشهد دائما حركة الوافدين التي لا تكاد تنقطع، وحركة الانــتقال اليومي خاصة إذا توفرت الطرق الرئيسية للمواصلات وكذا وسائل النقل التي تســمح بالتكــيف مــع كــل الأوضاع في المنطقة، هذا إلى جانب تدهور الهيراركية الجغرافــية أو الاجتماعية على اعتبار أن هذه المنشآت الأولى لتجمعات عمرانية كبيرة سرعان ما تختلف مظاهر عمرانية غير لائقة وظروف اجتماعية وصحية غير مرغوب فيها، وهذا كله في غياب عملية التخطيط لاحتواء هذه المجالات من الأرض.

---

[1] فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص ص 213-214.

* - الضاحية:

هـي مجـتمع صـغير يمثل جزءا من منطقة حضرية، محيطة بمدينة مركزية ومعـتمدة علـيها، وقد ترتبط الضاحية بمدينة متروبولية أو غير متروبوليتية، ومع أن الضـاحية تعتبر مستقلة سياسيا عن المدينة المركزية، إلا أنها معتمدة عليها اقتصاديا، إمـا بالنسبة للعمالة، أو السلع، أو الخدمات أو العمال (أو مزيج من هذه الجوانب)، هذا وتـتوقف طبيعة العلاقة بين الضاحية والمدينة المركزية على نموذج الضاحية، كما أن مصطلح الضاحية ينطوي على درجة معينة من التنظيم المجتمعي، وهذا ما يميزها عن الطـرف الحضـري [1]، ويربط بين الضواحي والمدينة طرق المواصلات، إذ وخلال الحديـث عـن الـنمو متعدد النويات للمدينة يبدو أن إنشاء ضواحي سكنية بعيدة عن الـنويات الأصلية وفي وجود وسائل المواصلات مع توفر الطرق المعبدة خاصة، من شأنه أن يستقطب أكبر عدد من الوافدين، سواء بهجرة السكان الريفيين – وهذا ما يميز دول العـالم الثالث – أو بالهجرة من قلب المدينة – وهذا ما يميز مدن العالم المتقدم حيـث يهاجر الناس طلبا للراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة [2] – وتسمى هذه الظاهـرة بـ " الـتحرك نحو الضواحي (Suburbanisation)" وتعني حركة السكان والخدمـات مـن المدن الكبرى إلى المناطق المحيطة بها، مع ما يترتب على ذلك من وجود مجموعة ضواحي خارج نطاق حدودها السياسية، ويعتبر التحرك نحو الضواحي انعكاسا لعمليات "التشتت" و"التخلخل".

وتظـل الضـاحية مرتبطة بالمدينة الأصلية بواسطة طرق المواصلات – التي لعبـت دورا حاسما في نشأتها –، وباستمرار نمو المدينة الأصلية من جهة والضاحية مـن جهـة أخرى، ما يلبث العمران أن يتداخل ويلتصق، وتصبح الضاحية التي كانت بعـيدة عـن المديـنة حـيا مـن أحيائها، وتبدو المدينة كمجمعة ضخمة، لها أطراف وضواحي أخرى جديدة من الريف المجاور.

وللضواحي أنواع هي:

---

[1] محمد عاطف غيث. قاموس علم الإجتماع. مرجع سبق ذكره . ص 477.

[2] فتحي أبو عيانة.مرجع سبق ذكره . ص 206.

ضواحي تموين المدينة:

تتمــيز كل المدن الكبرى بوجود ضواحي تمونها بالألبان والخضراوات الطازجة والفاكهــة، وتكــون هذه الضواحي قائمة على سهل – عادة – تتميز بالزراعة الكثيفة، وتعــتمد علــى أســمدة معظمها عضوي آت من المدينة، وبهذه الطريقة تساعد المدينة بدورها في تنمية هذه الضواحي [1].

الضواحي الصناعية:

تعتبر هذه الضواحي مركزا للتصنيع، ففي المراكز الميتروبوليتية تتركز الصناعة خارج المدينة المركزية نظرا لانخفاض ثمن الأرض والضرائب، وسهولة النقل، ولهذا تعتــبر صناعية في طبيعتها [2]، مستفيدة كثيرا من ظروف الموضع المحلي، وقد تقوم هــذه المصـــانع بقرب المدينة – أو على مسافة أبعد قليلا منها –، وترتبط بها بطرق ســهلة حــتى تــتم رحلة العمال اليومية من قلب المدينة إلى مكان العمل، وكثيرة هي المصـــانع التي تتجه إلى بناء مساكن للعمال والموظفين بالقرب منها، وتصبح الضاحية صـــناعية آنــذاك، ولكنها تظل مرتبطة بالمدينة الأصلية، وباستمرار نمو الضاحية من جهــة والمدينة من جهة أخرى ما يلبث عمران التجمعين أن يتداخل ويتلاصق وتصبح الضاحية حيا من أحياء هذه المدينة، وهذا الإمتداد يعكس حيوية ونمو السكان والإسكان بالضاحية، وقد قسم " هاري Harri " عام 1943 الضواحي إلى خمسة أنواع هي:

1. ضواحي صناعية يقدم إليها سكان المدينة للعمل في مصانعها.
2. ضواحي صناعية يقطنها العاملون بها وهي بذلك تصبح مدينة تابعة.
3. ضواحي شبه سكنية، وشبه صناعية.
4. ضواحي تركز المهاجرين من الريف.
5. ضواحي تعدينية وصناعية في أقاليم التعدين.

الضواحي السكنية:

هـــي الضواحي التي تنشا بالقرب من المدينة للسكن فقط، وإنشاء بعض الخدمات المرتــبطة بذلك، وقد ميز بعض الباحثين بين الضواحي السكنية للطبقة العليا، وأخرى

[1] فتحي أبو عيانة . مرجع سبق ذكره . ص

[2] محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع .

للطبقة المتوسطة [1] وهي تمثل منطقة إقامة حيث لا توفر العمالة لمعظم سكانها، كما أنها ليست مركزا للعمالة بالنسبة لأشخاص يقطنون في مناطق أخرى، لأن معظم سكانها يعتمدون على العمالة في المدينة المركزية أو في الضواحي الأخرى، كما يطلق على الضواحي السكنية " ضواحي النوم " لأن السكان العاملين ينامون فيها، بينما يقضون معظم يومهم خارجها [2]، وتنمو هذه الضواحي وتتطور بمساعدة طرق المواصلات والسكك الحديدية والسيارات العامة، رفقة الهجرة الدائمة إلى هذه الضواحي، ولذا فإنها تساعد على تمدين الريف، وإن كان البعض يرى عكس ذلك من أنها تؤدي إلى ترييف المدينة، والواقع أن العلاقة متبادلة بين الإثنين، حيث تظهر البصمات الريفية بقوة، وكذلك البصمات الحضرية في هذه الضواحي [3].

ضواحي العمالة:

هي الضاحية التي تقوم بدورها كمركز عمالة في مقابل الضاحية السكنية، وهي تشتمل على ضواحي صناعية، ومراكز للتعدين، والتعليم والترفيه، وأي نشاط آخر يساعد على ظهور المهن والأعمال.

الحي:

بالتدريج تشكل الضاحية جزءا معتبرا في الفراغ الاجتماعي العمراني، وتصبح وحدة اجتماعية ذات شخصية مختلفة، وتتعقد بها شبكة العلاقات الاجتماعية، لكن حدودها لا تتضح معالمها إلا في مرحلة لاحقة، ذلك أن النمو والامتداد الفيزيقي يظل مستمرا، وهنا تتحول الضاحية إلى حي، بعد أن بدت ككتلة عمرانية واحدة، امتد عمرانها على طول الطرق الرابطة بينها وبين قلب المدينة.

الحي هو تجمع عمراني يضم مجموعة واسعة من " العلاقات مع الغير " ومن وحدات الـ " نحن " والتي هي وحدات الجوار التي يتكون منها الحي، فالحي كتجمع يركب هذه العلاقات مع الغير، وهذه النحن عن طريق شبكة معقدة ومتراكبة من

---

[1] فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص 207.

[2] قاموس عاطف غيث. ص

[3] فتحي أبو عيانة. المرجع السابق . ص

العلاقـــات، ووحـــدات الجوار في الحي قد تنمو وتظهر فيها هي ذاتها وحدات جوار، وتتطور الوحدة الأساسية وتتمايز حدودها لتصبح حيا [1].

وقبل التفصيل في موضوع الحي يجدر التطرق إلى مفهوم الجوار:

فـــالجوار هـــو مجموعة من العلاقات مع الغير بالنسبة للفرد، ويمكن للجوار أن يصبح حيا إذا تجاوز هذا الجوار كونه مجموعة علاقات بالنسبة للفرد، أي الانتقال من الجـــوار إلـــى الحـــي هو ليس بالضرورة انتقالا حجميا، والحي ليس بالضرورة جزءا فراغيا أوسع من الجوار وأكبر عددا في السكان، بل هو انتقال نوعي لنوعية العلاقات بين مكونات الحي [2].

وتخـــتلف الأحـــياء في نشأتها بين فوضوي ومخطط، فمن هذه الأخيرة كثيرا ما تعمد الدولة إلى إقامة مجمعات سكانية جماعية، كانت أو فردية – والشائع في الجزائر أن تسمى هذه التجمعات بعدد الشقق الموجودة بها، مثل: حي 1000 مسكن، حي 726 مســـكن – بيـــنما الأحياء الفوضوية هي التي تنشأ على أنقاض المساكن غير المخططة عـــادة، حيـــث هـــذه الأحياء تسمى بالأحياء المتخلفة حيث تتجمع المشكلات في بعض الأحـــياء في المدن وتخف في أحياء أخرى، فبدارسة أي مدينة نجد أن الفقر والازدحام والتشـــرد وانتشـــار العاهـــات والجهـــل والأمراض والقذارة والطلاق والوفيات وتهدم المبانـــي... تـــرتفع درجاتها في الأحياء المتخلفة وتقل في الأحياء الأخرى، وفي نفس الوقت تقل الخدمات التعليمية والصحية والعمرانية والحدائق والملاعب في تلك الأحياء عن باقي المدينة.

والواقـــع – حسب الباحثين في علم الاجتماع – أن الأحياء المتخلفة ليست مشكلة فـــي حـــد ذاتهـــا بقدر ما هي مصدر لمشكلات الأحياء الأخرى، فالأمراض والتشرد والإجـــرام كلها تبدأ عادة من تلك الأحياء ثم تمتد إلى باقي أجزاء المدينة، حتى أنه لا تخلو مدينة في العالم من هذه الأحياء المتخلفة والتي يطلق عليها إسم " الأحياء الشعبية " ويرجع ظهور هذه الأحياء إلى أسباب هي:

---

[1] نورس الدقر ورئييف مهنا وغانم هنا، علم الاجتماع العمراني، مطبعة جامعة دمشق، سورية، ص

[2] نفس المرجع السابق . ص

1. إمـــا أن الحي كان ممتازا في وقت ما، ثم تركه سكانه الأصليون بمرور الوقت وقـــدم مبانـــيه وحـــل محلهم سكان أقل دخلا، وهكذا حتى وصل الحي إلى حالته المـــتخلفة مـــن ناحـــية المباني والطرقات والتسهيلات ومن ناحية نوع السكان فيه أيضا.
2. إمـــا أن الحي نشأ متخلفا من الأصل وذلك لوجوده في منطقة غير مرغوبة في المدينة لقذارتها أو لبعدها عن المواصلات فلم يقبل عليه إلا فئة خاصة من الناس، فنشأت مبانيه وطرقاته وتسهيلاته متخلفة منذ البداية.
3. إما أن الأرض التي نشأ عليها الحي كانت حكرا، فلم يجتذب الحي سوى الطبقة التي تريد أن تبني مباني مؤقتة، ولذا نشأت متخلفة.

وبهذا تكون هذه الأحياء متخلفة من ناحيتين:

1. مـــن الناحـــية المادية، أي من ناحية المباني والطرقات والتسهيلات فيها، حيث تتميز بما يلي :
- مباني متهالكة سيئة الإضاءة والتهوية والمجاري والمياه.
- طرقات ضيقة وأمكنة اللعب والحدائق غير موجودة.
- حالة المواصلات سيئة.
- القذارة زائدة في كل مكان.
2. مـــن الناحـــية الاجتماعـــية أي من ناحية نوع الناس الذين تضمهم تلك الأحياء وتجذبهم، حيث تتميز هذه الأحياء اجتماعيا بما يلي :
- الفقر الشديد.
- ازدياد كثافة السكان وسكن أكثر من عائلة في كل وحدة سكنية.
- سوء الحالة الصحية والتعليمية.
- ارتفاع نسبة التشرد والأحداث والإجرام والطلاق...
- حاجة المواطنين إلى ضغط خارجي لتنظيم العلاقات بينهم (ضغط القانون والشرطة والمحاكم) (1).

---

[1] عـــبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص ص، 164-170.

بمرور الزمن يكتمل شكل الحي وينقسم على نفسه إلى أحياء ثانوية وإلى تجمعات عمرانـــية سكنية يشترك كل وحدات التجمع الواحد بسمات مشتركة تكون عرقية عادة، وهذه التجمعات العمرانية السكنية يطلق عليها عادة مصطلح الحارة، حيث تكون تسمية هــذه الحارات متداولة عادة على ألسنة السكان أكثر منها في الوثائق الرسمية، وتحمل هذه التسميات عادة معاني قيمية.

*الحارة:

الحـــارة هـــي مكـــان سكني تلتصق فيه المنازل بعضها بالبعض الآخر، ويترجم القـــاموس كلمـــة الحارة بأنها: " الحي Quarteo، جزء Part، قسم Section (من مدينة معيـــنة)، جيـــتو Ghetto، منعطف Lane، زقاق Alley، شارع جانبي Side Street، " وبالـــرغم مـــن أن أيا من هذه المسميات أو جميعها تعد تعريفات ممكنة للحارة، إلا أن المعـــنى الدقـــيق للكلمـــة يتنوع بتنوع الأطر المرجعية التاريخية، والإدارية، والثقافية، الاجتماعـــية، والادراكـــية، وكانت الحارة في مدينة العصور الوسطى إسما يطلق على حـــي أو قسم من أقسام البلدة، وكان لكل حارة فرع رئيسي أو شارع جانبي يطلق عليه الـــدرب غالـــبا ما يسمى كل الحي بإسمه، وفي الكثير من الحالات كانت الحارة تنتهي بممرات ضيقة مغلقة، يطلق على كل واحد منها العطفة [1].

وترتـــبط الحارة كمفهوم أيكولوجي وتاريخي بالوحدات الإدارية والاجتماعية في المدينة، فهي تعتبر من الناحية الديمغرافية من أشد الوحدات الإدارية كثافة في المدينة، ويسكنها عادة جماعات متجانسة تربطها خصائص مهنية وعرقية أو كليهما معا.

وتعـــرف الحـــارة المبنية علاقاتها على خصائص عرقية نظاما غير رسمي حيث يحتكم السكان عادة إلى شيخ الحارة أو القبلية في مختلف المناسبات.

الجيوب القروية:

حيـــث ينمو قلب المدينة ويمتد إلى التهام الأحياء التي نمت عن بعد في الضواحي والأطراف لتصبح التجمعات العمرانية الثانوية وقلب المدينة كتلة عمرانية واحدة، حيث تـــزداد ســـرعة احتضان المدينة للتجمعات العمرانية المحيطة وفقا للزيادة السريعة في عـــدد السكان، حيث تتضخم المدينة وهي إما أن تحتضن هذه التجمعات أو أن تمحوها

---

1 محمد الجوهري وعلياء شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري، بتصرف.

وتطمس معالمها، وفي الحالة الأولى تحافظ هذه التجمعات على معالمها ومظاهر تخلفها (شــوارع ضــيقة، بــناءات فوضــوية،....) وتظل باقية كجيوب لفترة طويلة بعد أن يــتجاوزها الــنمو الحضري، وكثيرا ما أثبتت التجربة الواقعية أنه من الأمور البالغة الصــعوبة إزالة هذه الجيوب القروية مادامت توفر فرصا للإسكان الرخيص، وقد تمثل هذه الجيوب القروية في بعض الأحيان تهديدا للصحة العامة في المدينة بسبب افتقارها الواضــح للخدمات والمرافق الحضرية كالمياه الجارية، والمجاري...مما يشكل خطرا من الناحية الصحية على المدينة، أما من ناحية المرور فإننا نجد شوارعها غير منتظمة تكــتظ بوســائل الــنقل، وقلما تتواءم مع نظام الشوارع الموجود في الأحياء الحضرية المحيطة بها.

وبشــكل عــام تمــثل الجيوب القروية بطابعها الغير منتظم وغير المنسق مظهرا عمرانيا سلبيا داخل المجتمع الحضري.

3 . 2 .4.2- اهتزاز قواعد الضبط الاجتماعية:

يشير عاطف غيث في قاموسه بأن الضبط الاجتماعي يستخدم كمصطلح للإشارة إلــى أن سلوك الفرد وأفعاله محدودة بالجماعات، وبالمجتمع المحلي، والمجتمع الكبير الــذي يعــد عضــوا فــيه، أما الوسائل التي تحقق امتثال الأفراد لقواعد المجتمع فهي ميكانيزمات ذات طبيعة اجتماعية.

والضــبط وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريق قيود منظمة ومنسقة نسبيا، علــى الســلوك الفردي، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمــية في أداء الجماعة (أو المجتمع) لوظيفتها على نحو مستقر، وقد تعتمد الصورة الأساسية للضبط الاجتماعي على موافقة الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التي حددتها المعايــير وتوقعات الدور بوصفها صائبة أو ملائمة، وبناء على ذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعــية واســتدماج المعايــير الاجتماعــية والقــيم توفر المصدر اللازم للضبط الاجتماعي الإيجابي.

والضــبط الاجتماعي قد يكون إيجابيا أو سلبيا، وفي كلتا الحالتين قد يكون رسميا أو غــير رســمي، وينطوي الضبط الاجتماعي الرسمي على أنساق السلطة، والقوانين والقواعد، واللوائح التنظيمية التي تحدد المكافآت (تنظيم الجزاءات الإيجابية كالشهادات،

والدرجـــات العلمية، والجوائز والميداليات، والمكافآت المالية) أو العقوبات (كالجزاءات السلبية المنظمة التي تتمثل في الإعدام أو الحبس أو الطرد) وهذا في مقابل الامتثال أو المخالفة، وبهدف أن يكون الدين في هذا الصدد من العوامل التي تسهم في نسق الضبط الاجتماعـــي الرســـمي. ويكشـــف الضبط الاجتماعي غير الرسمي في صورة مختلفة كالرأي العام والموضة وتفرضه الجزاءات غير الرسمية كالثناء أو السخرية.

وإن اهـــتزاز قواعـــد الضـــبط الاجتماعـــي والأطـــر المرجعية القديمة للسلوك الاجتماعـــي في غياب أطر وقواعد ضبط جديدة قوية هي ظاهرة على درجة كبيرة من الخطورة يمكن أن تساهم في تعميق الأزمات الحضرية في مجتمعات البلدان النامية.

والســـبب يـــرجع إلـــى تجـــاوز وتهمـــيش قواعد الضبط الاجتماعي ومؤسساته الاجتماعـــية المألوفـــة وانهـــيارها قبل أن تستتب المؤسسات الحديثة وتتمكن من أداء وظيفـــتها كاملـــة، ويطمئن السكان إليها، فيفسح هذا الوضع المجال للسلوكات الفردية المنحرفة في الأوساط الاجتماعية الحضرية (1).

والواقع أن ما يصنع هذه الصورة هو سوء التخطيط إن لم نقل انعدامه وكذا سوء التســـيير والتســـيب الذي تعاني منه عادة البلدان المتخلفة وكذا التهميش وعدم مراعاة المـــناطق الآهلة بالسكان والتي تشكو الفوضى من قبل السلطات فعدم وضع حد لهجرة الســـكان ونزوحهم من الأرياف أمر بالغ الخطورة، حيث أن هذه الهجرة لا تؤدي إلى إفقـــار الريف من السواعد القادرة على العمل وبالتالي تدهور الإنتاج الزراعي فحسب، بـــل إن الأيـــدي العاملة التي تهاجر متأخرة تعجز أحيانا عن الحصول على الوظائف المطلوبـــة، ولهـــذا تضـــطر إلى العمل في وظائف وحرف قليلة العائد، مما يعني بقاء مســـتويات معيشتها منخفضة، ولهذا يضطر هؤلاء إلى الإقامة في أحياء ومساكن قديمة تفـــتقر إلى الظروف الصحية والسكنية، بل إن الأوضاع تزداد تعقيدا حينما يفشل جزء مـــن المهاجريـــن في الحصول على وظائف دائمة، وهكذا يصبحون عرضة لمواجهة الـــبطالة مـــن حين لآخر، مما ينعكس على أوضاعهم الاجتماعية (2) التي لا ترقى إلى مســـتوى معيشة المدينة فيضطر هؤلاء إلى مواجهة أزمة السكن ببناء مساكن الصفيح

---

[1] محمد بومخلوف، التوطين الصناعي و آثاره العمرانية . مرجع سبق ذكره . بتصرف .

[2] عبد الإله أبو عياش، مرجع سبق ذكره، ص 29.

والمــواد غير اللائقة إلى جانب مواجهة الظروف الصحية بوجود المشعوذين بمختلف أنواعهــم (القزانة، المرابطية، الطلبة، ضرابين الكارطة، الشوافة....) مما يخفف عن الســكان من أعباءهم الصحية والنفسية خاصة – هذا في اعتقاد الكثيرين منهم – وبذلك يجد المتاجرون بمعرفة الغيب حيزا معتبرا في الفراغ لممارسة تجارتهم بشكل مشروع أو غير مشروع.

وبصــورة عامــة، فهذه المناطق تتمازج فيها الحياة الحضرية والريفية، إذ وكلما كان السكان ريفيين والمكان حضريا كان البناء الأيكولوجي له طابعه الخاص من خلال التفاعل السكاني والمكاني، فالحضرية حسب عاطف غيث وإن كانت تحمل بين طياتها الإشــارة إلى انشقاقها من المدن، إلا أنها في الواقع مجرد طريقة في السلوك وحسب، وهــي ليســت تعبيرا مقصورا على الحياة في المدن، فقد نجد إنسانا متحضرا وسلوكه الكلــي حضــري بينما يحيا في الريف، ونجد آخر يحيا في أكثر أحياء المدينة تحضرا وهــو مع هذا لا يزال قرويا في تفكيره وطريقة معيشته بل وفي سلوكاته، فالمسألة إذن هي مسألة سلوك وليست مسألة مظهر.

فالحضــرية تتمــيز بالتغــير السريع سواء من حيث الحركة السكانية أو منح يث التغــير فــي الــنظم الاجتماعية أو الاقتصادية، أو من حيث التغير في القيم والعادات والتقاليد والنظرة إلى الحياة [1].

وإن أهم ما يميز المناطق التي يغزوها النازحون من الريف في المدينة ما يلي:

- يحــتفظ المهاجــرون مــن الــريف للمدينة بالرواسب الريفية، وآثارها تظل عالقة بســلوكهم أول الأمر، ثم يتحررون منها تدريجيا حتى تختفي في الجيل الثالث وما بعــده، فلابــد إذن مــن المرور على مراحل مختلفة متعددة حتى ينتقل السكان من الريفية إلى الحضرية [2]، وقد تجد أهم تلك الرواسب هي تربية المواشي في البيوت وتركها تسرح في الشوارع يوميا.
- كما أنه وفي غياب خطة عمرانية منظمة تنتشر المساكن والمرافق بشكل عشوائي، إلــى جانب ضيق الطرق وعدم استقامتها وتلاصق المنازل...كل هذه العوامل تبرز

---

[1] محمد عاطف غيث علم الاجتماع الحضري، ص 96.

[2] نفس المرجع السابق . نفس الصفحة .

أهم سمات الحضرية في هذه المناطق وهي شكل العلاقات التي تقوم بين الناس، حيث التقارب أكثر يولد تفاعلا اجتماعيا أكبر من خلال عملية الاتصال والتأثير المتبادل بين سلوك الأفراد والجماعات، مما يصنع نماذج للعمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع والتبادل الثقافي وكذا التمثيل والتوافق، فكثيرا ما نجد صورا للتضامن الاجتماعي (التويزة، دفع سيارة مثلا، إطفاء حريق...) وصورا للمنافسة خاصة بين التجار والبقالين على اجتذاب الزبائن، وإذا كان التوافق يعبر عن كلمة التراضي أو الصلح بين الأطراف المتنافسة أو المتصارعة سواء كانوا أفرادا أو جماعات، فإنه في هذه المناطق تغيب فيها وسائل الضبط الاجتماعي عادة فيلجأ السكان في أغلب الأحيان إلى أساليب الضبط القانوني بجميع أنواع العلاقات الاجتماعية المتنافرة، كما أن الانحراف عن المعايير – في غياب التشابه في الجماعات – وتضاؤل التوجيه الثقافي العام يعطي الفرصة للثقافات الفرعية أن تصبح الإطار الذي يزود الأفراد بمقومات السلوك، ونلحظ ذلك خاصة في فصل الصيف حيث تقام الأفراح ويستمر إزعاج الجيران من المحتفلين إلى ساعات متأخرة من الليل دون أدنى ردع من أي جهة من الجهات.

وبهذا تغيب كل وسائل الضبط وكل أشكال الضبط وهذا ما سبب خللا اجتماعيا تظل المدينة تشكو منه إلى حين استتباب النظام من قبل المصالح المعنية.

خلاصة الفصل الثالث

تناول هذا الفصل أهم العناوين التي تخص العمران و السكان على السواء ، حيث تعرض للنظريات التي تربط المتغيرين معا ، و كذا نظريات نمو المدينة بفعل االتحضر الذي يصيب المدن عادة و هو في الواقع ما ينقلها من مصاف التجمعات الريفية و القروية إلى مصاف الحواضر ، و تتجلى نظريات الحلقات المتعاقبة و القطاعات و النويات المتعددة كأبرز النظريات التي تتناولت المدينة بالدراسة ، حتى و لإن كانت لا تنطبق على كل مدن العالم إلا أنها تحظى بشيئ من المصداقية العلمية التي تسمح بتعميم النظرية مع الأخذ في الإعتبار خصوصيات البلدان و الشعوب .

و تناول الفصل أيضا الآليات التي يتم بها تأثير التحول الديمغرافي في المجال المشيد على المستوى المعماري البسيط و المستوى العمراني الذي قد يشكل تجمعا عمرانيا أو تنظيما عمرانيا كبيرا ، مبرزا بذلك أهم الآثار البادية للعيان و المتمثلة في الإختلال المرفولوجي بكل أبعاده (الأفقية و العمودية و التركيبية) ، و النمو العمراني التلقائي و التركز العمراني على هامش المدن مما ينتج عنه أخيرا اهتزازا في قواعد الضبط الإجتماعي ، الأمر الذي تشكو منه مختلف الحواضر في العالم الثالث ، أو حتى في العالم المتحضر في المناطق حيث تغيب رقابة الدولة و تنعدم السلطة بشكل مباشر.

الفصل الرابع

منهجية الدراسة

4 . 1 - مجال الدراسة.

4 . 2 - عينة الدراسة.

4 . 3 - منهج الدراسة،

4 . 4- الأدوات المستخدمة في جمع البيانات.

4 . 4 . 1 - الملاحظة.

4 . 4 . 2 - المقابلة.

4 . 4 . 3 - الاستمارة.

4 . 1 - مجال الدراسة:

يعتبر حي العالية من أهم وأقدم الأحياء السكنية بمدينة بسكرة، حيث عرف في أولى توسعاته العمرانية البناء الفردي العشوائي، مما أعطاه الطابع السكني المحض والكثافة السكنية العالية، وقد ظل زمنا مفتقرا إلى المرافق العمومية الضرورية ومرتبطا ارتباطا كبيرا بوسط المدينة.

4 . 1 .1 -الموقع ضمن المجال الحضري :

ينزوي حي العالية الشمالية في الجزء الشمالي الشرقي للنسيج العمراني لمدينة بسكرة، حيث يفصله عن المدينة وادي بسكرة " وادي سيدي زرزور" الذي يتراوح عرضه ما بين 400م إلى 500م، ويبعد عن النواة القديمة للمدينة ب 4.5 كلم، يحده شمالا واحة النخيل المتميزة بكثافة نخيلها، ومن الشمال الشرقي منطقة الحضائر، من الغرب والشمال الغربي " وادي سيدي زرزور" الذي يعتبر من بين أهم المعالم الطبيعية المهيكلة والمميزة للنسيج العمراني لمدينة بسكرة، من الجهة الجنوبية حي العالية الجنوبية والمنطقة الحضرية الشرقية، كما يتصل الحي بالطريق الوطني رقم 31 المتجه نحو ولاية باتنة عن طريق بلدية آريس.

وعلى العموم فإن حي العالية الشمالية يقع في مكان منزو ومتطرف ومميز بكونه عاليا أكثر من غيره من الأحياء الأخرى ولذلك- ربما- سمي بحي العالية.

4 . 1 . 2 - المعطيات الطبيعية:

يتميز حي العالية الشمالية عن باقي الأحياء بمدينة بسكرة بخصائص طبيعية كالموضع والموقع الاستراتيجي الذي يشكل جزء كبير من الواجهة العمرانية للمدينة.

4 . 1 . 2 . 1 -الموضع:

يتميز موضع العالية الشمالية عموما بالانبساط وهو ما يسمح له بعملية التعمير، حيث يقع على ارتفاع 118م بينما في شماله نلاحظ وجود تلال يصل ارتفاعها إلى 161م، ويمكن تقسيمه من الناحية الطبوغرافية إلى جزأين متباينين:

- **الجزء الشمالي**

المشكل من الأراضي المتميزة بالانحدار، أين الميل يتجاوز 10% بحيث تتراصف البنايات على شكل حلقات بما يسمح به منحنيات المستوى. فهذه الطبيعة الطبوغرافية للأرض أعطت من خلال توقع البنايات منظرا وشكلا مميزا للنسيج العمراني.

- **الجزء الجنوبي**:

ويمتد من الكدية الشمالية حتى الحدود الجنوبية للحي، ويتشكل من أراضي منبسطة، بحيث لا يتجاوز الميل 5 وهو ما سهل التموقع المنتظم نوعا ما للبنايات وخاصة على طول أهم المحاور الرئيسية.[1] والواقع أن الانحدار يكتسي أهمية بالغة في أماكن التعمير وتوجيهه وقد كان له تأثيرا فعلي في حي العالية الشمالية وتوسع نسيجه العمراني بسرعة كبيرة، وكذلك سهولة مد الشبكات المختلفة، وخاصة شبكة المياه الصالحة للشرب وشبكة الصرف الصحي، وقد تبين أن انحدارات الحي لم تخرج عن فئة واحدة من الانحدارات هي (0 % - 3 %) بينما الانحدارات في مدين بسكرة هي كما يلي:

- **الفئة الأولى**: (0 % - 5 %) هذه الفئة تظهر في معظم الحي، وهي انحدار ضعيف ميزتها قابلية التعمير.
- **الفئة الثانية**: (6 % -11 %) تتواجد هذه الفئة في شمال الحي وفي الجهة الشرقية والغربية للخريطة الطبوغرافية وهي كذلك قابلة للتعمير.
- **الفئة الثالثة**: (12 % – 16 %) وهذه فئة الانحدار الكبير، وتوزيعها في الخرائط الطبوغرافية لمدينة بسكرة قليل، تتواجد في الجهة الشرقية، وهي صالحة للتعمير لكن مكلفة.

4 . 1 . 2 . 2 - جيولوجية حي العالية الشمالية :

---

[1] ابراهيم عريوات . دراسة مقدمة في إطار إعادة هيكلة حي العالية الشمالية

اعتمادا على الخريطة الجيولوجية لمنطقة بسكرة نجد أن التكوينات الجيولوجية لأرضية حي العالية الشمالية تعود إلى الزمن الرابع وهي تتكون من تكوينات هشة يمثلها الطين الرملي والحجر، [2] أما من الناحية الحركية والجيوتقنية فإن الحي مستقر حركيا مما يمكن من توقيع مختلف البنايات بعمق 03 م لأساسياتها.

- خريطة حي العالية الشمالية في المجال الحضري لمدينة بسكرة.

4 . 1 . 2 . 3 - المناخ:

يسود منطقة بسكرة عموما مناخ شبه جاف، ذو شتاء بارد وجاف، أما الفصول الأخرى فتمثل مرحلة انتقالية بين الفصلين، وتتحكم في ذلك متغيرات مناخية مختلفة، كالحرارة التي تصل إلى معدل 45 م° في شهر جويلية وأدناه 21 م° في جانفي. أما التساقط فإن أقصى كمية تسقط في شهر سبتمبر (أمطار الخريف) وأدنى كمية لها في فصل الصيف، إذ لا يتجاوز المعدل السنوي للأمطار 100ملم/سنويا، كما تتعرض المنطقة لهبوب تيارات هواء مختلفة خاصة الرياح الجنوبية الحارة والمحملة بالأتربة والرمال (السيروكو) والشمالية، والشمالية الغربية الباردة [(2)]، ولهذه المتغيرات المناخية دور كبير في بنايات النسيج العمراني سواء في اختيار مواد البناء المقاومة للحرارة والأمطار أو في توجيه البنايات وفقا لاتجاه الرياح. لذا الموقع الملائم والموضع المتسم بالانبساط وسهولة التعمير بأقل تكلفة، وكذا الانحدار الذي من شأنه تحديد أماكن التعمير وتوجيهه مستقبلا مع سهولة في مد الشبكات المختلفة، إلى جانب توفر الأرض الشاغرة رغم أن هناك عوائق واجهت عملية التعمير بعيدا عن الأراضي الزراعية والارتفاعات الشمالية الشرقي. هذه العوامل الطبيعية وغيرها كانت طعما للبدو الرحل للاستقرارها هنا، كما كانت من قبلهم مكانا أقام به الرومانيون وزرعوا به وحصدوا وحرثوا، وأقاموا مدافنهم. [(*)]

4 . 2 - <u>عينة الدراسة</u>:

لدراسة أي ظاهرة اجتماعية لا بد من توفر المعطيات التي تستشف من صانعي الظاهرة، وهذا لمساعدة الباحث الاجتماعي في اتخاذ أي قرار أو حكم مناسب حيال هذه الظاهرة، وقبل البحث عن المعطيات ينبغي تحديد بعض الأوعية التي يدور في فلكها البحث الاجتماعي وهي:

4 . 2 . 1 - <u>مجتمع الدراسة (إطار العينة)</u>:

---

1 ابراهيم .عريوات. نفس الرجع السابق .

(*) تم العثور على مقابر يعود تاريخها إلى العهد الروماني وأواني متعددة عام 1986 بالمنطقة الشرقية لمدينة بسكرة، ما في ذلك القطاع العمراني الثاني من حي العالية الشمالية.

[1]عن تحديد مجتمع الدراسة هو من الأهمية بمكان، حيث أنه يساعد في تشكيل الأسلوب العلمي الأمثل للدراسة، وحصره في مجتمع صغير ومميز يمكن الباحث من التعرف عليه كليا مما يضمن عدم تشتت العينة. ومجتمع الدراسة في هذا البحث هو حي العالية الشمالية الموضح في الخريطة رقم ( )،والمشكل من 5336 مسكنا، وهو التجمع العمراني المميز والواضحة معالم حدوده. ويمكن بسهولة التعرف عليه كليا عن طريق الخريطة أو ميدانيا، كما يشمل على جميع عناصر ومفردات الظاهرة قيد الدراسة. ولأنه من الصعب الوصول إلى جميع المفردات المشكلة لمجتمع الدراسة فقد تطلب ذلك استخدام العينة بدلا عن المسح الشامل.[*]

4 . 2 . 2 - العينة:

يشير مصطلح العينة في علم الإحصاء إلى " نسبة" من العدد الكلي للحالات، تتوفر فيها خاصة أو عدة خصائص معينة، وتتكون العينة من عدد محدود من الحالات المختارة من قطاعات مجتمع معين لدراستها، وجدير بالذكر أن معظم الأبحاث السوسيولوجية تتعامل مع عينات أكثر مما تقوم بدراسة العدد الكلي للسكان، وفي هذا الصدد تصبح التعميمات القائمة على بيانات العينة، قابلة للتطبيق على العدد الكلي، للسكان الذي سحبت منه، وذلك طبقا للطريقة المستخدمة في اختيار الحالات التي تشتمل عليها، وحجمها [(1)]، وقد أفاد استخدام المسح بالعينة إلى تقليص العديد من مراحل الجهد حيث وحسب د فضيل دليو فإن قيام الحصر الشامل لمعرفة خصائص مجتمع معين مكلف جدا، يقتضي تجنيد العديد من الوسائل البشرية والمادية، ويستغرق وقتا طويلا- جمع المعلومات وتحليلها- بالإضافة إلى كونه غير ضروري في الكثير من الحالات [(2)]. فالعينة إذن تقنية تهدف إلى بناء نموذج مصغر من المجتمع الكلي بغية الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم، عينة لهذا البحث مثلث مجتمع مدروس في كل خصائصه، إذ أنها لم تتعد الإطار الجغرافي المحدد وكذا الإطار العيني، وقد اختيرت دون أدنى تحيز أو ميل لمنطقة دون غيرها، إذ الفرصة أمام أفراد المجتمع قيد الدراسة كانت متكافئة ودون أي تكرار، وهذا ما جعلها تصنف ضمن خانة " عينة عشوائية بسيطة ".

4 . 2 .2 . 1 - وحدة العينة :

(*) المسح الشامل: طريقة لجمع البيانات والمعلومات من وعن جميع عناصر أو مفردات مجتمع الدراسة بأساليب مختلفة.

(1) عاطف غيث- القاموس- ص 396.

(2) فضيل دليو وعلي غربي وأخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة منتوري- قسنطينة- 1999- ص 141.

وحدة العينة هي المسكن الواقع ضمن الحدود الجغرافية للحي ، إذ من جماة المساكن اختيرت مساكن مثلت المجتمع ، و تشكلت بموجبها العينة بشكل عشوائي،حيث يجيب عن أسئلة الإستمارة فرد واحد من المسكن هو الأب و في حالة غيابه الأم أو الإبن الأكبر إن كان راشدا و مسؤولا، حتى وإن كان المسكن يشتمل على أكثر من أسرة فإن المجيب واحد فقط تفاديا للتكرار .

4 . 2 . 2 . 2 - حـــجم العينة :

مثل مجتمع الدراسة المقدر بـــ 5336 مسكنا عينة مقدرة بـــ 684 وحدة ، أي بما يعادل نسبة 12.81 %

4 . 2 . 2 . 3 - الخصائص الشخصية والاجتماعية لعينة الدراسة:

يوضح الجدول رقم (01) توزيع عينة الدراسة حسب الخصائص الشخصية والاجتماعية، والمتمثلة في: العمر ، الجنس ، المهنـــة .

- جدول رقم (1): الخصائص الشخصية والاجتماعية لأفراد العينة.

المتغير		التكرار	النسبة%
العمر	21 ـــ ...	43	06.28
	31 ـــ ...	67	09.79
	41 ـــ ...	124	18.12
	51 ـــ ...	323	47.22
	أكبر من 60	112	16.37
	بدون جواب	15	02.19
الجنس	ذكر	671	98.09
	أنثى	13	01.90
المهنة	إطار جامعي	06	**00.87**
	موظف	243	35.52
	فلاح	75	10.96
	بناء	44	06.43
	تاجر	20	02.92
	أعمال حرة	90	13.15
	بدون عمل	175	25.58
	بدون جواب	31	04.53

تتراوح أعمار أفراد العينة بين 21 سنة و ما فوق 60 سنة، حيث أن سن 21 سنة يمثلها أبناء كبار في أسرهم بعد فقدان رب الأسرة الأصلي " الأب"، وأصبحوا يحلون محل الوالد، وتمثل فئة (21 – ...) سنة أدنى نسبة وهي 06.28 **%** بينما تمثل نسبة الذين تتراوح أعمارهم بين 31 و 40 سنة 09.79 **%** ونسبة الذين تتراوح أعمارهم بين 41 و50 سنة 18.12 **%** ونسبة المبحوثين بين 51 و60 سنة فتقدر ب
47.22**%** وهي أعلى نسبة بينما تنخفض نسبة المبحوثين الأكبر من 60 سنة بنسبة 16.37 **%** ويعكس متغير العمر هنا مدى تولي الأفراد لقرارات السكن والتنقل في حي العالية الشمالية.

أما بالنسبة لمتغير الجنس فإن الأغلبية الساحقة من المبحوثين هم رجال قدرت نسبتهم بـــ 98.09 **%** مقابل 01.90 **%** للإناث، ذلك أن الباحثة اتجهت مباشرة إلى أرباب الأسر وأصحاب المساكن للإجابة، إلا أن هناك مساكن تملكها النساء وتدير شؤون الأسرة بعد الترمل، أو بعد مفارقة الأبناء.

أما توزيع الأفراد حسب متغير المهنة فإن نتائجه تشير إلى تنوع المبحوثين حيث أجاب الموظفون (بما فيهم الأساتذة، الإداريون، الشرطة، الأطباء،...) بنسبة 35.52 **%** وهي أعلى نسبة نظرا لتفهمهم الواضح لما تعنيه الاستمارة في البحث الاجتماعي، بينما تنخفض النسبة لدى الإطارات الجامعية بنسبة 00.87 **%** وذلك لقلتهم في الحي، والتجار والبنائين بنسبة 02.92 **%** و 06.43 **%**على التوالي، وارتفعت عنهما نسبة الأعمال الحرة بـــ 13.15 **%** نظرا لتنوع الأعمال الحرة، ونسبة الفلاحين 10.96 **%** لكثرة الفلاحين في الحي، وهم يفوقون ثلث سكان الحي، أما المبحوثين بدون عمل فقد شمل المتقاعدين، والنساء، ومتسولين اثنين، ومن لا عمل لهم، وبلغت نسبتهم 25.58، في حين لم يجب عن هذا السؤال 31 مبحوثا أي بنسبة 04.53 **%** .

وبشكل عام فإن المبحوثين يتنوعون هنا لأن الاستمارة وزعت بشكل عشوائي.

4 . 3- منهج البحث:

المنهج العلمي هو أسلوب للتفكير والعمل، يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها، وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة، وإذا كان المنهج محكوما بمنطق معين في دراسة الظواهر، فإن الظواهر ذاتها لها منطقها الخاص بها، والذي يسلم نفسه لمنهج دون آخر، بمعنى أن يكون هناك تكافؤ منهجي بين

المنهج المتبع والظاهرة المدروسة، كما أن تبني منهج معين لا يعني أن الظاهرة يمكن أن تسلم انقيادها له فقط، ولكن يمكن الاستعانة بمجموعة من المناهج التي تتظافر لكشف الجوانب المتعددة للظاهرة و الإحاطة بها، وهذا التساند هو التكامل المنهجي [1]، ولأن المنهج هو التصور الذهني الذي ينسق بين جملة من التقنيات فقد استخدم هذا البحث ما يلي:

3-1 - المنهج الوصفي:

يقوم المنهج الوصفي على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره [2]، وقد اهتم هنا في هذه الدراسة بتصوير الوضع الراهن، وتحديد العلاقات القائمة بين السكان والعمران، إذ وبعد الملاحظة المباشرة وغير المباشرة لكل ما هو موجود في الحي على المستويين، الفراغ العمراني والفراغ الاجتماعي وبعد الاتصال بالأسر في مختلف المساكن، ووصف كل ما يتعلق بالسكان والعمران وأشكال التشوه وخلفياته ووصف الحياة الاجتماعية على المستوى الاجتماعي و ... وكان استخدام هذا المنهج بمثابة مسح اجتماعي لكل ما هو موجود في الحي كالطرق والشوارع وكذا المواصلات – التي لها الدور الأكبر في تحضر الحي وتسهيل ظروف الانتقال إلى هذا المجال- وكذا الخدمات، إلى جانب وصف النسيج العمراني من حيث أنماط البناء ومدى تلاحم المساكن التي تصنع التشوه على كل المستويات المادية منها والمعنوية وفي ذات الوقت اعتمدت الباحثة على بعض خطوات المنهج التاريخي نظرا لمقدرته التفسيرية التي يزود بها الباحث، فهو يولي للزمن دورا معينا في ذلك التفسير، وبصيغة أخرى إدخاله الظروف المحيطة بميلاد ظاهرة أو تعزيزها أو ضعفها أو اختفاءها في تفسير ذلك(3) وقد كان تطبيق ذلك في هذا البحث انطلاقا من الوثائق، حيث تم استبعاد الكتابات التاريخية التي لا تحتوي على مراجع، مثل كتابات "عبد الحميد زردوم" حول مدينة بسكرة فهي وإن كانت تعطي حقائق تاريخية حول نمو المدينة وظروف نشأة البيئة الاجتماعية بها، إلا أنها لا تستند لأية مراجع مما جعلها تفتقد إلى منهجية خاصة يحتكم إليها في مجال البحث، وفي نفس الوقت تم اعتماد المراجع الوثائق والخرائط التي وجدت على مستوى

---

[1] محمد شبلي- المنهجية في التحليل السياسي- الجزائر 1997- ص 54.

[2] زكي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم- مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق- دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان 2000-ص 43.

مصالح البلدية، المديريات الخاصة بالعمران (DUCH. CADAT. Anat) واعتماد حتى الخرائط المأخوذة من قبل هذه المؤسسات عن أرشيف المؤسسة العسكرية الفرنسية، لأنها تنطبق على الواقع ولأنها تتوفر على قدر كبير من المصداقية والواقعية.

وإذا كان المنهج التجريبي يقوم بجمع البيانات التي يتناولها بالتحليل وإذ كان المنهج التاريخي يحصل على مادته الخام من بطون التاريخ ومؤلفاته فإن منهاج تحليل المحتوى يجمع بين هذين الأسلوبين [2] حيث تم وصف بشكل منظم ودقيق لمحتوى النصوص المكتوبة، ثم تحليل المضمون من خلال الإجابةعلىأسئلةمعينة ومحددة تمت صياغتها مسبقا، ومن ذلك ما كتب عن حي العالية الشمالية في جانب سكانه وعمرانه واقتصاده وحياته الاجتماعية، هذا بالإضافة إلى المصادر الإحصائية المتمثلة في البيانات والإحصاءات الرسمية التي صدرت عن الهيئات المختصة بعد الاستقلال وأهمها بيانات المركزالوطني لإحصاء السكان والسكن (O.N.S)والدليل الإحصائي العام للجزائر (R.G.P.H)، وكذا تقارير مصالح البلدية، هذا إلى جانب خرائط توزيع شبكات الكهرباء والغاز على الحي، وكذا المياه بهذه الأشكال الحالية، وإيجاد مبررات وجودها على هذه الشاكلة في الحي، حيث أنه – وكمثال على ذلك- يأتي تفسير عدم وجود محطات تحويل الكهرباء داخل النسيج العمراني بالحارات القديمة وتواجدها على حافة النسيج العمراني يدل على اكتظاظ المكان بالعمران منذ ما قبل عام 1980 مما لا يدع مجالا للخدمات بأن تنتظم في المجال العمراني المشوه.

4 . 4- الأدوات المستخدمة في جمع البيانات:

إن نجاح البحث في تحقيق أهدافه يتوقف على الاختيار الرشيد لأنسب الأدوات الملائمة للحصول على البيانات، والجهد الذي يبذله الباحث في تمحيص هذه الأدوات وتنقيحها، وجعلها على أعلى مستوى من الكفاءة، ومعنى ذلك أنه من الضروري أن تتحقق درجة معينة من الثقة في البيانات التي يحصل عليها عن طريق الأدوات [1]، وهنا يبرز تساؤل يتعلق بمدى صدق الأداة التي يستخدمها الباحث، أو بمعنى آخر مبلغ تطابق ما نحصل عليه من معلومات مع الحقيقة الموضوعية، أي أنه علينا أن نتأكد بالفعل من أن الأداة التي

---

[2] زيدان عبد الباقي- قواعد البحث الاجتماعي- الطبعة 2 – مطبعة السعادة القاهرة 1974- ص 452.
[1] محمد محمود الجوهري وعبد الله الخريجي- مرجع سابق- ص 72.

نستخدمها في القياس تقيس فعلا الظاهرة المراد دراستها ولا تقيس شيئا آخر غيرها[2].
ومن بين الأدوات المستخدمة في هذا البحث مايلي:

4 . 4-1- الملاحظة:

يمكن القول أن الملاحظة العلمية بما تتميز به من خصائص تصبح مصدرا أساسيا من مصادر الحصول على البيانات، بل إن البعض ذهب إلى حد اعتبارها منهجا مستقلا من مناهج البحث العلمي، وهي تخدم الكثير من أهداف البحوث، فيمكن استخدامها في استكشاف بعض الظواهر، أو للاستبصار بسلوك معين، كما أنها تلقي الضوء على البيانات الكمية، وتمثل في هذه الحالة محكا خارجيا يمكن الاحتكام إليه في التثبت من مدى صدق هذه البيانات [3] والملاحظة في البحوث الاجتماعية شأنها شأن المقابلة، الاستمارة وقد قمت بملاحظات عامة حول الحي واستقاء العديد من البيانات، وساعد على ذلك إقامتي في الحي لأعوام، مما أمكن من رصد العديد من السلوكيات السكانية التي تجلت في العمران، مع توفر صور تعمير الحي وأشكاله، ويمكن تصنيف أنواع الملاحظة التي جمعت بها البيانات إلى:

4 . 4-1-1- الملاحظة البسيطة:

وهي التي اعتمدت فيها على المواقف الطبيعية الحية، ولم تستخدم فيها أدوات للتأكد من دقة هذه الملاحظة ومن نماذجها:

- **الملاحظة البسيطة بغير مشاركة:**

حيث لم أحتج خلالها لأكثر من ملاحظة مواقف اجتماعية دون المشاركة الفعلية في صنع الحدث أو المظهر الاجتماعي، واستخدام ملاحظات الآخرين من خلال الخرائط والصور الفوتوغرافية والصور الجوية، حيث تعتبر الخريطة ذات أهمية كبيرة في الدراسة التطبيقية وهي تسمح ب:

- مقارنة المعلومات الموجودة على الخريطة، حيث أن الطبيعة هي الخريطة الأساسية الأولى، وتأتي بعد ذلك الخريطة الورقية، وهذا يحقق إضافات جديدة.
- الربط بين الظاهرات المختلفة الموجودة في الطبيعة عن طريق الخرائط المتداخلة بعد توقع هذه الظاهرة ودراسة التفاعل بينها.

---

(2) نفس المرجع السابق- ص 72 نقلا عن محمد علي محمد وزملاءه- قراءات معاصرة في علم الاجتماع ط2 القاهرة- دار الكتاب للتوزيع 1979 ص 332.330

(3) نفس المرجع السابق ص 73 نقلا عن نفس المرجع ص 333.

- لتوضيح معان في الدراسة لا يعني فيها الوصف، ولكن لابد من بيانها على الخريطة [4] مثل تقسيم القطاعات التي تمثل الحي، توزيع السكان..

وقد تم الحصول على خرائط تمثل مدينة بسكرة وتبين لنا من خلالها الشكل المرفولوجي منذ سنة 1966 والامتداد الفيزيقي للمدينة بعد ذلك، وكذا استخدام الأرض، أما بالنسبة للصور الجوية والصور الفوتوغرافية فهي أخذت في الميدان لتسجيل ظواهر من الصعب رسم خريطة أو وصفها وصفا دقيقا.

- **الملاحظة البسيطة بالمشاركة**:

وهي التي تطلبت مشاركتنا الفعلية في حياة الأفراد كالاستفادة من الخدمات المقدمة في الحي كاستخدام وسائل النقل في الحي.

4 . 4-1-2- الملاحظة المنظمة:

إنها امتداد طبيعي للملاحظة البسيطة حيث اعتمد فيها إلى الاشتراك مع السكان في أنشطتهم اليومية، لملاحظة السلوك العفوي للسكان وهذا ما يمكن من جمع بيانات فعلية عن واقع الحياة الاجتماعية في الحي، وقد التزم التعامل مع كل الظواهر بالموضوعية والاستفسار عن دوافع بعض أنماط السلوك دون إثارة الشك والريبة في النفوس.

4 . 4-2- المقابلة الشخصية:

وتعتبر من بين الوسائل الهامة لجمع البيانات والمعطيات عن موضوع الدراسة، وتعتبر استمارة شفوية، إذ ما هي إلا حوار بين الباحث والمبحوث، وقد تم خلال إنجاز هذا المشروع مقابلة أشخاص من فئات مختلفة حسب تقديري لمدى الفائدة المحصل عليها، ويرجع تحديد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم حسب وظائفهم وأعمالهم ودرجة أهميتهم في الحي، وكان استخدام المقابلة كتقنية للحصول على ما تعذر حصوله من خلال الكتب والوثائق والاستمارة الموزعة على سكان الحي، وكان الهدف الأول هو الحصول على وصف كيفي للواقع وليس كميا أو رقميا، وقد فضلت في هذا السياق استخدام المقابلة المتعمقة بدلا عن المقابلة المسحية المقننة،خاصة عند محاولة معرفة تفاصيل عن عمليات التفاعل الاجتماعي والآراء التي يصعب صياغتها داخل الاستمارة، ولأن المرونة هي إحدى مزايا المقابلة المتعمقة فبدلا من النزول إلى الميدان بتساؤلات محدودة وضيقة النطاق- يفرض أنها المدخل الملائم لموضوع الدراسة- فقد وجدت الفرصة لتطوير هذه

---

[4] محمود عبد اللطيف عصفور والسعيد براهيم بدوي- الدراسة الميدانية في جغرافية العمران- دار النكتوبرنت القاهرة 1983 ص 12.13.

التساؤلات والمقولات العلمية أثناء إجراء المقابلات المختلفة- مع الاقتصار على الموضوع محل الاهتمام- وذلك بعدم جعل إطار المقابلة محدودا جامدا بحيث أخذت في الاعتبار كل المادة التي يقدمها المبحوث عن التساؤل، ومن ثم فإن الهدف من هذا الأسلوب المنهجي غير المقنن هو الحصول على معلومات غير متوقعة، وبدا ذلك في "حارة لاسيتي" (140 مسكن) حيث يبدوا التجمع العمراني فوضويا ويفتقر لأي لمسة قانونية أو تخطيط، ولكن بعد الاطلاع علة قانون الاحتياطات العقارية الذي مس التجمع تبين أن البلدية بعد أن خططت له وحددت الفئة المستفيدة منه تراجعت فيما بعد لتمنح السكنات لأشخاص آخرين ولترفع يدها عن أي تعديل في المخطط العمراني، لذا بدا التجمع بناء ذاتيا وفوضويا أقرب منه مخططا.

والواقع أن هذه المقابلة المتعمقة قد استنفذت قدرا كبيرا من الوقت والجهد، ذلك أن عقد جلسة مع المبحوثين تتطلب في كثير من الأحيان وسطات من جهات مختلفة، خاصة لدى العاملين في مقر بلدية بسكرة بكل فروعها، اللهم مصلحة الإحصائيات التي أمدتني بالإحصائيات حول حي العالية الشمالية فقط دون أدنى شرح أو تفسير، أو مصلحة ... التي أمدني مسئولها بتفسير بعض الوقائع العمرانية في حي العالية الشمالية بناء على ظروف اجتماعية وقوانين ومراسيم طبقت على هذه التجمعات العمرانية، بينما في المؤسسات الأخرى

DUCH. CADAT. AWOT. LA NATE ، الوكالات العقارية، مؤسسة سونلغاز،مؤسسة النقل، مؤسسة المياه والري،... فإن المسؤولين في هذه المؤسسات لم أحتج لأي وسطات للوصول إليهم، فقط تكفي أن تكون الأسئلة تقنية وعلمية لأتلقى معطيات تقنية وإحصائيات مع تفسيرها في الواقع الكيفي قدر الإمكان وإن تعذر استيفاء السؤال أتلقى عادة توجيها إلى مصالح أخرى أكثر اختصاصا حتى أني حظيت بتصوير بعض الوثائق مساعدة من مصلحة البناء والتعمير، وكذا استنساخ بعض الخرائط في LA CADAT بينما أمدتني LA NATE بمراجع لمساعدتي على إنجاز هذا البحث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المقابلة مع سكان حي العالية الشمالية تمت مع أقدم من سكن حي العالية الشمالية للوقوف على تفاصيل تعمير المجال وظروف الحياة آنذاك- أي خلال الاحتلال الفرنسي وبعده بقليل- وطرائق المعيشة، وكذا تفسير بعض السلوكات والمظاهر التي قد يستنهجها المرء دون أن يعرف أسبابها، ومن ذلك مثلا قيام بعض الشيوخ بالوضوء أمام باب المنزل – في الشارع- بدلا عن الداخل، وكذا رمي النساء

بماء الغسيل سواء غسل الأواني أو الملابس في قارعة الطريق، رغم توفر قنوات الصرف الصحي.

وإذا كانت المقابلة هذه قد فتحت مجال الحديث مع القائمين على تسيير شؤون المدينة والحي وكذا من يعيشون الحياة اليومية في هذا الحي فإنها في ذات الوقت قد وضعتني أما مادة ثرية كان من الصعب صياغتها وتنظيمها في صورة منطقية وتقديمها في شكل مفهوم، ذلك أن لكل مبحوث مستواه الخاص، وتكفي مدى استجابة كل جهة لما طرح عليها من أسئلة وطريقة الإجابة وكيفيتها. ومن جهة أخرى فإنه من الإشكاليات2 المطروحة جراء استخدام المقابلة هو عدم قدرة الشخص العادي التعبير عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء سلوكه فمثلا حين يطرح سؤال: " ما هي أسباب سكنكم في حي العالية الشمالية؟" يقول الكثيرون من أجل لقمة العيش، أو من أجل الخبز لكن ماذا تعني لقمة العيش هنا؟ هل هي الاستقرار؟، هل هي انخفاض سعر الأرض؟، هل هي حسن الجوار؟،هل هي وجود الأقارب الكثيرين في الحي؟، هل هي إمكانية وضع اليد على الأرض دون مراقبة؟، هل هي القرب من مكان العمل؟، هل هي ...؟، ونفس أسلوب الإجابة يتكرر حيال سؤال آخر: " لماذا تدفنون موتاكم في مواطنكم الأصلية؟. لأستشف فيما بعد بأن المبحوث يسعى لتبرير سلوكه بأي مبرر، نفس الشيء حدث مع سؤال آخر هو: " هل تعتقد أن حجم المنزل يناسب حجم الأسرة؟ رغم أن المسكن مساحته 80م2 ومبني على نمط تقليدي، بينما حجم الأسرة يفوق 10 أفراد، إلا أن صاحبة المنزل تجيب: حجم المنزل يناسبنا جدا، وبإمكاني أن أربي أطفالا آخرين في هذا المنزل، والضيق في القلوب وليس في المكان والحيز، لكن الواقع أن هذه السيدة تناضل ألا ينفصل ابنها المتزوج عنها بمسكن منفرد في جهة أخرى فهي إذن تحتمل الضيق والاكتظاظ عن ضيم فقط لتحافظ عن فكرة راسخة بذهنها.

وتكشف المقابلة أيضا صورا من التحايل على القانون، حيث عمد كثيرون إلى ترك منازلهم بالقطاع العمراني الأول والاستقرار بالقطاع العمراني الثالث " حارة العشايش" حيث لا توجد رقابة على الأرض وعلى من استقر بها، نفس الأمر تكرر مع مجموعة أخرى تركت مواطنها الأصلية – حيث يعودون إلى أصول شاوية قراهم ودواويرهم تابعة لولايتي خنشلة وتبسة- والتحقت بالبيوت القصديرية طمعا في أن تلتفت البلدية إليهم بسكنات لائقة في جهات أخرى وقد حصل لهم هذا بالفعل، وقد تطلب الحصول على هذا الاعتراف إنشاء علاقة حميمية مع هؤلاء، حيث استخدمت وسائط قرابية إلى المنتقلين من

الحارات القديمة ، واستخدمت الأمازيغية كلغة لمخاطبة النازحين من القرى والدواوير للشعور بالأمان والإدلاء بالحقيقة.

4 . 4-3- __الاستمارة__:

هي أداة لجمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث، حيث تضمنت مجموعة من الأسئلة أو الجمل الخبرية، تمت الإجابة عنها من قبل عينة من الأفراد حول الظاهرة الاجتماعية أو مواقف معينة.

4 . 4-3-1- __تصميم الاستمارة__:

وقد تتطلب تصميم الاستمارة تحديدا لموضوع الدراسة بشكل عام، وكذا الموضوعات الفرعية المنبثقة عنه، ثم صياغة مجموعة من الأسئلة حول كل موضوع فرعي، وطرح فيها ما هو ضروري ودون تكرار، وقد كانت المواضيع الفرعية معنونة بالشكل الآتي:

- **__بيانات شخصية__**، وتتناول بعضا من الجوانب الخاصة للمبحوث كعدد أفراد أسرته، وأصله (أصل وفوده)، وكذا تاريخ إقامته بالحي.
- **__بيانات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية في الحي__**: وتتناول العلاقة بين الجيران من حيث الأصول الإثنية والسلوك، وكذا مختلف الممارسات اليومية، حيث كان الهدف من هذا الجزء هو تأثير التنظيم العمراني في السلوك الاجتماعي بالحي، إذ أن مدى التقارب والتباعد العمراني وكذا اللاتجانس الإثني من شأنه أن يفرز سلوكيات وممارسات اجتماعية مميزة في المجتمع الحضري.
- **__بيانات تتعلق بالمسكن__**: وتتناول مواصفات المسكن من حيث المساحة، ومدى مناسبتها لعدد أفراد الأسرة، وكذا تاريخ إنجاز المسكن ومواد بنائه، ومدى التغير الذي يجريه الساكن على مسكنه وهو من شأنه أن يفسر أسباب التشوه العمراني، مع إبراز الوجه الآخر للتشوه " الوجه الاجتماعي" الذي جسد في السؤال عن الحيوانات التي يقوم السكان بتربيتها في بيوتهم، ذلك لأن معالم الريف ظلت تضرب بأطنابها في عمق المدينة الجزائرية.
- **__بيانات تتعلق بالحي__**: وتتناول مدى اكتفاء سكان الحي العالية الشمالية من خلال مدى اقتناء السكان لحاجاتهم الضرورية من داخل الحي أو خارجه، وكذا مدى قضاء وقت الفراغ في داخل الحي أو خارجه، وهو ما من شأنه

إبراز ما يتوفر عليه الحي من مرافق تمتص حاجة السكان على الترفيه وتمضية الوقت بعيدا عن عناء العمل اليومي، وفي الأخير يستفسر عن اعتقاد المبحوث في مدى اكتظاظ الحي بالسكان حسب ما يراه، وكذا ما مدى تصنيفه للحي كفوضوي أم كمنظم.

وفي أثناء صياغة أسئلة الاستمارة تم تجنب التعابير والمصطلحات غير المفهومة أو التي تحتمل أكثر من تفسير من قبل المبحوث مثل: الايكولوجيا، نمط البناء، التحول الديمغرافي، التلوث البصري،... وتجنب الأسئلة الطويلة تفاديا لتضليل المبحوث، كما تضمنت الاختيارات أو الإجابات المحتملة جميع الاحتمالات الممكنة للإجابة مع ترك بند مفتوح لاحتمالية وجود خيارات أخرى مثل:

- هل نوعية علاقتكم مع الجيران هي:

تفاهم ☐ ، صراع ☐ ، تنافس ☐ ، تعاون ☐ ، ...

إلى جانب البدء بالأسئلة السهلة التي لا تحتاج إلى تفكير ثم التدرج إلى الأسئلة الأكثر صعوبة، كما حرصت أن يعالج كل سؤال مشكلة واحدة أو ظاهرة معينة مع تجنب الأسئلة التي تتطرق لأكثر من مشكلة أو موضوع واحد في نفس السؤال، كما جاءت الأسئلة التي تدور حول موضوع معين مع بعضها البعض وهذا لتجنب تشتيت المبحوث، مع التأكد من أن محتوى الأسئلة تنطبق على جميع أفراد العينة مع تجنب البدائل المتعددة وغير المناسبة، وكذا تجنب ازدواجية المعنى للسؤال وتجنب الكلمات مرنة المعنى مثل: على الأغلب، على الأرجح، نادرا... وقد تم استخدام أنواع مختلفة من الأسئلة في هذه الاستمارة، واعتمد في ذلك على طبيعة السؤال والجواب المرجو وكذا طبيعة العينة، حيث تراوحت بين:

- **<u>الأسئلة المغلقة أو محدودة الإجابات</u>:**

حيث تم تحديد الإجابات الممكنة أو المحتملة لكل سؤال و هو ما من شأن أن يقيد حرية المبحوث أثناء الإجابة، مما يسهل المقارنة لوجود هذه الإجابات المحددة والموحدة، وكذا سهولة عملية تصنيف وتبويب وتحليل الإجابات وكذا توفير الوقت، وكذا وضوح المعاني والدلالات وتقليل الحيرة والغموض لدى المبحوث، إلى جانب اكتمال الإجابات نسبيا والحد من بعض الإجابات غير المناسبة مثل ما ورد:

- هل تمارسون التويزة مع جيرانكم؟ نعم ☐ لا ☐

وكذا سهولة التعامل مع الأسئلة التي تحتوي إجابات على أرقام مثلك العمر، مساحة المسكن، وعدد غرف المسكن،...

رغم أن هذا النوع من الأسئلة قد يقيد المبحوث في إجابات محددة مسبقا، إلا أنني تداركت ذلك في أسئلة معينة مثل:

- من المتسبب عادة في حدوث الشجار؟

الأطفال ☐ النساء ☐ الرجال ☐ آخرون ☐

- **الأسئلة المفتوحة أو الحرة**:

في هذا النوع من الأسئلة تركت حرية الإجابة للمبحوث ليجيب بطريقته ولغته وأسلوبه الخاص الذي يراه مناسبا، وهذا للحصول على معلومات موسعة وتفصيلية ومعمقة حول الظاهرة، رغم أن الإجابات تختلف في صيغتها عن بعضها البعض مما يصعب تصنيفها وتحليلها، ومن أمثلة هذه الأسئلة المفتوحة:

ما هي أسباب سكنكم في حي العالية الشمالية ؟

- **أسئلة النهاية المفتوحة**:

وقد استخدمت في حالة صعوبة حصر الإجابات في خيارات محددة مثل:

- هل تعتقد أن حي العالية الشمالية مكتظ بالسكان؟.
- وهل تصنفون حيكم كحي فوضوي؟ لماذا؟.

مع أن هذا النوع من الأسئلة يسهل على المبحوث التعبير عن نفسه وتوضيح رأيه في الموضوع ويفسح له مجالا لتشكيل فكرته بأسلوبه الخاص إلا أن العيب يكمن في احتمالية الحصول على إجابات غير مناسبة للسؤال وكذا صعوبة المقارنة بين أفراد العينة لأن الإجابات غير محددة، إلى جانب صعوبة التحليل الإحصائي للنتائج حيث جاءت حسب فهم وإدراك المبحوث لها.

- **الأسئلة المغلقة المفتوحة**:

وقد تم في هذا النوع من الأسئلة طرح سؤال نغلق في البداية تحدد فيه الإجابة المطلوبة التي يقيد المبحوث باختيارها، ثم يتبعه سؤال مفتوح يطلب فيه من المبحوث توضيح أسباب اختياره للإجابة المعينة ومثال ذلك:

- هل غيرتم المسكن داخل حي العالية الشمالية؟ نعم ☐ لا ☐

إن كان "نعم" ماهي أسباب التغيير وعدد المرات؟.

ورغم ما للاستمارة من أهمية في جمع المعطيات حول الظاهرة الاجتماعية إلا أنها في هذا البحث تعد أداة لتفسير المعطيات التقنية والتاريخية ذلك أن تفسير الإحصائيات السكانية المستقاة من ديوان الإحصاءات السكانية وكذا الأشكال العمرانية والمعمارية التي ظلت شاهدة على فترة زمنية تحتاج إلى تفسير من أفواه صانعيها، وقد اعتمدت في هذه الاستمارة التوزيع المباشر أي عن طريق اليد وذلك لطبيعة الموضوع إلى جانب سهولة وقلة تكلفة هذه الطريقة، مع توضيح بعض الأسئلة التي لا يفهمها المبحوث، وكذا تغطية كل مناطق حي العالية الشمالية دون استثناء، حيث يتعرض أفراد كل العينة لنفس الفقرات وبنفس الصورة، دون فسح المجال للتدخل في إجابات المبحوث خاصة أنه مخير بين أن يضع اسمه على الاستمارة أم لا، رغم أن عدد من المستجيبين لم يجيبوا على فقرات، مما مشكلة من لم يجب عن تلك الفقرات بالذات؟ ولماذا؟.

4 . 4-3-2- إجراءات توزيع الاستمارة:

تم توزيع 850 استمارة على عينة الدراسة، من قبل الباحثة نفسها بمساعدة أستاذ جامعي، ومهندس، وقد وزع هذا العدد تحسبا لضياع محتمل منها.

خلال توزيع الاستمارة هناك مبحوثين أجابوا مباشرة عن الأسئلة، وهناك آخرون احتفظوا بالاستمارة ليجيب عنها رب الأسرة حال عودته من العمل، لتعود الباحثة من جديد إلى المساكن وجمع الاستمارات.

بعد إتمام جمع الاستمارات، وفرزها وعدها تبين أن العائد منها هو 697 استمارة، بينما غير الصالح منها يقدر ب 13 استمارة، هذا ومن 850 استمارة أصبح العائد منها 684 استمارة، أي بنسبة إرجاع تقدر ب 80.47 % وهي نسبة عالية.

خلال توزيع الاستمارة تبين أن هناك من يخاف من البوح بالحقائق خاصة أولئك الواضعين اليد على الأرض، وهناك غير المبالين بالأمر أصلا، وهناك من لا يرون أدنى جدوى من البحث العلمي مادام لا يقدم لهم شيئا ملموسا فوريا.

الــفـصـل الخـــامـس

تشوه التنظيم العمراني بحي العالية الشمالية

5 . 1 - التلقائية العمرانية.

5 . 1 . 1 – آليات التحول الديمغرافي في الحي.

5 . 1 . 2 - خصائص التنظيم العمراني.

5 . 1 . 3 - أدوات التنظيم العمراني في الحي.

5 . 1 . 4 – العوامل المساعدة في التلقائية العمرانية.

5 . 2 - التركز العمراني على الهامش.

5 . 2 . 1 - مؤشرات التركز العمراني.
5 . 2 . 2 - خلفيات التركز العمراني.

5. 1 - التلقائية العمرانية.

تتظافر مختلف العوامل لإنجاز مسكن أو تنظيم عمراني بشكل تلقائي، فعلاوة على نسبة التواجد الديمغرافي في المكان تتدخل عوامل أخرى مساعدة كالتخطيط، والمدى الزمني وكذا الوضعية الاجتماعية للمنجزين للعمران. حيث وبناء على آليات التحول الديمغرافي التي شهدها الحي بسبب النزوح الريفي، ظلت المساحة الشاغرة تتقلص شيئا فشيئا، ليتشكل التجمع العمراني الذي انقسم تلقائيا إلى ثلاثة قطاعات متباينة من حيث المظهر الفيزيائي، وبزيادة السكان شكل حي العالية الشمالية قطبا هاما في المدينة لاستيعابه على أكبر نسبة من سكانها، إذ وبهذه الزيادة اتسع نطاق المساكن المنجزة وامتد المجال العمراني في ظرف قياسي وبشكل ذاتي.

فبالنظر إلى الخريطة رقم (03) التي توضح مدينة بسكرة عام 1863 يتضح غياب التجمع العمراني، وهو ما يفسر عدم نشأة الحي قبل هذا التاريخ. بينما توضح الخريطة رقم (04) وضعية مدينة بسكرة عام 1959 البدايات الأولى لتشكل التجمع العمراني بالحي، وتبدوا المساكن غير منتظمة ولا تحمل مواصفات التجمعات العمرانية المخططة. وبمقارنة ذلك مع الضامة الكولونيالية وسط المدينة يتضح عمق الهوة بين التجمعين و تتضح هذه الهوة أكثر بالنظر إلى الخريطة رقم (05) وضعية مدينة بسكرة عام 1972 حيث تبرز الخريطة حي العالية كشكل مبعثر المعالم غير واضح الحدود ورغم مرور الزمن منذ ذلك الوقت إلا أن آثار التلقائية ظلت ملازمة للتجمع العمراني الذي ظهر أولا بالمنطقة، ورغم تجديد معظم سكناته وإضافة سكنات أخرى أكثر رقيا إلا أن بصمات الحاجة والفقر والجهل بالهندسة المعمارية مازالت ماثلة ومميزة للحي.

5 . 1 . 1 - آليات التحول الديمغرافي في حي العالية الشمالية:

ارتبط التحول الديمغرافي في حي العالية الشمالية بكل ما يحيط مدينة بسكرة من ظروف اقتصادية واجتماعية وطبيعية وإدارية إذ لا يمكن تناول الجزء بمعزل عن الكل.

أي تناول الحي خارج إطار مدينة بسكرة التي ينتمي إليها، باعتبار هذا الإطار هو الوضع الذي شكل مسرحا لآليات التحول الديمغرافي وبروز مختلف مظاهر العمران.

ولقد كان موقع مدينة بسكرة هو المكان الذي قامت عليه، وتركزت فيه رقعتها السكنية، وتحددت فيه محاور النمو العمراني تبعا للظاهرات المحلية التي تميز بها المكان، ونشأت ونمت استجابة لظروف محلية، ولأداء وظائف معينة وخدمات ضرورية للمجتمع، تغير نوعها بمضي الزمن وقد حدد نوع هذه الوظائف طبيعة المكان الذي قامت عليه وتحكم فيها- وإلى حد كبير- في نموها وتغير وظائفها فيما بعد موقعها الاستراتيجي الذي حدد بدوره كثافة الطرق وشرايين النقل بين بسكرة وغيرها، وترتبط أهمية الموقع هنا ارتباطا وثيقا بالتضاريس وطرق النقل وكذا المتغيرات السياسية.

والحقيقة أن قيمة الموقع العام للمدينة، ليست ثابتة في الفترات الزمنية، كما أن نمو المدن يعد انعكاسا للتغير في قيمة مواقعها، بينما لم تتغير أهمية موقع مدينة بسكرة، حيث شكلت بوابة الصحراء وطريقا نحو البترول والتمور- طريق اقتصادية- وطريقا للبدو الرحل في رحلة الشتاء والصيف، وطريقا نحو المناظر السياحية، ... ولقد ازدادت أهمية هذا الموقع بازدياد وظائف هذه الطريق، لتصبح المدينة بؤرة النقل، ومركز الجذب السكاني في الإقليم، وزادها في ذلك التغيرات السياسية التي نقلت المدينة إلى مصاف الولايات في البلاد.

وتعد حركة الهجرة والنزوح في مدينة بسكرة من العوامل الأساسية التي أثرت في حجم السكان، وفي تركيبهم، وقد جاءت هذه الهجرة استجابة لفرص العمل التي وفرتها المدينة للنازحين خاصة بعد ما استفادت من منطقة صناعية، ومن مركز جامعي، وقد قدر صافي الهجرة بحوالي 11439 مهاجر وهذا بين 1977-1987 حيث كانت في هذه الفترة من أكثر المدن الجزائرية استقطابا للنازحين إذ بلغت نسبة الوافدين من مدينة باتنة حوالي 25.2% من مجموع القادمين وأغلبهم من منطقة الأوراس باعتبارها منطقة طاردة للسكان وتليها ولاية الجزائر العاصمة التي قدرت نسبة القادمين منها حوالي 21.2 % من مجموع القادمين وهذا لأسباب وظيفية وصحية، ثم ولاية تبسة بحوالي 13.4 % وأخيرا ولاية ورقلة حيث بلغت نسبة القادمين منها حوالي 11.4 % .[1]

---

[1] غانم عبد الغني- ص 18.

والواقع أن نشوء حي العالية الشمالية، وكثافة سكانه وعمرانه جاء تبعا لما اعترى المدينة من عمليتي النمو والتحضر * وأدى تزاحم السكان بها إلى استغلال المناطق الفسيحة سواء في الشرق أو الغرب، إذ أن الكثافة السكانية اتجهت نحو الضواحي، وضغطت على وسائل المواصلات لتجد بسكرة متنفسا لها في اتجاه في العالية الشمالية حيث تتوفر حاليا على ما يربو عن (18) حافلة نقل حضري(Bus)لنقل المواطنين بين العالية الشمالية وقلب المدينة (العالية الشمالية- الضلعة). ولأن هذا التحول الديمغرافي للمدينة لم يخل من مثالب أبرزها ما تجلى في الجانب العمراني من خلال عملية التركز ثم فقدان الخصوصية حين يتحول المسكن إلى مجرد مأوى يقي الجسد شر البرد والحر دون يتعداه إلى وظائف أخرى.

وقد مرت مدينة بسكرة خلال تعميرها ككل المدن الجزائرية بمراحل بعد الاستقلال مباشرة، وبعد مغادرة المعمرين لمساكنهم فكانت هذه المراحل كما يلي:

5 . 1 . 1 . 1 - **استقرار المهاجرين بالمساكن الشاغرة**:

وهي المساكن التي تركها المعمرون وتمثلت في الفيلات والمباني المختلفة الواقعة خاصة في الجهة الشمالية للمدينة، وتميز هذا الاستقرار بكونه استقرارا جماعيا، وهذا يرجع من جهة إلى روح التضامن القوية التي كانت سائدة أثناء الثورة، حيث وصل الأمر إلى درجة اشتراك عدة أسر في المسكن الواحد، ومن جهة أخرى لأن المباني كانت واسعة جدا وبإمكانها استيعاب عدد كبير من الأفراد. [1] .

- ينبغي أن نفرق بين عمليتين رئيسيتين للنمو الحضري وهما: نمو المدينة و التحضر.

نمو المدينة:

هي عملية مكانية وديمغرافية تدل على تزايد أهمية المدن كمناطق تركز سكاني في مجمعين ، ويحدث ذلك عندما يتغير توزيع السكان من سكن النجوع والعرب والقرى إلى سكن المدن.

التحضر:عملية اجتماعية تدل على التغير في العلاقات السلوكية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيش داخل المدينة، وهذه العملية تؤدي بالضرورة إلى التغيرات المعقدة والمتشابكة لنمط الحياة والتي تترتب على السكان في المدن. والواقع أن هاتين العمليتين مرتبطتين وذلك لأن سكن المدن ونموها المكاني ارتبط بالتغير في نمط الحياة والسلوك والعلاقات بين أفرادها، وقد حدا ذلك ببعض الباحثين إلى إطلاق كلمة تحضر على هاتين العمليتين معا، حتى وإن كان علماء الجغرافيا يدرسون نمو المدينة السكاني والسكن في داخل البيئة، وعلماء الاجتماع يتناولون ظاهرة التحضر ونتائجها.
والعالم الثالث شهد موجات مندفعة من سكان الريف المهاجرين والذين لم تكن لديهم خبرة الحياة المدينة من قبل، زمن هنا ظهرت مشكلات عديدة مرتبطة بعدم التوافق والاندماج البطيء، وكذلك فقد أدى إلى التقدم في وسائل النقل وسرعته ووسائل المواصلات والإعلام إلى نشر كثير من أنماط حياة الحضرية.

[1] محمد بو مخلوف- التوطين الصناعي و آثاره العمراتية . ص 159- بتصرف.

5 . 1 . 1 . 2 - الاستقرار بجوار المساكن الشاغرة[1] :

في مرحلة ثانية عندما امتلأت هذه المساكن عمد النازحون إلى بسكرة إلى الاستقرار بجوار المساكن التي تركها المعمرون، وذلك بإقامة مساكن من الطوب حولها، فأصبح يحيط بالمسكن - إن كان منفردا- وبالتجمع العمراني عدة مساكن من الطوب في الغالب، وبقايا السيارات والمواد المعدنية الأخرى، وشكلت شبه قرية صغيرة هي حي الوادي الشمالي " زبالة الحلوف" والتي لم تتوقف عن التوسع والانتشار بسبب تزايد حاجة السكان إلى السكن، إلى أن قامت بلدية بسكرة بإزالة هذا الحي بمساكنه الرديئة في عملية تدخل على المباني، حيث تم تهديم هذه المساكن و تعويض أهلها بغيرها من المساكن .

5 . 1 . 1 . 3 - الاستقرار بأحياء الصفيح:

استقر السكان بعد ذلك في أحياء بعيدة عن قلب المدينة، فمن الأحياء ما كان موجودا منذ عهد الإستعماركحي العالية الشمالية، ومنها ما نشأ حديثا كحي " سيدي غزال" حيث نمت هذه الأحياء نموا سريعا وتطورت وحدات الجوار فيها وانقسمت إلى تجمعات عمرانية حقيقية فوق أراض غير مستغلة وغير مجزأة.

5 .1 . 1 . 4 - تملك الأراضي والبناء:

بدأت هذه الظاهرة في الظهور خاصة في السنوات الأخيرة من الإستعمار، ثم استمرت وانتشرت بعد الاستقلال حيث أن النازحين الذين انتشروا في ضواحي المدينة، والذين استقروا بجوار مساكن المعمرين عمدوا إلى الاستحواذ على الأراضي، و أقاموا عليها مساكنهم التي ظلت تتطور كما ونوعا بمرور الزمن، وقد تميزت هذه الأراضي المتملكة في الغالب باتساع مساحاتها لأن أصحابها في البداية لم يكن هدفهم الحصول على مساحة للسكن فقط بل من أجل ممارسة العمل الفلاحي وتربية المواشي أيضا، وقد شكلت هذه المساحات قاعدة أو نواة للأحياء العمرانية غير المخططة، بعدما ازداد الطلب على الأراضي وبعدما اتجه أصحابها لممارسة نشاطات أخرى

---

[11] محمد السويدي . محاضرات في الثقافة و المجتمع . ص 85 . بتصرف .

غير زراعية، وتقلصت المساحات السكنية بفعل تقسيم التركات بين الأبناء، والأسر الوافدة بشكل جماعي والمقيمة بنفس المسكن [1].

أما عن تعداد السكان فإنه يمكن اعتبار تعداد شهر أفريل سنة 1966 هو الأول من نوعه بعد الاستقلال، حيث اهتم بتحديد تحركات السكان واستخلاص نسبة الولادات والوفيات ... وتبع ذلك بتعداد ثان في فيفري 1977، ومع ذلك نجد أن سكان مدينة بسكرة يقدرون سنة 1954 بحوالي 52511 نسمة منهم 3% فقط أوربيون و 97% مسلمون.

وحسب ما أورده الديوان الوطني للإحصائيات فإن:

- **إحصائيات 1966:** كان عدد السكان كما يلي:
  - بسكرة (تجمع رئيسي) : 52719 نسمة.
  - العالية (تجمع ثانوي) : 3696 نسمة.
  - فلياش (تجمع ثانوي) : 1089 نسمة.
- **إحصائيات 1977**: كان عدد السكان كما يلي:
  - بسكرة (تجمع رئيسي) : 76988 نسمة.
  - العالية (تجمع ثانوي) : 7192 نسمة.
  - فلياش (تجمع ثانوي) : 995 نسمة.

* **إحصائيات 1987**: تؤكد ما يلي:

- بسكرة: 128281 نسمة [2].

من خلال الإحصائيات السابقة يتبين لنا أن حي العالية الشمالية كان يعد مع حي فلياش تجمعين عمرانيين ثانويين، مستقلين عن المدينة في التقسيم الإداري. بينما يمكن إجمال عدد السكان في بسكرة والعالية الشمالية من خلال ما استقيناه من مختلف المراجع.

- **جدول (02) نمو سكان حي العالية الشمالية.**

السنوات	1845	1926	1954	1966	1977	1987	1991	1995	1998
بسكرة	4000	16000	52511	57504	85175	128924			178064
العالية	-	-	-	3696	7192	18553	-	31757	32417

[1] محمد بومخلوف . التوطين الصناعي . ص 159 . بتصرف .

[2] Evolution des agglomérations . Juin 1992 . 1966 / 1977 /1987 . 1992 . . Collection n ° 38

بقراءة إحصائية للجدول يتبين لنا أن نمو السكان في حي العالية الشمالية بين عامي 1966-1977 كان 5.83% مقابل 3.52 % بالنسبة لمدينة بسكرة، بينما ارتفعت هذه النسبة إلى 8.82 % خلال العشرية الموالية مقابل 4.08 % لمدينة بسكرة وهو ما يفوق الضعف وهذا بين عامي 1977- 1987، وهو نفس المجال الزمني الذي أنشأت فيه المنطقة الصناعية بمدينة بسكرة، إلى جانب النشاط المكثف لشركات البناء والتعمير، وبسبب هذه الشركات تشكل القطاع غير المهيكل في المدينة - وقد غدا حجم القطاع غير المهيكل في البلاد بحجم قطاع التصنيع-.

من سنة 1987 إلى غاية 1998، تراجعت نسبة نمو سكان حي العالية الشمالية إلى 4.94 % مقارنة بالعشرية الماضية وهذا مقابل 2.91 % بالنسبة لمدينة بسكرة، ويرجع السبب إلى الالتفات إلى قطاع الفلاحة وسياسة الدعم الفلاحي الذي تنتهجه الدولة مما حد بعض الشيء النزوح الريفي، وهذه تفاصيل إحصائيات 1998 بالنسبة لحي العالية الشمالية، حسب مصلحة الإحصاء لبلدية بسكرة.

- جدول رقم (03) تعداد السكان والسكن في حي العالية الشمالية عام 1998 .

البنايات	المساكن				الأسر	السكان			المشتغلون		
	المشغولة	غير المشغولة	الاستعمال المهني	المجموع		ذكور	إناث	المجموع	الفلاحة	أخرى	المجموع
50	4177	1110	49	5336	4908	16503	15914	**32417**	189	4138	4327

المصدر : بلدية بسكرة . مصلحة الإحصاء .

إن للزيادة السكانية مظاهر تمثلت في سرعة إنجاز المساكن لإيواء المهاجرين، مع التقلص المستمر للمساحات الشاغرة، حيث بدأ الفراغ الاجتماعي في الحي مقسما إلى ثلاثة قطاعات متباينة ، وقد تداخلت مختلف الشروط وشكلت حي العالية الشمالية، ليصبح قطبا هاما في المدينة، وليشمل فيما بعد على أكبر كثافة سكانية، منذ نشأته عام 1950 .

5 . 1 . 2 - خصائص التنظيم العمراني بالحي:

للتنظيم العمراني أثر كبير على الحياة الاجتماعية في حي العالية الشمالية، من حيث فراغات التنظيم ومرافقه، وخطوط الحركة، والخدمات المتاحة، وما يرسم التنظيم

العمراني بوضوح هو شبكة الطرقات المتعددة، كونها تسهل حركة المرور داخل الحي، وتربط المدينة والأحياء المجاورة، وتتمثل في شبكة عمرانية عناصرها مايلي:

5 . 1 . 2 . 1 - الســاحة:

تلعب الساحة دورا هاما في تهوية الطرق وتوسيع مسارها الخطي، وتنويع المناظر، وكسر الملل الناتج عن طوله، وقد اعتبرت ومازالت مكانا لتجمع السكان في المناسبات الكبرى والمبادلات التجارية، والمحل الذي تتركز فيه الحياة الاجتماعية، وتحاط عادة بأهم المباني العمومية ذات الطابع الديني والاجتماعي، حيث تتنوع باختلاف تهيئة مجالها ونوعية تنشيطها، حتى تبقى بؤرة لتنفس النسيج العمراني، ويبدو هذا المجال في حي العالية الشمالية ضيقا جدا، وقد فرض النظام الاجتماعي نفسه على المجال بكل وظائفه إذ نجد الساحة مقابل مسجد أبي ذر الغفاري ومسجد الهدى، ومسجد حذيفة بن اليمان، وتستخدم في تجمع المصلين في أوقات الصلاة، ويلاحظ أن هذه الساحات تنفتح على مختلف الشوارع والأزقة، ولا يقتصر المجال العمراني في علاقاته مع الجانب الديني فحسب بل بجميع جوانب الحياة العامة، حيث في نهاية شارع الأخوة ونوغي ساحة أصبحت موقفا للحافلات، وفي أطرافها تنتشر جماعات الشيوخ والكهول للعب الضامة، كما احتلت السوق الأسبوعية المتنقلة وسوق العصر جيوبا داخل النسيج العمراني، والواقع أن الحي لا يحظى بساحة واضحة للتجمع السكاني، حتى أن الحضرة * التي يقيمها الوصفان في مواسمهم الخاصة تحتاج إلى ساحة واسعة لكنها تؤدى في الشارع أو داخل المنازل، ومن جهة أخرى فإن سوق النساء " الدلالات" بحاجة إلى مساحة لتجاذب أطراف البيع والشراء، وكذا المساومة، وهذا ما جعلهن يقطعن الطريق أثناء ممارستهن لنشاطاتهن.

إن تلقائية العمران قضت على كل الفراغات داخل النسيج العمراني التي من شأنها جمع الشمل الاجتماعي، وإن وجدت فهي تستغل كمواقف للسيارات ليلا، ولقيلولة عنزاة السكان ظهرا كما يحدث بالقرب من سوق الفلاح سابقا.

5 . 1 . 2 . 2 - الطريق:

الدور الأول للطريق هو السماح بالحركة، حيث تفتح عليها الواجهات، وتربط بين مختلف النشاطات، وهي في حي العالية الشمالية المكان المفضل للتجمعات، حيث يتجمع الشيوخ كل أمسية على جانبي الطريق بعد رشها وتبريدها بالماء، لتتفرق جموعهم بعد

---

* تقليد سنوي يقوم به الحشاشنة " الوصفان" يتم به أكل مختلف المآكل، وتدق الطبول، وترقص به رقصات خاصة أشبه برقصات أواسط إفريقيا.

صلاة المغرب، فيخلفهم الشباب بالسهر إلى وقت متأخر من الليل، كما تستخدم للنوم خاصة أثناء فصل الحرارة، وتستخدم أحيانا في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية حيث يقيم بها الوصفان طقوس الحضرة، ويقيم بها الشاوية صفوف الرحابة، أثناء أعراسهم. وهي عنصر هام تجري فيه الحياة الاجتماعية للحي، والرابطة بين العناصر العمرانية والمعمارية المشكلة للمحيط الحضري، والتي من خلالها يتم اكتشاف الحي وقراءته، وهي تؤدي وظيفة الحركة والتنقل، وتضمن حركة الراجلين الخالصة، وتستجيب للمضمون الاجتماعي، وتلبي طلب الإنسان النفسي والبيولوجي والفيزيائي عبر أبعادها وديكورها المعماري، وما احتوته من عناصر طبيعية، وهي في تطور مستمر منسجم مع العقل البشري، وما أنتجته من تكنولوجية التنقل والاتصال، وغير ذلك مما يناسب المقياس الآدمي في مستوياته.(1)

لم يشمل التخطيط شبكة الطرق في حي العالية الشمالية كلها، وحتى المجالات المخططة لا يبدوا عليها ذلك إذ ورغم احترامها لمقاييس التراصف والاتساع إلا أنها تشكو من غياب التعبيد، وتشكو أكثر من انتهازية السكان الذين كثيرا ما يودعون ممتلكاتهم الخاصة (السيارات، الرمل، وحصى البناء Gravillon ...) أمام مبانيهم دون اكتراث، وبذلك يحرمون الراجلين من استخدام الرصيف، ونفس الأمر تقوم به المحلات التجارية (بيع الأثاث، مواد البناء، الأواني، المقاهي...) حيث تعرض سلعتها على الأرصفة وكأنها – أي الأرصفة – تابعة للمحل التجاري، وهذا ناهيك عن الأكشاك التي تقتطع من الرصيف جزءا خاصا بها، وهو ما يعرقل حركة الراجلين أيضا.

تتكون شبكة الطرق في حي العالية الشمالية من الأنواع التي تؤدي دورا أساسيا في إحداث الديناميكية في المجال، وهيكلتها لدورها في الربط والنقل، وهي كالآتي:

5 . 1 . 2 . 2 . 1 - الطرق التجميعية:

يمثل هذا النوع من الطرق الشريان الأساسي في حي العالية الشمالية، إذ أنه يتكون من شارعين رئيسيين وهما: شارع الأخوة ونوعي الذي يقسم الحي إلى نصفين، وعليه تفتح جل المحلات التجارية والخدماتية، أما الشارع الثاني فهو (...) الذي يقطع النسيج العمراني المخطط، وينتهي إلى الساحة المقابلة لمسجد حذيفة بن اليمان، بينما هناك طريق أخرى تجميعية تتفرع عن الشارع سابق الذكر، وتمر بالمركز الثقافي، ليطل حي جنوبه عن الطريق الرئيسية

---

(1) الذيب بلقاسم- رسالة ماجستير- ص 96.



صورة رقم 01 : من هنا يبدأ التموضع العشوائي للمعمار ليأتي تشوه التنظيم العمراني .



صورة رقم 02 : الحارة القديمة الشوارع الضيقة هي السمة البارزة

التي تفصل حي العالية الشمالية عن حي العالية الجنوبية، وعن شماله النسيج العمراني القصديري " حارة العشايش".

و يتراوح عرض الطرق التجميعية في حي العالية الشمالية حوالي 20 م إذ تربط بين مختلف التجمعات العمرانية، وهي طرق معبدة، رغم أنها تبدو رديئة في الحارة الجديدة بسبب الجرافات، ووسائل النقل الثقيلة التي تمر عبرها يوميا، لأن مساكن الحي غير مكتملة الإنجاز كما أن هذه الطرق تمايز بين مختلف التجمعات العمرانية من حيث النمط المعماري، وكيفية تموضع النسيج المعماري، إذ أن الشارع الرئيسي " شارع الأخوة ونوعي" ينعرج لدى توغله داخل النسيج العمراني، ولا يبدو بشكل مستقيم، بينما الطرق التجميعية الأخرى لا تنكسر ولا تتعرج بسبب عملية التخطيط، ولعل الحارة القديمة تخلو بها الطرق التجميعية لأن الكثافة السكانية العالية لا تسمح بطرق عريضة داخل النسيج العمراني.

وقد اكتسبت الشوارع والطرق التجميعية في حي العالية الشمالية أهميتها من خلال التقدم الواضح الذي حظى به الحي في جانب المواصلات، حيث أفادت مديرية النقل لولاية بسكرة، بأنه إلى جانب سيارات النقل الحضري التي يربو عددها عن 900 سيارة بالمدينة، يحظى حي العالية الشمالية بنصيب وافر من الحافلات مقارنة بتعداد السكان، ورغم كل هذه النسبة الجيدة في وسائط النقل والمواصلات إلا أن الشوارع تفتقر إلى إشارات المرور، كما أن الشوارع الموغلة داخل النسيج العمراني ظلت تفتقر للإنارة العمومية إلى غاية عام 2001 حيث زودتها البلدية بذلك.

5 . 1 . 2 . 2 . 2 - طرق الربط:

طرق الربط هي الطرق التي تربط مباشرة طرق الخدمة والطرق الرئيسية، ونجدها في حي العالية الشمالية معبدة في النسيج القديم، تنعدم بها الأرصفة، وتتميز بعدم انتظامها من ناحية المسالك، وانعدام التهيئة والضيق في بعض الأحيان، وهي ذات عرض يتراوح بين 07م إلى 15م، وإذا كانت تمتاز بالانتظام في النسيج الحديث نظرا لخضوعها لعملية التخطيط فإنها في النسيج العمراني القديم تتكون من 07 محاور، 04 محاور مهيكلة للجزء الشمالي، و03 محاور مهيكلة للجزء الجنوبي.

5 . 1 . 2 . 2 . 3 - طرق الخدمة:

هي الطرق التي تؤدي وظيفة محلية وداخلية للحي، أي وظيفة سكنية من حيث إيصال المجموعات السكنية ببعضها البعض، وهذه الطرق بعيدة عن المواصفات النظرية من حيث الأبعاد وكذا عدم وجود الأرصفة، وهي غير معبدة حيث تتراوح عرضها ما بين 03 م إلى 05 أمتار، مما يتيح للمباني أن تقترب من بعضها كلما توغلنا داخل النسيج العمراني بالحي، وهو ما يسمح للنسوة باستراق الفرصة لتجاذب أطراف الحديث من خلال هذه المسافة الضيقة، وتقوم هذه الطرق بهيكلة الأجزاء الداخلية بالنسيج العمراني، وهي كثيفة جدا في الجزء الشمالي من الحي، وأقل كثافة في النسيج المخطط وأكثر انتظاما أيضا، وذلك أن التموضع العشوائي للبنايات وعدم انتظام النسيج العمراني هو ما يكثف هذه الشبكة، ويضع الصعوبات داخلها، حيث أنه خلال تهيئة المجال بالماء والصرف الصحي، تجد الجرافات استحالة في الدخول إلى بعضها من المسالك الضيقة، مما يجعل العمال يكملون الحفر بسواعدهم.

5 . 1 . 2 . 2 . 4 - الطرق الحادة:

الطرق الحادة هي إحدى ميزات النسيج العمراني في شمال الحي وغربه، حيث يكتظ السكان، وهي عبارة عن طرق مغلقة، تتفرع عن شبكة طرق الخدمة، ونتجت عن عدم احترام مقاييس البناء، والتراصف، وذلك عن طريق غلق المواطنين للطريق إما بإنشاء مساكن جديدة ، حيث تتكرر عملية اقتطاع حيز من من الطريق العامة وضمها إلى المساكن، فتغلق بمرور الزمن، وإما أن السكان وأثناء تقسيم المسكن لبيع جزء منه، أو توريثه تغلق كل المنافذ للجزء الذي جاء بالداخل، وبالتالي ينشأ هذا الممر بتفاهم كل الأطراف. ففي النواة القديمة مساكن لا تزيد عن 100 م^2 فتحت بها ثلاثة أبواب رئيسية، بعد زواج الأبناء الذين آثروا الاستقلال بمداخل خاصة لمساكنهم ، بسبب المشاكل الناجمة عن كثرة الأفراد في المبنى.

5 . 1 . 3 - أدوات التنظيم العمراني بالحي:

تعتبر شبكة الكهرباء والغاز والماء والصرف الصحي من أهم الشبكات الضرورية التي تحول بموجب وجودها التجمع العمراني بالعالية من الضاحية إلى الحي وبهذه التجهيزات الضرورية اكتمل الشكل القانوني بالتحاق هذا التجمع العمراني إلى مصاف أحياء المدينة.

5 . 1 .3 .1 - شبكة الكهرباء:[1]

للكهرباء دور فعال في حياة السكان، وهو أحد عناصر التهيئة الحضرية، سواء داخل المنازل أو في المؤسسات ذات الطابع التجاري أو الخدماتي أو ... وبشكل آخر فليس هناك من أمر إلا ويتحرك بالكهرباء، ويزداد الطلب على الكهرباء بزيادة السكان وبزيادة تعقد الحياة في



صورة رقم 03 : حارة العشايش التزود بالماء



صورة رقم 04 : حارة العشايش . التزود بالكهرباء .

المجتمع الحضري، ويتوفرحي العالية الشمالية على17 محطة لتحويل الكهرباء، وقد لاقى المسؤولون على هذه الشبكة مشاكل عديدة في إنشاء هذه المحولات بسبب أن النسيج العمراني لم يترك مجالا لإنشاء المحولات. ويستفيد حي العالية الشمالية بشبكة تغطيه بنسبة 100% مع استثناء حارة العشايش لأنه غير معترف بها إلى الآن، ومع ذلك يتزود السكان في هذه الحارة بصورة لا شرعية ، وتتكون هذه الشبكة – شبكة ذات ضغط منخفض – من خطوط سمكها 48 مم^2 ، 38 مم^2 ، 27 مم^2، 17 مم^2 ، إلى جانب خط ملفوف (به عازل) على حافة الوادي، وهذه تقنية حديثة، سمكه 35 مم^2 وفي الشوارع الثانوية 70 مم^2 ، و في الشوارع الرئيسية تبدو كما يلي: في الشارع الرئيسي الأول خط 3 ×BT 48 mm^2 . في الشارع الرئيسي الثاني خط 3 × BT 38 mm^2.

وقد تمت تغطية الحي بالكهرباء عام 1982 بينما كان هناك خط كهرباء يمون العالية القديمة على حافة الوادي بالكهرباء وهو من إنشاء المستعمر الفرنسي. ويمول حي العالية الشمالية بخط ضغطه kv 10/30 ، وهو ما يتحول إلى ضغط متوسط kv 10 وضغط منخفض 220 ف[1].

5 . 1 . 3 . 2 - شبكة الغاز: [2]

يعتبر الغاز من أساسيات التجهيز داخل المسكن، وعام 1994 تم تغطية حي العالية الشمالية بالغاز بنسبة 100% باستثناء حارة العشايش ولكن عدد المشتركين ليس 100%، ذلك أن بعض السكان مازالوا يستخدمون قارورات الغاز، ولدى محل بيع القارورات الغاز في الحي يتم بيع حوالي 29000 قارورة سنويا[3].

ويمون حي العالية الشمالية قناتان رئيسيتان قطرهما 150مم ضغط التوزيع في الشوارع 4 bars ، ضغط التوزيع في المنازل 21 millibars ، بينما مخفظات الضغط تكون في المنازل ويتراوح قطر القنوات الثانوية بين: 40مم، 63مم، 125مم، 100مم، 80مم، 40مم أو 50مم، 25مم، 20مم، وجدير بالذكر فإنه في حارة العشايش هناك أسر تستخدم جذوع النخل وسعفها لطهي الطعام والتدفئة في فصل الشتاء.

5 . 1 . 3 . 3 - شبكة المياه:

تغطي شبكة المياه حي العالية الشمالية بنسبة 100 %، ويتغذى الحي من خزان واحد يقع في شماله (قرب القراف) سعته 3000م^3 ، وهو متصل بقنوات رئيسية وفرعية

---

1 الشركة الوطنية للكهرباء والغاز- لولاية بسكرة- جويلية 2002

2 الشركة الوطنية للكهرباء والغاز- لولاية بسكرة- جويلية 2002

3 مديرية الضرائب . فرع العالية الشمالية . بسكرة . جويلية 2002 .

تمتد إلى جميع المساكن بالحي، يبلغ قطرها ما بين 80مم، و 400مم، ويتغذى هذا الخزان من سبعة آبار، أربعة منها في شمال الحي بمحاذاة وادي بسكرة، وثلاثة منها في حي العالية الجنوبية، ومع ذلك مازالت حارة العشايش تتزود بطريقة متعبة.

5 . 1 . 3 . 4 - شبكة الصرف الصحي:

أنشأت هذه الشبكة عام 1982، وهي تغطي الحي بنسبة 100 %، ما عدا المناطق التي يتداخل فيها النسيج العمراني مع بعضه البعض، حيث هناك أزقة ضيقة يصل عرضها مترين فقط، وكثيرا ما كان العمال يكملون الحفر بأيديهم عن الجرافات، ولكن هناك أمكنة لم تطلها هذه الشبكة وتقع في الجهة الشمالية للحي قرب الوادي. وتبلغ أقطار هذه الشبكة: القنوات الرئيسية من 500مم إلى 600مم، والقنوات الثانوية تبلغ أقطارها 300مم، والواقع أن هذه الشبكة تعتبر جيدة إلا أن حارة العشايش لم تستفيد منها، بل إن مياهها وقاذوراتها يتم رميها في الشارع وهو ما يسبب الأوحال في الحي، كما أن هناك مساكن بالحارات القديمة لم تستفيد من هذه الشبكة وتقدر بنسبة 02 [1]% نظرا لموقعها المنحدر وعدم الملائمة لإيصال فروع الشبكة، لذلك فإن هذه المساكن تستعمل الحفرة.

5 . 1 . 3 . 5 - جمع النفايات:[2]

يتم يوميا جمع النفايات من حي العالية الشمالية من طرف عمال النظافة بالتعاون مع السكان، إذ يبدءون العمل منذ الصباح الباكر ويستقبلهم السكان بالاستعداد بوضع نفاياتهم أما الأبواب، وتتكون فرقة النظافة من ثلاث شاحنات sonacom + جرار تعمل كل يوم حيث : شاحنة تعمل بالليل من الجسر إلى خزان الماء، والجرار يبدأ من السابعة صباحا، شاحنتان تعملان بالجهة اليمنى من التجزئة A إلى غاية التجزئة D أي إلى غاية مقبرة الجديدة ، وقد أبدى مدير مصلحة النظافة استيائه من نقص العمال، وعلل ذلك بكون الأزمة هي أزمة وطنية، حيث أن العمال يقدرون بثلاثة عشرة عاملا و أربعة سائقين فقط ، وفي حالة إحالة أحدهم على التقاعد فإن البلدية لا تعوضهم بعامل آخر. فالسكان أكثر بكثير من قدرة وجهود مصلحة النظافة و عمالها ،مما يجعل الحي دائم الوسخ ، حتى أن السكان القاطنين بالقرب من الوادي يرمون به نفاياتهم دون أدنى اكتراث أو في الغابة الموجودة أسفل المنحدر شمال الحي ، و هو ما يعطي الحي منظرا غاية في التشوه و الصورة غير اللhئقة للمدينة لأن هذه الواجهة تبدو واضحة من الضفة المقابلة للوادي مما

---

[1] ابراهيم عريوات . مرجع سابق .
[2] بلدية بسكرة . مصلحة النظافة .

يبعث انطباعا و لو أوليا لأي زائر لمدينة بسكرة ، و ما يزيد المنظر سوءا عدم تعبيد الطرق بالحي .

5 . 1 . 4 - أسباب التلقائية العمرانية:

5 . 1 . 4 . 1 - توزيع الكثافة السكانية:

نعني بالكثافة السكانية النسبة بين عدد السكان والمساحة التي يشغلها هذا العدد في المجال الحضري، وحي العالية الشمالية ينبسط على مساحة 169.11 هكتار، أما عدد سكانه فبلغ 32411 نسمة[1]، أي بكثافة تقدر 191.69 نسمة في الهكتار الواحد، ويوضح الملحق رقم (06) مدى تباين تركز الكثافة السكانية من منطقة لأخرى، حيث تشتد في الحارات القديمة وتخف في الحارات حديثة النشأة، إذ توضح توزيع عدد السكان عبر أرجاء الحي. يتبين لنا مدى التفاوت في تجمع السكان وتوزيعهم في المكان، حيث أن أصغر المساحات تضم أكثر عدد السكان. وبأرقام أخرى تشكل الجدول الآتي وتبرز مدى التفاوت في توزيع الكثافة السكانية بين منطقة وأخرى

- جدول رقم (04): توزيع الكثافة السكانية في حي العالية الشمالية.

التجمع العمراني	عدد السكان (نسمة) [1]	المساحة (هكتار)[2]	الكثافة السكانية (نسمة/هكتار)	نسبة سكان الحارة %
الحارة القديمة.	19289	58.25	331.14	59.50
الحارة الجديدة.	9705	75.65	128.28	29.93
الحارة القصديرية.	3423	35.21	97.21	10.55
المجموع.	32417	169.11		100

نستشف من خلال الجدول السابق أن نسبة 59.50% من السكان تعيش في رقعة جغرافية تنبسط على مساحة 58.25 هكتار، مقابل 29.93 % في مساحة 75.65 هكتار، و10.55 % على مساحة 35.21 هكتار، وهو ما يفسر مدى ارتفاع الكثافة السكانية في مناطق بعينها عن غيرها، فهي تعلو في الحارة القديمة، وتنخفض في الحارة الجديدة، بعبارة أخرى تعلو الكثافة السكانية في المناطق التي تشهد تشوها على مستوى التنظيم العمراني، إذ كلما علت الكثافة السكانية كلما تعقدت شبكة الطرقات وغابت أدوات التنظيم

---

[1] التعداد الوطني- سنة 1998.

[2] دائرة البناء و التعمير La DUCH

العمراني، واختفت الأرصفة وانتشرت العشوائية على مستوى القطع المعمارية. وتعود هذه الكثافة إلى عامل غياب الخطة العمرانية التي يفترض أن توليها البلدية للمجال، ومن جهة أخرى إلى الامتيازات التي يحظى بها الموقع، حيث التف الناس حول منبع المياه من جهة وفوق التلة المرتفعة خوفا من أن يجرفهم الوادي من جهة ثانية،والقرب من المدينة من جهة ثالثة،هذا ناهيك عن مدى تخمين كل وافد في المجال، حيث وكما أفاد السكان الأوائل بأن البدو الرحل الذين نزلوا قبل الخمسين سنة لم تكن لهم بيوت حقيقة،بل خيم تنصب وترفع بعد انقضاء الفائدة من المكان ولما أقيمت المساكن الحقيقة كانت أشبه بمساكن الريف، حيث امتازت بشكلها الهلامي المتغير حسب الحاجة لمساحة جديدة، وقد أثر العدد المرتفع لأفراد الأسرة في هذه الهلامية إلى حد كبير، ذلك لأن البدو لا يستقرون كأسر نووية في المسكن بل كعائلات ممتدة ، أو كأسر متقاربة كأبناء الأعمام والأخوال في مسكن واحد، وفي أحسن الأحوال في مسكنين متجاورين، ولكل أسرة نووية غرفة واحدة لا أكثر، وكلما استدعت الحاجة لتوسيع المسكن كان الفضاء الخارجي هو أول المجالات المستحوذ عليها، وبمرور الزمن تتحول الحظيرة – عادة تقام المساكن وبجانبها سياج تحفظ بداخله المواشي – ذات الشكل الهندسي المعين أو الثابت إلى مساكن للأبناء المتزوجين حديثا، ويتكرر الأمر كلما زاد الحجم العددي للعائلة بزواج الأحفاد، في ظل الغياب الكلي لعملية التخطيط فالإقامة هنا لا تخضع لأية مقاييس معمارية في تصميمها، أو تقيدها بمكان محدد الموقع، وعلاوة على ذلك فهي غير مرخصة، غير مراقبة.. فالسكان هنا لأجل لقمة العيش لا أكثر ولا مجال للتفكير حول أبعاد التنظيم العمراني المستقبلية، ولا عن كيفية تشكله، وشكل تموضعه في الفضاء، ونفس الرؤية والتفكير كان لدى الوافدين بعد عام 1980، الذين شكلوا حارة العشايش، فلم يكن يربطهم بالمكان أمر هام سوى الإقامة المؤقتة التي لا تستدعي مسكنا لائقا تصب فيه الجهود، وعلى هذا الأساس جاءت خصائص التنظيم العمراني بالشكل آنف الذكر تكتنفها الطرق الحادة .

5 . 1 . 4 . 2 - الوضعية الاجتماعية للوافدين إلى الحي:

تعتبر الوضعية الاجتماعية إحدى المؤشرات التي تفسر تقاسيم العمران وطريقة التعمير وأشكال الإنجاز بوضوح في حي العالية الشمالية، ففي غياب التخطيط ينسج الناس خلايا مساكنهم تبعا لظروفهم الاجتماعية، حيث كان أول من استوطن بالمكان هم الفلاحون بما فيهم الموالين والبدو الرحل والخماسة وغيرهم ممن لا حرفة لهم إلا تعهد ما

يملكون بالرعاية وتقديم أقصى الجهد للحفاظ على قوت اليوم، ولأن مدينة بسكرة هي معبر القوافل إلى الشمال في موسم الحصاد فإن حي العالية الشمالية هو المكان الآمن للراحة، بما يتوفر عليه من ماء وموقع هادئ بعيد عن ضوضاء المدينة وأكثر اتساعا لنزول مختلف القوافل، ولذلك ظل الفلاحون والبدو الرحل خاصة هم المسيطرون على المكان إلى غاية سنوات السبعينات حيث التحق بهم البناءون بعد جذب المنطقة الصناعية * لليد العاملة من مختلف بلديات الولاية، أما بعد الثمانينات والتسعينات فقد تدفقت مختلف شرائح المجتمع بمختلف الوضعيات الاجتماعية، ويظل الفلاحون هم الأكثر تواجدا بالحي ويليهم البناءون ،أما الموظفين فإن وجودهم بالحي كان متأخرا بعض الشيء، وقد أجاب المبحوثون عن سؤالين آثرت دمجهما في الجدول رقم(05) وهما: - ما هو تاريخ أول سكن لكم في العالية الشمالية ؟.

- ماذا كان يعمل رب الأسرة قبيل رحيلكم إلى الحي ؟.

والواقع أن إنجاز المسكن كان صورة عن الوضعية الاجتماعية حيث كانت المساكن الأولى أشبه بمساكن الريف، امتازت في بداية تشكل التجمع العمراني بشكلها الهلامي المتغير حسب الحاجة للمساحة، بينما مواد البناء محلية، حيث يستخدم الطين لصنع الطوب وتلبيس الجدران ويستخدم الجريد لتسقيف المنزل، وقد تلا الفلاحين في الالتحاق بالحي البناءون الذين أنجزت معظم مساكنهم من كل أصناف مواد البناء، الطين، الإسمنت، والقصدير، وقد انعكست القدرة الشرائية لهاتين الفئتين بشكل ملحوظ في العمران، فالدخل الضعيف والعدد المرتفع لأفراد الأسرة، مع غياب التنسيق العمراني، وغياب الخطة العمرانية في أذهان كل الساكنين، كانت المساكن عشوائية التموضع، والشوارع يميزها التعرج والطرق الحادة، وفي ضوء تلك الكثافة العالية و التنافس على الموضع .

في السنوات الموالية أين قدم التجار والموظفون للحي تغير نمط البناء وتغيرت مواد البناء، إلى حين قيام البلدية بعملية التخطيط، فالتقيد بحدود المسكن للتوسع قلل من شكل التموضع العشوائي، والقدرة الشرائية الملائمة قللت من التشوه العمراني، ولكن بتزايد أفراد الأسرة ظهر تشويه آخر و هو تحوير المجال على المستوى المعماري.

* أنشأت المنطقة الصناعية في بسكرة عام 1972.

5 . 1 . 4 . 3 - إنجاز المساكن:

يبرز الجدول رقم (05) مراحل إنجاز العمران بالحي إجابة على سؤال:

- ما هو تاريخ إنجاز المسكن ؟.

- جدول رقم (05): تاريخ إنجاز المساكن بالحي.

سنة الإنجاز	التكرار	النسبة %
قبل 1950	**09**	01.31
1950 - 1960	23	03.36
1961 - 1970	39	05.70
1971 - 1980	113	16.52
بعد 1980	500	73.09
المجموع	684	100

تحقيق ميداني جويلية 2002.

يبرز الجدول بأن أغلب المساكن المنجزة حديثة، حيث بلغت نسبة المنجزة بعد عام 1980: 73.09%، والواقع أن المساكن ما قبل عام 1980 تشكل النواة الأولى للتجمع العمراني، حيث ومنذ عام 1950 إلى غاية 1980 والسكان يتجمعون في مكان واحد مساحته 58.25 هكتار، بما يعادل نسبة 34.44 % من مساحة الحي المقدرة بـــ 169.11 هكتار، وقد بلغت نسبة المساكن قبل عام 1950 بـــ 01.31 % وما بين عامي 1950 و 1960 نسبة 03.36% وتمثلت في المساكن المحيطة بالثكنة العسكرية المتواجدة بالحي آنذاك التي يعمل أصحابها لدى المستعمر، وكذا بيوت البدو الرحل الذين استقروا بالمكان، أما مابين عامي 1961 و 1970 فإن النزوح الريفي بدأ يظهر، ويتفاقم أكثر في العشرية الموالية بين عامي 1971 و 1980 لتصل نسبة المساكن إلى% 16.52 تبعا للتغيرات التي تعرضت لها مدينة بسكرة إداريا[1]، وظهور المنطقة الصناعية[2]أيضا، مما نجم عنه تضخم حضري، فاضت من خلاله النواة الأولى بالسكان ليمتد إلى المناطق الأخرى بالحي، يحصدها بالعمران.والواقع أن القول بإنجاز المساكن في

---

[1] نصبت مدينة بسكرة كولاية عام 1974.
[2] ظهرت المنطقة الصناعية ببسكرة عام 1972.

حي العالية الشمالية ينطوي على شيء من المبالغة، فهو يشهد يوميا كل العمليات المتعلقة بالمسكن، من بناء وتجديد وترميم وإزالة و ...ففي النواة الأولى تظهر شوارع وتختفي أخرى، وتجديد المساكن هو السمة البارزة، حيث يعمد السكان إلى تجديد المعمار الواحد قطعة قطعة، ففي بعضها تجد نصف الغرف مبني بالطوب والنصف الآخر بالإسمنت، كما تجد داخل المسكن الواحد غرفا سقفها بالاطة أي بالإسمنت- وغرفا أخرى بالجريد أو الترنيت، وخلال عملية التجديد تؤخر دورة المياه والمطبخ وواجهة المسكن. ويظهر التجديد بإلحاح أثناء تزويج أحد الأبناء، حيث ترمم غرفته أو تجدد بالكامل دون سواها، وتصبغ جدرانها وتبلط أرضيتها و... وتتكرر العملية مع الابن الثاني والثالث وهكذا تبقى جدران الحوش والسقيفة وواجهة المنزل والمطبخ ودورة المياه بلا تجديد في انتظار المناسبة، وخلال ذلك يضم المسكن كل مواد البناء حيث: غرفة الأبوين والبنات جدرانها من الطوب وسقفها من الجريد، بينما غرف الأبناء المتزوجين جدرانها إسمنت وسقفها بلاطة " دالة" أما المطبخ فيسقف بالترنيت، ويفتقر إلى الباب. هذه صورة متكررة جدا بالنواة القديمة، وهي ما شكلت معمارا مليئا بالترقيعات غير المتناسقة سواء في الألوان أو الأشكال وهو ما من شأنه إعطاء منظر غاية في التشوه.

أما في الجهة الأخرى " الحارة الجديدة" فإن الوضع يختلف حيث اختزلت البلدية الخيم والخيم المحاطة بسعف النخيل " ما كان يعطي للمكان منظر ريفيا بحتا " وقامت بعملية التخطيط، وتجزيء المجال إلى تجزيئات " أ " " ب "، " ج1 "، " ج2 " " د " مع تهيئته بوضع الأرصفة، ومد الشبكات الضرورية، فكانت المساكن هنا قليلة التشوه- مقارنة بغيرها- من حيث التنظيم العمراني، ومن جهة أخرى، ولما لم يكن هناك بد من وضع اليد على الأرض بعد امتلاء المجالين الأولين، لجأ الوافدون الجدد إلى التموضع على حافة التجمعين الآخرين، في شكل فطريات مبعثرة، بلا شوارع، بلا وجهات تتجه نحوها المساكن... المهم أنها مساكن تأوي أصحابها، منها المبني بالإسمنت، والطوب، والقصدير، والخيم،... ولذلك سمي هذا التنظيم العمراني بــ " حارة العشايش "، كما يفتقر لأدنى أدوات التنظيم العمراني وأدنى المرافق، حتى محلات المواد الغذائية، ويعكس هذا الوضع مدى الازدحام الذي آل إليه التجمعان العمرانيان الآخران، وانعدام المساحات

الشاغرة ضمنها، وفي ذات الوقت برزت شركات البناء التي بسطت نفوذها في مدينة بسكرة وامتصت معظم اليد العاملة في مجال البناء، إلى جانب طرد الريف لأصحابه بسبب الجفاف، وقلة العتاد الفلاحي وكذا رغبة الكثير من البدو الرحل في الاستقرار لتعليم أطفالهم بعد انتشار حركة الوعي بين شرائح المجتمع.



صورة رقم 05 القراف . إحدى المعالم الشاهدة على أهمية الموضع .



صورة رقم 06 .الحارة القصديرية . التسول و الحرف الهامشية لدرء الجوع

5 . 2 - التركز العمراني على هامش المدينة .

يعتبر التركز العمراني بشكل تلقائي في المجال أحد النتائج التي تؤول إليها التجمعات العمرانية غير السوية ، و التي كانت نتاجا لكثافة سكانية عالية تروم المأوى في نفس المكان دونما تخطيط أو تصويب لإتجاه الإمتداد الفيزيقي ، و يبدو التركز العمراني على هامش مدينة بسكرة بارزا من خلال المؤشر الكيفي و المؤشر الكمي .

5 . 2 . 1 - مؤشرا التركز العمراني في حي العالية الشمالية:

5 . 2 . 1 . 1 - المؤشر الكمي:

نعني بالمؤشر الكمي كثافة العمران بالمجال، أي النسبة بين عدد المساكن والمساحة التي تحتوي هذه المساكن، حيث أن مساحة الحي تقدر ب 169.11 هكتار، بينما يبلغ عدد المساكن 5336 مسكنا أي بكثافة تقدر بـــ 31.55 مسكن / هكتار، بينما يتباين تركز العمران خلال توزعه في الحي من جهة أخرى، حيث كلما ازداد التشوه العمراني كانت نسبة المساكن بمجاله مرتفعة، حيث في الحارات القديمة حيث يبلغ التشوه ذروته تبلغ الكثافة العمرانية أيضا ذروتها، إذ أنه بالنظر إلى خريطة الكثافة العمرانية عبر حارات الحي نتبين مدى التفاوت في تجمع العمران، ويوضح الجدول الموالي ذلك.

جدول رقم (6): توزيع الكثافة العمرانية في حي العالية الشمالية.

التجمع العمراني	عدد المساكن (مسكن)[1]	المساحة (هكتار)	الكثافة العمرانية (مسكن/ هكتار)	نسبة مساكن الحارة(%)
الحارات القديمة	2814	58.25	48.30	52.73
الحارة الجديدة	1982	75.65	26.19	37.14
الحارة القصديرية	540	35.21	15.33	10.11
المجموع	5336	169.11		

تعلو نسبة المساكن بالحارات القديمة عنها في الحارتين الأخريين حيث أن نسبة مساكنها تقدر بـــ 52.73% ، وهي نسبة عالية رغم تفاوت المساحة لكل حارة، مقابل 37.14 % بالحارة الجديدة و 10.11 % للحارة القصديرية مع أن هذه الأخيرة لم تكتمل بعد، وقد تؤول إلى ما آلت إليه الحارات القديمة في ظل الرقابة الغائبة عن إنجاز المساكن، وبعبارة أخرى فإن المناطق التي تشهد أكثر التركز العمراني هي المناطق الأكثر تشوها، ويعود سبب ارتفاع نسبتها إلى المساحات السكنية الضيقة رغم كونها بناءا ذاتيا، (في حالة البناء العمودي تحوز العمارات على مساحات صغيرة مع عدد المساكن الكبير، وهذا لا يشكل تشوها نظرا لكونه مخططا ومدروسا)، أما في حي العالية الشمالية فإن الوضع يختلف حيث تتركز المساكن دون أن تكون عمودية وهذا ما يصنع تشوها عمرانيا كبيرا.

5 . 2 . 1 . 2 - المؤشر الكيفي:

إن التطور العمراني هو إحدى المؤشرات لمعرفة نقاط الضعف والقوة في أي مجتمع عمراني مهما كانت أسباب نشأته وطرق نموه، ذلك لأن الوقوف على أسباب النمو واتجاهاته المختلفة ما هو إلا ترجمة لمدى فعالية الموقع والموضع * وقد تشكل التنظيم العمراني في حي العالية الشمالية بالأشكال الآتية:

ضاحية العالية:

ظلت ضاحية العالية منطقة مرتبطة بمدينة بسكرة بطرق المواصلات كالطريق الوطني رقم 21، والطريق المؤدية إلى شتمة وسيدي عقبة، وقد أوضحت أرقام التعداد العام للسكان عام 1966 أن العالية كانت تجمعا عمرانيا ثانويا مع فلياش، في حين كانت بسكرة تجمعا عمرانيا رئيسيا، ولولا وجود الوادي بين العالية وبسكرة لتداخل عمران

---

(1) التعداد الوطني 1998.

* كما يسمح هذا النمو بإعطاء فكرة دقيقة عن الأحوال الاقتصادية والسياسية السائدة في كل مرحلة من مراحل النمو، التي تترجم عادة عن طريق السكان والسكن والدور الوظيفي، ففي معظم مدننا نجد العمران نتاجا للصراعات الاقتصادية والسياسية لكافة الأنظمة الاستعمارية، وإلا فما سبب التناقضات المعمارية التي نشهدها حاليا في جل مدننا، حيث تقف الأكواخ إلى جانب البنايات الشامخة وأحياء الصفيح إلى جانب الفيلات الضخمة.
- الصادق مزهود- أزمة السكن في ضوء المجال الحضري- ص 24.

التجمعين والتصق (مازال تأثر الضاحية واضحا في حديث السكان القدامى إلى الآن، كأن يقول الساكن بالعالية: سأذهب إلى بسكرة، أو اشتريت كذا وكذا من بسكرة.)، ويمكن اعتبار العالية ضاحية سكنية، وهي وإذ نشأت قرب المدينة فللسكن فقط، لأن سوق العمالة ظل بعيدا عنها في هذه الفترة، وبالتالي اكتفت بتوفير بعض الخدمات البسيطة تلبية لحاجيات طبقة متوسطة الحال، وكان السكان يعتمدون في الكثير من الخدمات على المدينة الأم سعيا على الأقدام، رغم توفر طريق معبدة تربط التجمعين عبر وادي بسكرة، وحيث تنزل الأمطار ويجري الوادي فإن الطريق تنقطع والحركة العادية بالعالية تشل صوب المدينة. أما وسائل المواصلات العمومية فكانت منعدمة في هذه الأثناء، عدا سيارات الأجرة أو سيارات (الفرود)، حيث أن نقل مريض من العالية على مستشفى الحكيم سعدان يكلف المواطن 50 دج، وهو ما يعادل 500 دج حاليا، وقد تميزت ضاحية العالية بكونها مجتمعا صغيرا نسبيا ومختلفا عن المدينة أيما اختلاف، ورغم أن العلاقة بين الاثنين كانت متبادلة دائما، حيث أن معظم السكان يعتمدون على العمالة في المدينة بينما الضاحية كانت للسكن فقط، لأنهم يقضون معظم وقتهم خارجها، وفي ذات الوقت كانت المدينة تقدم معظم الخدمات مقابل تلك العمالة.

رغم أنها كانت تتوفر على خزان ماء في أعلى الموقع، إلا أنها لم تكن مزودة بالمياه عدا محطة ضخ (pompage)يجلب منها السكان حاجاتهم من الماء، مما شكل ساقية تمتد بالتوازي مع الوادي، وتشكل وسطا خصبا جدا لنمو الضفاذع والناموس ومختلف الطفيليات، ورغم أن الساقية كانت تجتاز أمكنة لرمي القمامة، إلا أن السكان كانوا يغسلون منها ثيابهم، ويستحمون في الأماكن المتسعة بها في فصل الصيف ولأن جلب الماء من المضخة كان يكلفهم صعود ذلك المرتفع الشاق ونزوله مرتين، ولم يكن ذلك يسد حاجتهم من الماء، فقد كانوا يشترون الصالح منه للشرب بثمن يتراوح بين 05 دج و 07 دج للبرميل ذي سعة 200 لتر.

كما أن قنوات الصرف الصحي كانت منعدمة مما جعل السكان يمدون قنوات الصرف الصحي إلى الشارع مباشرة، وهو ما جعل كل الشوارع موحلة وبلا استثناء، أما بعض السكان فقد مدوا القنوات إلى الساقية، وهذه الوضعية للماء والصرف الصحي دامت إلى غاية عام 1982م.

في مجال التعليم لم تكن الضاحية تتوفر على أكثر من مدرستين، ابتدائيتين وفي حالة جريان الوادي يتوقف تلاميذ التعليم المتوسط والثانوي عن الدراسة لعدم تمكنهم من عبوره، وقد يتوقف تلاميذ الابتدائي أيضا في حالة كون المعلمين قاطنين بالمدينة.

أما في مجال الصحة، فقد كانت الضاحية تتوفر على مستوصف لا يفي حاجة السكان من العلاج وهو ما سهل لكثير ممن لهم علاقة من قريب أو بعيد بميدان الطب أن يعطوا الحقن للمرضى مقابل مبلغ رمزي، كما يتيح هذا الوضع لكثير ممن تسول لهم أنفسهم معرفة الغيب بالاطلاع على أمراض الناس، ومعالجتها بالعقاقير والتمائم، ولم يكن المستوصف يؤدي وظيفة العلاج فحسب بل إنه كان يؤدي خدمة أخرى تتمثل في بيع الأقمشة والألبسة والحلي والأواني من طرف الدلالات (وما زال وضع الدلالات إلى الآن لم يتغير ببائعاته وزبائنه) رغم تغير مكان المستوصف (أو المجمع الصحي حاليا)، ورغم ظهور المحلات التجارية.

ورغم كل هذه الأوضاع استمر السكان بالزحف نحو الضاحية سواء عن طريق الحركة من وسط المدينة أو النزوح من القرى المجاورة أو الوفود من ولايات أخرى وتركزوا على طول الشريط المحاذي للوادي والساقية، وفي أعلى المنطقة. وبالتدريج شكلت الضاحية جزء معتبرا من الفراغ الاجتماعي العمراني، وأصبحت وحدة اجتماعية ذات شخصية مختلفة، وتعقدت بها شبكة العلاقات الاجتماعية، لكن حدودها لن تتضح معالمها لأن النمو والامتداد الفيزيقي ظل مستمرا، وحتى المناطق التي كان يستبعد أن تطالبها يد التعمير لم تسلم من ذلك.

وهنا تتحول الضاحية إلى حي عمراني من أحياء المدينة، ويستقل الحي من ناحية الخدمات المقدمة، بل وأكثر فقد ضمت العالية الجنوبية المستشفى والجامعة وهذا ما جعله قبلة حقيقية للسكان من قلب المدينة.

بهذه الكيفية تطورت وحدات الجوار البسيطة، ونمت وظهرت بها هي ذاتها وحدات جوار ثانوية، وتطورت الوحدات الأساسية وتمايزت حدودها لتصبح حيا، وإذ كان الحي – بصفة عامة- ينشأ على أساس الساحة الموقعية للجوار، فإن حي العالية الشمالية يفتقر لذلك، وليس له الشخصية الجماعية في مشاعر السكان، ذلك لأنهم لم يكونوا من أصل جغرافي واحد، إذ أنه ضم " السوامع، أولاد دراج، الشاوية، أولاد رحمة، السحاري، الحشاشنة، أولاد نايل، السراحنة..."بينما تبدو الشخصية الجماعية في المجال ضمن الحي الكبير تتشكل أحياء صغرى تعبر عن شخصية متميزة وتشكل جوارا، وأحيانا وحدات

جوار كما هو الشأن في حارة حوحو أو حارة الشاوية حيث معظم العائلات من أصل جبلي وحارة الحشاشنة بينما تتشكل حارة طابق الكلب وحارة لاسيتي " 140 مسكن" والحارة الجديدة مجرد حيز لمجموعة من العلاقات مع الغير (*).

تشكل الحي:

بدأ حي العالية الشمالية يأخذ شكله الرسمي، ويستقل بخدماته، ممتثلا للشروط الخمسة حسب"علم الاجتماع العمراني" والتي هي:

* - تطور التجمع العمراني من حيث الرقعة.
* - التجهيزات.
* - المركز أو النواة.
* - الموقع والحدود.
* - الحدود الاجتماعية.

ويمكن عرض هذه الأشكال في حي العالية الشمالية كما يلي:

- **- تطور التجمع العمراني من حيث الرقعة**:

تطور التجمع العمراني في حي العالية الشمالية بتكثف وحدات الجوار، وتطور من حيث نظرة الناس إليه بتحوله من ضاحية إلى حي، وإذ تطور بمساحة أكبر فقد مال إلى الانقسام إلى أحياء هي: حي النور، حي الفجر، حي السعادة، أما على المستوى الاجتماعي فإن التجمع قد مال إلى الانقسام إلى حارات هي: طابق الكلب، حارة حوحو، أو حارة الشاوية، الحارة الجديدة، حارة الوصفان، حارة العشايش، الحارة القديمة، ... والمسافة بين هذه العناصر في متناول الفرد مشيا على الأقدام، والمسافة هنا أيضا ليست تأثيرا ماديا على البعد الهندسي فقط، بل إنها تعني كذلك تأثيرا نفسيا خاصا بالحي، فانتقال أسرة ما من طابق الكلب للعيش في حارة الشاوية يشعر معها الفرد المنتقل بأنه خرج من حيه أو حارته إلى جو لم يألفه.

وبشكل عام تدور الحياة اليومية ضمن نطاقات محدودة من الفراغ الاجتماعي، غالبا ما تكون الحارة نفسها (والمقصود بالحياة اليومية هنا كل الأنشطة عدا أماكن

(*) حارة طابق الكلب، حارة لاسيتي و الحارة الجديدة، حارة الشاوية، حارة الوصفان، حارة العشايش..هذه التسميات ليست رسمية، ولكنها متداولة على ألسنة الناس، وعلى أساسها تعرف مواقع الخدمات في الحي، وإذ أوردها في هذا البحث بأسمائها الواقعية فلكي أقارب الواقع من خلالها.

العمل الرسمي) وذلك لوجود الشارع الرئيسي " شارع الأخوة ونوعي" الذي يقسم الحي نصفين، فهو يشكل ملتقى تجمع كل السكان من أجل الخدمات المختلفة، سواء من ناحية السير بالسيارات لعرض الطريق المناسب، أو لأن معظم الخدمات تقع على جانبيه. والشارع هنا بمثابة الحدود التي تجعل الكثير من السكان لا يتعارفون إلا في المناسبات المتباعدة، كالانتخابات، أو كأن يقصد أفراد الحارات الأخرى الفرع البلدي أو المجمع الصحي أو مركز البريد والمواصلات، وهذا ما لا يتكرر كل يوم، وهذه الظاهرة تبدو عادية في الأحياء الكبيرة.

- - **التجهيزات:**[1]

إن ميل الحي للتمايز في النسيج العمراني، وبعده عن التجمعات العمرانية الحضرية الأخرى، وقلب المدينة خاصة، جعله يعتمد بالدرجة الأولى على ما يسمى " الابتعاد المحسوس والمعاش" وهذا المعاش الذي تدعم بالظهور التلقائي للخدمات المختلفة التي أعطت للحي تنظيمه وشكله، وما ميزه في النهاية بشكله وبشخصيته. لذلك ظل الحي يدين بوحدته إلى هذه الخدمات (التجهيزات) وإلى السلوكيات الاجتماعية المرتبطة بهذه الخدمات، وهذه الخدمات منها الموزع على المساكن، منها المتمركز فراغيا في المؤسسات التجارية والمدارس والأبنية والمساجد والمقاهي... المتمركزة ضمن النسيج العمراني تساهم بشكل كبير في تكوين الحي من خلال استقطاب السكان، إذ من خلال استجواب المبحوثين تبين أن لتوفر المرافق بالحي أثر بالغ في تركز العمران والسكان ضمن هذا المجال.

- **جدول رقم (08): أسباب السكن في حي العالية الشمالية.**

أسباب السكن في الحي	التكرارات	النسبة %
ظروف العمل.	260	38.01
توفر المرافق العمومية.	162	23.68
سعر الأرض.	188	27.48
وجود الأقارب بالحي.	31	04.53
أخرى.	30	04.38
بدون جواب.	13	01.90
المجموع.	684	100

[1] للوقوف على التجهيزات التجارية و الخدمية انظر الجدول رقم : (39) ضمن الملاحق .

تحقيق ميداني . جويلية 2002 .

من خلال معطيات الجدول نتبين مدى أثر المرافق العمومية في توجه السكان للحي، فهي تقدر ب 23.68 %، وتعتبر نسبة لا بأس بها مقابل 38.01% لظروف العمل (تشمل ظروف العمل هنا، العمل في حي العالية الشمالية، وكذا القرب من أماكن العمل كالمستشفى والجامعة، وشركات البناء...،كما تشمل العمل في شتمة وسيدي عقبة لقربها من الحي أو بالأحرى لقرب وسائط المواصلات الخاصة بهما بالحي.) و 27.48 % بالنسبة لسعر الأرض (يشمل سعر الأرض هنا: سعر الأرض أثناء البيع العرفي، وأثناء البيع القانوني، وأثناء وضع اليد على الأرض وهو مازال منتشرا على نطاق واسع بالحي.) ووجود الأقارب بنسبة 04.53 % (وهو ما يتيح للعائلات التعرف على الحي ومختلف خباياه التي لا يعرفها غير ساكنيه)، بينما تشمل نسبة 04.38 % حالات أخرى هي السكن الوظيفي والإسكان القسري من طرف البلدية، والوراثة.

وبعبارة أخرى يستقطب الحي بفضل خدماته المتنوعة السكان يوما بعد يوم.

- **- المركز أو النواة:**

إن التجهيزات والخدمات في الحي موزعة بين المساكن وتبدو وبشكل مكثف على جانبي الشارع الرئيسي الذي يفصل العالية المخططة عن العالية غير المخططة إن صح التعبير، ولا يتوفر الحي على ساحة تجارية ثابتة إلى حد الآن، حيث أنه ولما كان مجرد ضاحية كانت هناك سوق يومية تقام كل مساء " سوق العصر" وتحتل جيبا في الفراغ الاجتماعي العمراني، وظلت سوق العصر تتحول في كل مرة من مكان لآخر، إلى جانب السوق الأسبوعية المتحولة أيضا من مكان لآخر، أما سوق الدلالات فقد بقي ثابتا في مكانه.

وعلى العموم فإن التجمع العمراني في الحي لا يتركز وينمو حول قطب تجاري مميز، لأنه يفتقر لذلك، بينما خدماته المنتظمة على جانبي الشارع الرئيسي محور الحي وشريانه الذي لا تهدأ حركته ليلا أو نهارا - (حتى أن المرء إذ خرج في منتصف الليل يطلب السفر وجد سيارات النقل الحضري في الخدمة) – الذي من شأنه أن يميز بين عناصر الفراغ العمراني للحي، ويعطي الشخصية الجماعية لهذا التجمع. كما تشكل

سوق الدلالات صباح كل يوم نواة تلتقي حولها نساء الدخل المحدود، وسوق العصر الذي يشكل مساء كل يوم مركزا يلتقي لديه رجال الحي. وبهذا التطور العمراني ينتقل موقع النواة من حارة الحشاشنة إلى الشارع الرئيسي في الحي.

الموقع والحدود:

تتأثر الشخصية الجماعية للحي بمعطيات مادية للموقع ،ولا يتمايز المجال فقط من خلال الموضع والموقع بل تتمايز حاراته أيضا فيما بينها بحسب نمط البناء ونوع الخدمات المقدمة والمرافق العمومية ودرجة قدم وحداثة البنايات وطريقة التعمير. فالحارات القديمة مثلا تتميز ببنائهاالعشوائي، وقدم العمران وضيق الشوارع، أما الحارة الجديدة فتتميز بتنظيمها العمراني المخطط وحداثة بناءاتها وأناقتها، بينما حارة العشايش فتتميز ببيوتها القصديرية وشكل نموها الشريطي الذي يحاذي الحارت الأخرى. لذا فإن حي العالية الشمالية يتمايز بحسب موضعه وموقعه وتتمايز حاراته فيما بينها بحسب مظهرها الخارجي وتنظيمها العمراني وقد تميزت بـــ: - الحدود الخارجية على درجة من الوضوح بسبب الوادي الموجود بين المدينة الأم والحي، وهذا ما جعله مميزا بموقعه، ووجوده في مكان عال، كما أن الجسر الرابط بينه والمدينة كثيف الحركة، على جانب الطريق الفاصلة بين حي العالية الشمالية والجنوبية.

- أما العناصر الداخلية المميزة فهي ازدياد الحركة على الطريق الرئيسية ممأدى إلى تفكيك وحدة الحي وتشكيل حد خارجي له (فصله إلى حيين).

* - **الحدود الاجتماعية**:

تعتبر الحدود الجغرافية الخارجية شرطا مساعدا لتحديد الحي، ولكنها غير كافية لتحديد حدوده الاجتماعية التي يعتبر مركز الخدمات مركزا لها ويعطي الحي شخصيته الاجتماعية عن طريق: - الاجتماعات الدورية للسكان.

- الحدود الاجتماعية للمركز عن طريق قدرته على الجذب.

فالمركز هنا هو نواة الحياة الاجتماعية وتتأثر قوته بعاملين أساسيين هما:

- **الأول**: التباعد بينه وبين المراكز الأخرى.

- **الثاني**: قوة تأثير المراكز الأخرى هذه معتبرين أساس قوة الجذب للمتنقلين على الأقدام، كما أن قوة المركز تعتمد من جهة أخرى على عدد وتنوع الوظائف والخدمات التي يقدمها.

وبصورة عامة فإن التنظيم الفراغي لحي العالية الشمالية مرتبط بسلوكيات الاستهلاك بمعناها العام، والتي تتمثل في توضع المنشآت الخدماتية على طول الشارع الرئيسي والسوق داخل النسيج العمراني، وكذا المساجد والمقاهي التي يصبح التجمع حولها هو عاملا للتماسك المحلي، وخاصة عصر كل يوم، حيث ينتشر رجال العالية خارج البيوت ولا ملاذ إلا المقاهي لنيل قسط من الراحة، إلى جانب التجمع المكثف للسكان يوم الجمعة في المساجد، إلى جانب مواضع أخرى يلتقي فيها السكان يوميا كمركز البريد والمواصلات والفرع البلدي. وقد ورد سؤال بالاستمارة كان المغزى منه مدى تشكل الشخصية الجماعية بالحي، وكذا الفراغات العمرانية التي تساهم في تشكيل هذه الشخصية وكانت صيغته:

" أين تقضي أوقات فراغك ؟.

داخل المنزل. داخل الحارة، داخل الحي، خارج الحي. أخرى.

إن كان داخل الحارة أو داخل الحي، فعلى أي الأماكن تتردد ؟.

المقهى، المسجد، على قارعة الطريق مع الأصدقاء، قاعات اللعب، عند الأقارب...

- **جدول رقم (09): أماكن قضاء أوقات الفراغ في حي العالية الشمالية.**

أماكن قضاء أوقات الفراغ	التكرار	النسبة %
داخل المنزل.	61	08.91
خارج الحي.	47	06.87
المقهى.	62	09.06
المسجد.	56	08.18
على قارعة الطريق.	48	07.01
عند الأقارب.	12	01.75
قاعات اللعب.	22	03.21
المقهى والمسجد.	358	52.33
أخرى.	18	02.63
المجموع.	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

من خلال معطيات الجدول يبدو أن المسجد والمقهى هما الفراغان العمرانيان الأكثر تشكيلا وصناعة للشخصية الجماعية بالحي، حيث حازا معا على أكبر نسبة، وقدرت بـــ 52.33 % ، بينما تقاربت كل النسب الأخرى، بما فيها المقهى لوحدها بنسبة 09.06 %، والمسجد لوحده بنسبة 08.18 % ، وكذا داخل المنزل بنسبة 08.91 % إلى جانب التردد على قارعة الطريق بنسبة 07.01 % ، وتقترب فراغات عمرانية أخرى من بعضها البعض وبشكل قليل وهي قضاء الأوقات عند الأقارب أو بقاعات اللعب فقد سجلا على التوالي 01.75 % و 03.21 % ، بينما لا يقضي سوى 06.87 % من المبحوثين أوقات فراغهم خارج الحي.

إن تمركز المساجد والمقاهي في النسيج العمراني واستعمالهما من قبل السكان في حيز عمراني من شأنه أن يعطي تركيبا ما لهذا الحي، فحركة التجمع الكبيرة كل مساء لدى المقاهي هو سلوكيات ناتجة عن ضيق المساكن التي لا توفر الراحة المطلوبة خاصة للعامل اليومي، ورغم كل ذلك فهذا لا يعطي شخصية محلية للحي، ذلك لأن معظم سكانه يدينون بالولاء لمواطنهم الأصلية، وعادة تكون للحي صفتان:

- أنه وحدة استهلاكية (حقيقة جماعية حقيقية).
- تتجلى فيه جماعية الحي من خلال إحساس جماعي ملموس.

بينما حي العالية الشمالية لا يعطي جماعية حقيقية لأن النقطة الأولى قد تتحقق، أما الثانية فلا.



صورة رقم 08: سوق العصر يشغل حيزا داخل النسيج العمراني

5 . 2 . 2 - خلفيات التركز العمراني:

إن تشويه البيئة و تجاهل مختلف مركبات المدينة و عدم تعهدها بالرعاية ، أمر ناجم لا محالة عن عدم إدراك أهمية هذه البيئة في المجتمع ، و عدم الشعور بالمسؤولية تجاه ذلك ، بل و تكريس التشوه بمختلف الوسائل و على مختلف الأصعدة ، فإذا أخذنا مثلا عنصرا عمرانيا من مركبات المدينة ، و ليكن الشارع لأنه يمثل عينا من أعيان المدينة ، ولنسأل من المسؤول عنه ؟ سنجيب من غير شك أن البلدية هي المسؤولة عنه أمام القانون و المجتمع ، فهي مكلفة بتنظيفه و السهر على خدمة المستعمل من خلاله .... إلا أن الحقيقة غير ذلك ، فهذا العين يشترك فيه ثلاثة أطراف هم:المالك(الدولة)،المسيطر(المسير- البلدية)، المستعمل (المواطن) ، فالبلدية لها كامل السيطرة على هذا العنصر في تهيئته و تنظيمهأو تحويله بمعنى آخر التصرف الكامل فيه... بينما المواطن لا يمكن له إلا أن يستعمله لا غير ، فالمسؤولية مشتتة إزاء عين واحد، تتداخل في شأنه مصالح لأطراف مختلفة ، و هنا تختفي قيمة الإنتماء للمجال التي تدفع الإنسان للإهتمام به ، ليس فقط أمام القانون و لا المجتمع ، بل لأنه يخرج عن طبيعة البشر و يجانب غرائزهم .[1]و لذا فإن التشوه العمراتي الحاصل بفعل التحول الديمغرافي ينطوي على خلفيات تسانده و تدعمه إزاء توزع المؤولية على أطراف مختلفة ، وللوقوف على خلفيات الوضع الراهن لكثافة العمران بحي العالية الشمالية وتركزه على هامش المدينة هناك زاويتان تسمحان بذلك بعد انتقال التجمع العمراني من مجرد حافة ريفية ثم ضاحية إلى حي يضم أكثر من ثلث سكان المدينة، وهذين الزاويتان هما:

- **الأولى:** وتتعرض لمخططات التعمير التي شهدتها المنطقة الشرقية لمدينة بسكرة.

- **الثانية:** وتتناول مختلف العمليات العمرانية التي تبناها السكان في تواجدهم بالحي، وتركز بموجبها العمران.

---

[1] نذير زريبي .و بلقاسم ديب و فاضل بن الشيخ . البيئة العمرانية بين التخطيط و الواقع الأبعاد التخطيطية و التحديات الإجتماعية .مجلة العلوم الإنسانية عدد13 جوان 2000 . جامعة منتوري قسنطينة . ص 38 .

5 . 2 . 2 . 1 – مخطــطات التعمير:

*** - مخطط (ECOTEC) لسنتي 68/67:**

تناول المخطط توسيع المدينة نحو الشرق وذلك كما يلي:

- مشروع تقليص وتضييق مجرى وادي بسكرة الذي سيسمح بربط شريط على الضفة الغربية للوادي يمكن استغلالها في إنجاز سكنات فردية أو جماعية على مشارف الوادي.

- أخذ كل المساحة التي تبدأ مباشرة من الضفة الشرقية ويلي هذه المساحة شريط يخصص لمساحة خضراء جنوبا وشمالا مساحة مخصصة للمنطقة الصناعية، تمتد هذه المساحة شمال جنوب حي العالية إلى الواحة الموجودة حاليا (قبالة مزارة سيدي زرزور).

*** - المخطط التوجيهي (PDV) لسنة 1973:**

تضمن ميزات واقية تشمل الأماكن المحمية التي تشكل الواحة الكبيرة للمدينة: واحة فلياش، واحة سيدي الحاج، واحة شتمة، والواحة الصغيرة المقابلة في الضفة الشرقية لضريح سيدي زرزور.

وقد اقترحت المنطقة الكائنة في الضفة الشرقية للوادي لتوسيع المدينة، لكن هذا المخطط لم ير النور خاصة وأن المدينة شملها التقسيم الإداري الجديد لسنة 1974، ومقر ولاية بسكرة. والأمر المستخلص هنا هو غياب مخطط معتمد رسميا بالإمكان تطبيقه وتجسيده على أرض الواقع (مع أني وجدت في La CADAT مخططا يعود لسنة 1972 وهو لحي العالية الشمالية في حارة العشايش حاليا وبه سكنات جماعية، وملعب ومساحات خضراء ومرافق أخرى، لكنه لم يطبق نظرا لعدم الاهتمام)، وطوال هذه الفترة عرفت المدينة تعميرا عشوائيا بعيدا عن كل تنظيم قانوني، سواء كان ذلك بالنسبة لقانون التعمير أو طبيعة الملكية للأرض أو شغلها أو... ما كان ينجز هو عبارة عن بنايات فوضوية بالأحياء الشعبية وأغلبها ليست لها المواصفات القانونية المطلوبة، حيث كانت تنجز عموما بدون ترخيص قانوني.

*** - المخطط التوجيهي لسنة 1979 (CADAT):**

لقد أصبح من الضروري مراجعة مخطط ECOTEC لسنة 1976 نظرا لنمط النمو الديمغرافي للسكان الذي فاق كل التوقعات، كذلك المساحة التي خصصت للتوسع ضمن المخطط المذكور لم يكن بوسعها حل كل المشكلات المطروحة سواء كان ذلك على الصعيد الوظيفي المرفقي أو غير ذلك. ولمعالجة هذه المشاكل المطروحة أخذت المعطيات الجديدة بعين الاعتبار، وبالتالي توجيه التخطيط نحو هذا الاتجاه، خاصة وأن الإحصاء العام للسكان أفرز نتائجا لم تكن متوقعة، ولذلك فإن الأهداف التي أخذتها المراجعة للمخطط هي:

- أ خذ بعين الاعتبار التنمية الحضرية للمدينة في إطار حماية الأراضي الفلاحية والواحة.
- رسم الخطوط العريضة للآفاق للتأكد من توازن فضاء المدينة.
- إنجاز وثيقة تمكن من توجيه أحد القرارات الميدانية لتسيير فضاء المدينة.
- تحديد برنامج مطابق لمبادئ التخطيط بالإضافة إلى تصميمات التنظيم الحضري.
- تحديد توجيهات التنمية الحضرية في حدود حيز التعمير.

هذا عن الأهداف، أما واقع النسيج العمراني في حي العالية الشمالية فهو نظرا لطبيعة الملكية الخاصة للأراضي، فقد بقيت شاغرة ما عدا الجزء الشمالي منها حيث لا تتوفر السكنات على أدنى شروط العيش من جراء الغياب التام للمرافق الحيوية والتجهيزات.

*** - المخطط التوجيهي لسنة 1984:**

جاء هذا المخطط التوجيهي للتعمير لمدينة بسكرة الذي صمم سنة 1976 من طرف مكتب الدراسات (ECOTEC)، هذا التحديث مفاده انسجام العلاقة المتواجدة

بين التعمير والنمو الديمغرافي، ومراجعة لنفس المخطط التوجيهي على أساس التعداد العام للسكان 1977، إلا أن معطيات أخرى حالت دون تحقيق الهدف مما استدعى مراجعة أخرى لسنة 1984، ومن ضمن هذه المعطيات تلك التي أخذت من ولاية بسكرة سنة 1983، بحيث لم يكن بالإمكان حصر عدد السكنات التي أنجزت ما بين 1977 و 1983، إضافة إلى بعد الهياكل للطبقة الشغيلة التي ما فتئت تتزايد خاصة مع تشغيل الآلة الصناعية للمدينة، هذا إلى جانب ورشات البناء العمومية منها والخاصة. وقد شهدت المنطقة توسعا ملحوظا في إطار الترقية العقارية، إذ خصصت ثلاث مساحات شرقي الحي الموجود سابقا للسكن الفردي، كما جهزت هذه المنطقة بالمرافق الضرورية فيما يخص التعليم والصحة وخصصت مساحات للتسلية ومساحات خضراء داخل النسيج العمراني. وخصصت المنطقة الجنوبية من العالية للتجهيزات الكبرى كمستشفى بشير بن ناصر، وجامعة محمد خيضر،كما يدمج بنفس المنطقة في الجنوب الشرقي منها المركب الأولمبي للرياضات.

أما الشريط الواقع بين منطقة التجهيزات هذه وحي العالية فشملته البنايات المخصصة للسكن الجماعي في أقصى شرق المنطقة على طول الطريق الرابط بين بسكرة و شتمة، خصصت مساحات للحضائر وبعض التجهيزات في إطار الصناعات المتوسطة (البلاط، النجارة العامة)، وكذلك ضمن مناطق تخزين لبعض الشركات الوطنية. كما شهدت هذه المنطقة نفس الاعتناء بشبكة الطرقات الداخلية، وقد أنجز طريق سريع موازي لوادي بسكرة شمال جنوب على الضفة الغربية للحي.

* - **مرحلة مخططات التقشف:**

في إطار القوانين سارية المفعول خاصة منها الأمر 2674 بتاريخ 20 فيفري 1974، والمتضمن تكوين احتياطات عقارية لصالح البلدية، حيث ظهر ومن خلال تطبيق استحواذ البلدية على أراضي عارية داخل المخطط العمراني التوجيهي بصرف النظر عن طبيعتها القانونية، كما عرفت هذه المرحلة إحراز المدينة برامج سكنية في إطار المناطق السكنية (ZHUN)بالمنطقة الشرقية والغربية إضافة إلى امتداد المنطقة الصناعية على مساحة 197 هكتار بالجنوب الغربي.

إن انتقال المدينة إلى مرتبة مقر ولاية واحتوائها على معظم المنشآت الصناعية وشركات البناء الكبرى (BTP) يعتبران العاملين الأساسيين لهذه التنمية الحضرية غير

المتوقعة، وهذا جعل من المدينة قطبا هاما، ونظرا للهجرة الكثيفة التي عرفتها هذه المرحلة، حيث طلبات السكن فاقت بكثير قدرة توفيره بالنسبة للسكن الفردي، الأمر الذي جعل الواقع يسبق التخطيط والبرمجة، ويفرض نفسه عليها هذا ما أدى إلى امتداد البناء الفوضوي غير المشروع (غير مرخص) ليأتي على الواحة ويلتهمها، بحيث نسجل أن قبل سنة 1987 تم بناء مساحة 50 هكتار من الأراضي الفلاحية التي تشمل الواحة، مع الإشارة إلى أن المناطق السكنية المبرمجة والمهيأة لهذا الغرض (البناء) لم يتم إنجازها نهائيا. وإذا كانت كل المناطق في مدينة بسكرة يزيد عدد سكانها فالغريب في الأمر أن واحة فلياش قد هاجر أكثر سكانها ليحلوا بالمدينة رغم قرب المسافة بين الموقعين (يفصل بينهما وادي بسكرة).

والخلاصة أن الواقع الذي يعيشه حي العالية الشمالية قد أثبت أن السكان يتزايدون باستمرار سواء بالنسبة للزيادة الطبيعية (وجود الريفيين الذين يحملون قيم التباهي بكثرة الأطفال) وانخفاض الوفيات، وبسبب الهجرة المستمرة، وبالتالي زيادة التركز السكاني في الحي، إلى جانب قصور التنظيم الإداري والتشريعات والافتقار إلى سياسات بعيدة المدى، كما أن التنظيم الإداري لا يتطور بسرعة التطور الحضري مما جعله متخلفا وعاجزا عن التنبؤ بمشكلات النمو واتجاهاته، أي أن البرامج والمشروعات التي تشغل اهتمام المسؤولين والمخططين تعالج المشكلات المستعصية والمستفحلة دون أن تتجه هذه البرامج إلى التنبؤ بالمشكلات والتخطيط للوقاية منها وتلافيها قبل حدوثها، أو على الأقل لتداركها وهي في طور النشأة.

5 . 2 .2 . 2 - التغير الحضري والنظرية الإيكولوجية في حي العالية الشمالية:

إن استخدام النظرية الأيكولوجية كأداة لتحليل وفهم التغير الحضري الذي تعرض له الحي من خلال الكثافة السكانية والعمرانية في ضوء العمليات الأيكولوجية، بحكم أن الأيكولوجية تفسر ظهور المدن، وتوزيع السكان وعلاقته بمناشطهم في المكان الفيزيقي وأثر حجم السكان وكثافتهم وتوزيعهم ومناشطهم. على سائر التنظيمات الاجتماعية السائدة في المجتمعات المحلية والتجمعات الحضرية[1]، من خلال العمليات العمرانية (العمليات الأيكولوجية) الموالية :

- **التركز والتشتت:**

---

[1] قباري محمد إسماعيل- علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتعمير والتنمية- منشأة المعارف – الإسكندرية- بدون تاريخ ص 304.

يشهد حي العالية الشمالية تركزا وتشتتا في ذات الوقت، وبناء على معطيات الكثافة العمرانية، فإن السكان كانوا يميلون إلى التركز في النواة الأولى للحي والتجمع إلى أن توطنوا بها مما أدى إلى الزيادة العددية للوحدات الأيكولوجية (الأفراد، المؤسسات...) وبعد عمليات التهيئة العمرانية بالمنشآت الضرورية كالماء والكهرباء والصرف الصحي والنقل والمواصلات أصبح التركيز الأكثر للخدمات على جانبي شارع الأخوة " ونوعي" الفاصل بين النسيج العمراني المخطط و غير المخطط ، حيث تتباين درجة التركيز بينهما من خلال الوحدات العمرانية.

إذن فالتركيز السكاني يوجد بالنواة الأولى للحي بينما تتركز الخدمات على جانبي الطريق الرئيسية، بينما تتشتت المؤسسات التعليمية والمساجد والمحلات الأساسية عبر الحارات القديمة والحارة الجديدة .

- **المركزية واللامركزية:**

المركزية وتتجمع بمقتضاها المؤسسات ذات الوظائف المتشابهة في مناطق الارتكاز للخدمات على طول شارع الاخوة ونوعي كموقع محوري، وهو نفس الشارع الذي يشهد تركزا أكبر في وسائل المواصلات، حيث يجتازه يوميا أكثر من 20 حافلة ناهيك عن سيارات النقل الحضري، رغم كون الشارع يعاني من انعدام إشارات المرور، يتركز العمران بالشكل الآتي:

- تتمركز المساكن الجيدة بالمجال المخطط في الحي.
- تتمركز المساكن التلقائية والرديئة والمهترئة في الحارات القديمة.
- تتمركز المساكن القصديرية في حارة العشايش، ومازالت في طور التطور والتكاثر الطفيلي. في حين تميل المؤسسات التعليمية والمساجد إلى اللامركزية بشكل عام، ذلك لأنها توجد داخل النسيج العمراني السكاني بعيدا عن الطريق المحورية و اللهم إلا مدرسة ابتدائية و إكمالية . إن المتغير الأساسي الذي يميز المركزية واللامركزية عن التمركز والتشتت هو الطريق المحورية ذات النشاط الحيوي في حي العالية الشمالية.

* - **الغزو والاحتلال:**

يشير تاريخ حي العالية الشمالية، وتاريخ إنجاز المساكن، والطبيعة القانونية لتملك الأرض ، إلى إن المنطقة قد شهدت عملية غزو شديدة، حيث أنه وفي البداية استوطن الحشاشنة، وشكلوا مجتمعا محليا بعيدا عن المدينة، وفصلهم عنها الحائل الطبيعي المتمثل

في الوادي، لكن جماعات أخرى –ولما ضاقت المدينة بساكنيها وعجزت جهاتها الجنوبية والشرقية عن استيعابهم ثم الجهة الغربية أيضا- قذفت بهم ظروف العيش إلى المنطقة آملين بتشكيل مجتمع جديد، بعد ما تراكمت فلول النازحين من الأرياف في بيوت قصديرية على حافة الحي الاستعماري(زبالة الحلوف سابقا)، وبغزو المنطقة من قبل البدو الرحل غزا عمرانهم المجال مكتسحا الفراغ، وكانت المساكن الأولى عبارة عن أكواخ بسيطة، سرعان ما يتملك أصحابها الأرض عن طريق وضع اليد، وقد تباع أو تورث، وتواصلت العملية دون توقف حتى احتلت المنطقة بكاملها. وقد اتخذ غزو الحي أشكالا، فبعد أن كان فوضويا وعشوائيا وكان السكان يغزون المكان بواسطة الأكواخ، أصبح غزوا منظما بعد عام 1980، واحتلالا مقننا ووفق عقود ووثائق رسمية، مما أفرز تباينا في احتلال المجال. وكانت نتيجة الغزو والاحتلال الامتداد الفيزيقي للحي وتباين أنماط البناء ضمن النسيج العمراني الواحد، كما أفرزت هذه العملية على الصعيد القانوني للمجال المسكون وضعيات يبرزها الجدول الموالي:

جدول رقم (10): الوضعية القانونية للمساكن في العالية الشمالية.

الوضعية القانونية للمساكن	التكرار	النسبة %
تملك عن الخواص	239	34.94
تملك عن البلدية	157	22.95
ملاك أصليين عن طريق وضع اليد	137	20.02
تأجير عن الخواص	58	08.47
السكن عند الأقارب	18	02.63
أخرى	75	10.96
المجموع.	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

يستحوذ التملك عن الخواص على أكبر نسبة مقدرة ب 34.94 % ، وهو ما يتم بواسطة عقود رسمية موثقة لدى المصالح المعنية، وعقود عرفية توحي بأصل الحصول على العقار وتنتشر هذه الأخيرة عادة في المجال العشوائي الذي يتعرض لعملية التخطيط. ويلي ذلك نسبة المتملكين عن البلدية بقيمة 22.95 % وهذا يتم بعقود قانونية عادة، ثم الملاك الأصليين عن طريق وضع اليد بنسبة 20.02 % وهي نسبة عالية إذا

ما قورنت بغيرها، ذلك أن وضع اليد على الأرض من شأنه أن يتجاهل أصحابه سلطة البلدية في المجال، وهو ما يخول لهم التصرف فيه بأي أسلوب يتفق مع مزاجهم الخاص بلا أي رادع أو محاسب أو مراقب ومن هنا تتشكل ظاهرة التشوه العمراني. يلي هذا، التأجير لدى الخواص والذي ينزع إليه السكان بسبب رخص الإيجار في حي العالية الشمالية، خاصة في الحارات القديمة مقارنة مع وسط المدينة، ثم السكن عند الأقارب بنسبة 02.63 % مما يوحي بأن العائلة ما زال دورها في الإسكان وتقديم المساعدة للوافدين الجدد - ريثما يتأقلموا مع المحيط الجديد- قائما في الحي،أما الحالات الأخرى المقدرة نسبتها ب:10.96 % فقد تراوحت بين السكن الوظيفي، وعدم الإجابة عن السؤال أصلا، ولعل غير المجيبين عن السؤال هم الذين لم يعرفوا شكلا قانونيا بعد لمساكنهم.

وبشكل عام فقد تعرض حي العالية الشمالية لموجة غزو شديدة، أثناء سيادة إنشاء المنطقة الصناعية بالمدينة، وكان الكثير من الساكنين هم رجال يعملون مؤقتا بالمنطقة الصناعية أو شركات البناء ويعودون للمبيت بالحي ليلا، وأكثرهم أولئك القادمين من ضواحي خنشلة وتبسة وباتنة وأم البواقي، ويطلق عليهم بالأمازيغية " إيبياثن" وفي حال وجود أسرهم معهم فإنهم يقضون فصل الشتاء والخريف في حي العالية، ويعودون إلى مواطنهم في نهاية فصل الربيع ليتمكنوا من متابعة عملية الحصاد في أراضيهم الزراعية، وبعد انتهاء ذلك مباشرة ينزحون إلى المدينة بحثا عن لقمة العيش، ويكون هذا في بداية فصل الخريف، ولذلك يلقبون بـــ " إخرافن".

العزل:

لقد تعرض حي العالية الشمالية في بداية تكوينه لعزل طبيعي وعزل اجتماعي على السواء، وتمثل الأول في وجود وادي سيدي زرزور الذي يفصله عن المدينة، وتمثل العزل الاجتماعي في كون الساكنين الأوائل تميزوا عرقيا عن باقي سكان المدينة، واستوطنوا الضاحية، حتى أنه في تراث بسكرة تروي الأخبار أن القائد بن قانة كان يعزل الخارجين عن القانون في هذه المنطقة.

لقد امتثل الحشاشنة لسنوات لعملية العزل قبل أن تحل قوافل البدو الرحل لتشاركهم المجال، ولتفك تلك العزلة الاجتماعية. صحيح أن الحي يشهد جماعات إثنية في حارة الحشاشنة وحارة الشاوية إلا أنها لا تشكل عزلة بمعناها السوسيولوجي.

خلاصـــة الفصل الخامس

بناء على على التحول الديمغرافي الذي شهده حي العالية الشمالية بسبب الحركة السكانية من وسط المدينة و النزوح من بلديات الولاية و كذا الوفود من ولايات مجاورة ، و بسبب الزيادة الطبيعية للسكان أيضا ، استوعب المجال الأعداد الكثيفة للسكان في شيئ من الإكتظاظ الذي أفرز بدوره عمرانا مشوها عالج هذا الفصل مظهرين منه الأول هو : **التلقائية العمرانية** حيث تظافرت عوامل أخرى مساعدة في إيجادها و هي الوضعية الإجتماعية للوافدين التي تنم عن الجهل بقواعد البناء و أصول التصميم و الإنجاز مع إغفال كل المقاييس العمرانية التي من شأنها إعطاء مسحة من الجمال للمسكن و التنظيم العمراني ، حيث كانت البدايات الأولى عبارة عن مساكن انتشرت بشكل عشوائي دونما مراقبة ، وعلى أساسها تشكل النسيج العمراني دون أن تزال أو تسوى ، الأمر الذي أفرز تنظيما عمرانيا يفتقر للساحات ، شوارعه ضيقة تتخللها الطرق المغلقة و بكثافة .

أما المظهر الثاني فهو **التركز العمراني على هامش المدينة** حيث حذا حي العالية الشماليةحذوكل التجمعات غيرالسوية التي تظهرعلى هامش المدن وتتطور كما وكيفا مشكلة نواة جديدة ، لكن و مع التحول الديمغرافي تركز العمران و بكثافة حتى أن المناطق المشوهة في الحي هي الأكثر كثافة سكانية ، و قد حدث هذا التركز العمراني وفق عمليات ايكولوجية يتغير المجال بموجبها تحت وطأة التركز و التشتت و الغزو والإحتلال في غياب مخططات التعمير التي لم تتجاوز الأوراق لترى النور، و بهذا كانت المناطق الأكثر تشوها في حي العالية الشمالية هي المناطق التي شهدت أكبر تركز عمراني .

الـفـصل
الـسـا د س
تشوه مرفولوجية حي العالية الشمالية

6 . 1 - الاختلال المرفولوجي العمراني

6 . 1 . 1 - تعداد أشكال النمو الفيزيقي العمراني للحي (البعد الأفقي).

6 . 1 . 2 - أنماط البناء (البعد العمودي).

6 . 1 . 2 . 1 - المواصفات المعمارية للمساكن.

6 . 1 . 2 . 2 - معدل اشغال السكان.

6 . 1 . 2 . 3 - توزيع الأسر في المسكن.

6 . 1 . 2 . 4 - درجة التزاحم في المسكن.

6 . 1 . 3 - استخدامات الأرض بالحي (البعد التركيبي).

6 . 2 - تنظيم الفراغ الاجتماعي واستمرار التشوه.

6 . 2 . 1 - خصائص السكان.

6 . 2 . 2 - الخصائص الاجتماعية للمساكن.

6 . 2 . 3 - الخصائص الاجتماعية للتنظيم العمراني.

6 . 2 . 4 - تشكيل الجيب القروي داخل المدينة.

6 . 1 - الاختلال المرفولوجي العمراني

إذا طبقنا تعريف " موريس هالبواك" للمرفولوجيا في حي العالية الشمالية بأنه علم الشكل، ويدرس شكل وبنية الأجسام الحية، وتكوين أشكال وبنى جديدة، فإن الصورة والبناء في التجمع العمراني بالحي تبدو مشوهة إلى حد بعيد، وتميل إلى التشبه بالتجمعات العمرانية الفوضوية وغير المخططة أكثر منها لغيرها، وهي تتلخص في الأبعاد : البعد الأفقي، البعد العمودي، البعد التركيبي .

6 . 1 . 1 - تعدد أشكال النمو الفيزيقي العمراني للحي (البعد الأفقي)

كلما جاء الحديث عن مدينة بسكرة، وعن أشكال التعمير فيها، إلا وعرض حي العالية الشمالية في السياق على أنه التجمع العمراني غير المخطط والعشوائي والفوضوي والقصديري، لكن المتمعن في نشأة الحي وتطوره يجده مخططا ومستلهما من وحي الإنسان البسيط، ويجد الظروف الاقتصادية والاجتماعية هي المخطط الأول لهذه النشأة والتطور على السواء، ذلك لأن دخلا محدودا للمواطنين لا يسعه إلا أن ينشئ حضارة محدودة الأفق، بحدود الظروف الخارجية أكثر منها برغبة المواطن في توجيه سلوكه إزاء تعمير بيئته الفيزيقية. وكما سبق الحديث عن الحي كونه ضاحية سكنية، وإن كانت تخالف علم التخطيط في امتدادها الفيزيقي وتنظيمها المعماري الداخلي، إلا أنها توفرت إلى حد بعيد على الخصائص التي تتطلبها علاقات المواطنين مع الأماكن القريبة من سوق العمل المتاح في مدينة بسكرة، إلى جانب ميزات أخرى تمثلت فيما يلي:

- موقع ملائم على الطريق العامة (طريق رقم 21 قريب من المدينة يفصلها الوادي الذي عرضه ما بين (400 م و 500 م) مما يسهل الالتحاق بمركزالعمل أو شبكة الطرق المؤدية إلى مراكز العمل.
- إقامة لا تتطلب من المهاجر أو النازح الالتزام بها، حيث لا تكون له ارتباطات قوية كوجود والديه أو بعض مقدساته أو شعوره بالانتماء للمكان، وليست لديه أدنى المسؤوليات خاصة إن كان مقيما دون أسرته وأطفاله، وبيته من قصدير، ولا يتطلب استيعاب ممتلكات منقولة تعمل على ارتباطه بمكان الإقامة، فهو هنا يقيم لأجل كسب قوت اليوم، وأمله العودة إلى موطنه، وقد أدلت نتائج الاستمارة عن حجم عدم الارتباط بالمكان من خلال نسبة دفن الموتى بالموطن الأصلي للسكان، فكان الجدول الآتي:

جدول رقم (11): أماكن دفن موتى سكان حي العالية الشمالية.

أماكن دفن الموتى	التكرار	النسبة %
مقبرة العالية.	210	**30.70**
مقبرة العزيلات. *	77	11.25
مقبرة البخاري. **	103	15.05
الموطن الأصلي.	278	40.64
أخرى.	16	02.33
المجموع.	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

نتبين من خلال معطيات الجدول أن نسبة من يدفنون موتاهم بمواطنهم الأصلية تقدر بـــ 40.64 % وهي أعلى نسبة، وتتشكل هذه النسبة من الشاوية خاصة، يدفن الشاوية ذوو الأصل الجبلي " آريس، غسيرة، مشونش" موتاهم في قراهم ودوائرهم، ونفس الشيء يقوم به النازحون من ضواحي خنشلة وتبسة، وحتى المناطق المتاخمة لولاية بسكرة من ضواحي خنشلة، ورغم وعورة الطريق والمسالك الجبلية الصعبة إلا أن أولاد تيفورة يحملون الميت عبرها إلى شيشار، تابردقة، عالي الناس، ليدفن بالقرب من آبائه وأجداده، ولا يقتصر الأمر على الشاوية فقط، بل يمارس الخذران هذه العادة أيضا،

---

* مقبرة العزيلات: تقع في بسكرة القديمة.
** مقبرة البخاري: تقع في حي البخاري وسط المدينة.

وكذا النازحين من القنطرة وزريبة الوادي، وعموما فإن الساكن كلما طالت إقامته بالمكان زادت الصلة به وثوقا، فالحشاشنة والسوامع وأولاد دراج -رغم معرفتهم الأكيدة بمواطن نزوحهم وأصولهم- يعتبرون حي العالية الشمالية موطنهم، وقد قدرت نسبة من يدفنون موتاهم بالحي بـــ: 30.70 **%** بينما نجد النازحين من وسط المدينة، ومن المدينة القديمة يعودون لدفن موتاهم في حاراتهم القديمة حيث قدرت نسبة من يدفنون موتاهم بمقبرة العزيلات بـــ:11.25 **%** ومقبرة البخاري بـــ: 15.05 **%** ، بينما تبقى نسبة 02.33 **%** وتشكل الذين لم يجيبوا عن السؤال وكذا الذين لم يسبق أن دفنوا موتى لهم.

- إن تجمع عدد كبير من المهاجرين والنازحين ذوي الدخل المحدود وفي المنطقة، جعلها إضافة سكنية غير مرغوب بها من طرف السلطات، باعتبارها مختلفة وغير مخططة، ولذلك فقد نمت تلقائيا، وتحكم في هذا النمو العوامل الخارجية أكثر من رغبة المواطن والسلطات في رسم شكل النمو.

وبهذا يمكن تلخيص الصورة المادية التي ميزت البناء الاجتماعي مع البيئة الفيزيقية في ضوء نماذج التوزيع المكاني للوحدات الإيكولوجية (الأفراد، المؤسسات،...) حيث اتخذ الامتداد الفيزيقي أشكالا نذكر منها:

6 . 1 . 1 . 1 - النمو الشريطي

ولأن حي العالية الشمالية في الطرف الشرقي للمدينة، فقد تحولت بموجب هذا النمو الأراضي الزراعية إلى عقارات سكنية جديدة دون إذن قانوني، وهذا في غياب السيطرة على النمط العمراني، ورسم شكله وتحديد وجهته في هذه الضاحية، حيث كان النمو شريطيا على الضفة الشرقية للساقية الممتدة بامتداد الوادي تبعا لمزاياها المتعددة وعلى طول طريق المواصلات الأقرب إلى قلب المدينة والأقرب لمصادر المياه، وقد تحكم في هذا الشكل من النمو الموضع الطبيعي بالدرجة الأولى بغية تكييفه لصالحهم – صالح السكان- في غياب التهيئة العمرانية، وقد أفرز هذا التكيف مع الموضع الطبيعي مشاكل اجتماعية واقتصادية جمة، تطلبت منذ البداية موقفا صارما وحلولا حاسمة لإيقاف هذا الزحف العمراني الذي امتاز بالتشوه إلى حد بعيدا، وتحولت بموجبه غابات النخيل وحقول القمح والشعير إلى مناطق سكن للمهاجرين، ومع مرور الزمن ازدادت مطالب السكان للمرافق العامة والخدمات الاجتماعية، وهذا أمر فاق كل الإمكانيات المادية المتاحة، وحاليا تنمو حارة العشايش شريطيا بمحاذاة الحارات الأخرى في غياب التخطيط وسيطرة البلدية على الوضع.

6. 1 . 1 . 2 - النمو الحضري الخطي

بعد النمو على طول الشريط المحاذي للساقية، وبعد التفاتة البلدية بتهيئة المجال وتزويده بالماء الصالح للشرب والكهرباء والصرف الصحي، دخل حي العالية الشمالية بذلك مرحلة التخطيط، ونشأ بذلك المجال المخطط ، وتوجه الزحف العمراني إلى الداخل حيث شق شارع الأخوة ونوعي في قلب الحي، أي على طول الحارات القديمة شرقا، وهو بذلك يفصل المجال المخطط عن غير المخطط ، إلى جانب مد الجسر الرابط بين المدينة والحي، وإنشاء طريق على امتداد الجسر صوب المناطق الجرداء.

وهنا تغير شكل النمو العمراني من الشريطي إلى الخطي، حيث اعتمد على حركة واتساع وامتداد المدينة، إذ تشكلت على امتداد الطريقين (الطريق الممتد من الجسر وشارع الأخوة ونوعي) تجمعات عمرانية صغيرة ظهرت على شكل عناقيد ممتدة إلى الداخل، كما ظهرت على جانبي شارع الأخوة ونوعي العديد من الوحدات الأيكولوجية (المساكن، الخدمات) قريبا من شبكة المواصلات الرئيسية التي تتقاطع فيها مع المراكز السكنية على طول المحاور العديدة والمختلفة.

6 . 1 . 1 . 3 - الاندماج الحضري

إن الاندماج الحضري الذي حققته عملية التعمير في حي العالية الشمالية، كان امتدادا للنمو الخطي، وقد تم بصورة تدريجية اندماج المدينة مع التجمعات العمرانية البعيدة عنها نسبيا، كمنطقة " شتمة" مثلا التي عدت الآن ضاحية من ضواحي بسكرة وهي مرشحة لأن تشكل معها كتلة عمرانية واحدة، وما زاد في هذا التقارب العمراني وشجع المستثمرين على تقليص الفراغ بين التجمعين هو سهولة المواصلات، هذا وقد اعتبرت شتمة رسميا ضمن النطاق الحضري عام 1998 لمدينة بسكرة، وهو الأمر الذي تجلى في تحويل سيارات نقل حضري،* كما تحقق الاندماج الحضري بين حي العالية الجنوبية وفلياش مما جعل فلياش يتحول من تجمع عمراني ثانوي إلى حي من أحياء المدينة إذ لم تعد فواصل وفراغات في الجهة الشرقية للمدينة بل كتلة عمرانية واحدة اندمجت فيها كل التجمعات العمرانية.

وخلاصة القول فإن حي العالية الشمالية قد شهد انتشارا جغرافيا للعمران عبر حاراته جميعها بصورة عشوائية، وهو في الواقع خضع لضوابط طبيعية وبشرية،

---

* سيارة الأجرة: تقوم بالنقل خارج النطاق الحضري (من المركز إلى الخارج أو من الخارج إلى الداخل) ويعبر عنها باللون الأصفر.
* سيارة النقل الحضري: خاصة بالنقل داخل المحيط الحضري، ويعبر عنها بلون أبيض وخطين أخضرين.

فالضوابط الطبيعية تمثلت في بعد الموقع عن مركز المدينة، ووجود الساقية مما أدى إلى تجمع أنماط عمرانية غير مخططة. حيث وفي بداية التكوين امتد على طول الضفة الشرقية للساقية (وهو نفس الشكل الذي اتخذته مدينة بسكرة في السابق)، ثم توزع عمرانه بشكل عنقودي في نمو خطي على طول الطرق الرئيسية للمواصلات، كما وقد أدى الحي إلى اندماج حضري بين المدينة والمناطق الريفية المحيطة بها، وهو مرشح للامتداد للضواحي.

6 . 1 . 2 البعد العمودي (أنماط البناء)

تتنوع أنماط البناء في حي العالية الشمالية بتنوع مناهل السكان ومشاربهم، وكذا بتنوع مستوياتهم المعيشية، حيث تتباين هذه الأنماط من حارة لأخرى ومن شارع لآخر، وقد تحدث " إبراهيم عريوات" – من خلال دراسته حول إعادة هيكلة حي العالية الشمالية- عن المواصفات المعمارية ونمط البنايات في العالية القديمة والتي تشمل " الحارة القديمة، حارة الوصفان، حارة طابق الكلب"' حيث قال بأنه إضافة للتطور العمراني للنسيج وعمليات التجديد وإعادة البناء نظرا لقدم البنايات ورداءتها، فإن النمط المعماري للحي عرف عدة تغيرات من خلال إدخال النمط العصري العادي في عمليات التجديد، وإعادة البناء في غياب مخطط عمراني يحافظ على النمط التقليدي البسيط في شكله الذي كان يميز هذا الحي. وتتوزع أنماط البناء في حي العالية الشمالية بالشكل الذي يمثله الجدول الموالي:

- **جدول رقم(12) أنماط البناء في حي العالية الشمالية.**

أنماط البناء	التكرار	النسبة %
تقليدي قديم.	128	18.71
تقليدي معاصر.	400	58.47
فيلا.	98	14.32
عمودي.	15	02.19
قصديري.	43	06.28
المجموع.	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

يتضح من المعطيات السابقة أن النسيج العمراني بحي العالية الشمالية كالفسيفساء، فهو يشمل على مختلف أنماط البناء، حيث بلغت نسبة النمط التقليدي المعاصر 58.47

%، وتشمل هذه النسبة السكنات الحديثة والسكنات التي تم تجديدها، وتبدو في الحارة الجديدة أكثر جمالا واتساقا في ظل تراصف الطرقات واختفاء التشوه على مستوى التنظيم العمراني، بينما ثان نسبة فتشكلها البنايات ذات النمط التقليدي القديم، والمقدرة ب 18.71 % ، ويعكس هذا التفاوت في النسبتين –رغم التشابه الكبير بين النمطين- تراجع استخدام مواد البناء المحلية في المنطقة واللجوء إلى المواد الحديثة، أما نمط الفيلا فيقدر بنسبة 14.32 % وينتشر خاصة في حارة الشاوية، وكذا الحارة الجديدة، وعلى طول شارع الأخوة ونوعي، أما النمط القصديري فتقدر نسبتة بـــ 06.28 % ، وتعكس هذه النسبة مدى محدودية الدخل لدى السكان، وكذا مدى وثوق الصلة بالمكان، ويتركز هذا النمط في حارة العشايش والحارة القديمة وحارة الحشاشنة، وعلى حافة الوادي في أقصى الشمال الغربي للحي. وهو يعكس مدى تدخل السلطات لإنجاز المساكن بالحي. إن هذا التنوع في أنماط البناء يبين مدى الفوضى في تشكيل النسيج العمراني، ويعطي منظرا لا متناسقا للتجمعات العمرانية في المجال. وإذ تختلف أنماط البناء في حي العالية الشمالية عن بعضها في مواد البناء وفي مواقعها عادة، فهي لا تختلف كثيرا في شكلها وهندستها، فالنمط التقليدي القديم مثلا مازال يحافظ



صورة رقم 09: الحارة الجديدة . نمط الفيلا .



على بنيته الهيكلية التي ترتكز على الحوش كفراغ مركزي تنتشر من حوله باقي فراغات المسكن، أما بالنسبة لأعلى البنايات، فإن الناظر من فوق لا يسعه إلا أن يرى الخردوات، وبقايا الأثاث فوق السطوح من فرط ضيق المساكن، ناهيك عن الخضر المجففة كالفلفل والطماطم المشرحة " بتعبير أهل العالية" والفول الأخضر، وكذا الملابس المجففة، ويشكل هذا النمط بمساكنه تجمعات عمرانية متلاصقة تميزها شوارع ضيقة ومتعرجة، وأكثر ما هو بارز الفتحات الضيقة المطلة على الشارع، وبعد تهالك البنايات

ظل أكثر ما هو بارز زوال الإسمنت الذي لبست به الجدران وظهور شكل لبنات طوب التراب، كما تتميز هذه المساكن بوجود ميزاب في أعلى الطابق الأرضي (بين الطابق الأرضي والسطح) لصرف مياه المطر المتراكمة فوق السطح – حتى أنك تسمع أصوات كنس المياه من فوق السطوح مباشرة بعد سقوط المطر- وإزاء انخفاض المساكن وتلاصقها وتداخلها المعماري تغتنم النساء الفرصة لتجاذب أطراف الحديث، ويغتنم اللصوص الفرصة أيضا للسطو على ممتلكات غيرهم.

أما النمط التقليدي المعاصر فقد حافظ أيضا على طابعه المعماري التقليدي من حيث الشكل والبنية الهيكلة، فقط أضيفت إليه الشرفات في حال وجود الطوابق، وكذا التوسع الجزئي للفتحات المطلة على الخارج، وأهم ما يميز هذا النمط شكله غير المنتهى مما يسمح بتعليق عجلة اتقاء للعين وحسد الحساد، أو تعليق قدر قديمة قاتمة.

أما نمط الفيلا فهو أجمل وأرقى ما بنى في حي العالية الشمالية، وهو نمط فردي يتميز بهندسة معمارية حديثة، وفراغ مهيأ تتوفر بداخله كل التجهيزات.

بينما يشكل النمط العمودي السكنات الجماعية بحي العالية الشمالية، وهو منجز من طرف البلدية، ويبدو ككل العمارات التي الغرض منها إيواء عدد قليل من الأفراد مما يضطر الأسرة بمرور الوقت إلى تعديل المسكن – وهو في الواقع تشويه للمسكن- نظرا لضيق المكان وعجزه عن استيعاب العديد من الوظائف في آن واحد (حيث تستعمل غرفة الاستقبال عادة للنوم)، ولتفادي تصادم وظيفة النوم مع وظيفة الاستقبال تنقسم الفراغات العمرانية إلى نصفين، أو تحول الوظائف من طرف السكان – كما ينعدم الاهتمام بمحيط العمارة، حيث أنها لم تطل منذ إنشاءها أول مرة، ولا تنظف جدرانها أبدا، وتنظف أرضيتها أحيانا فقط على سبيل إماطة الأذى عن الطريق، وهو ما يفسر الغياب الكلي لثقافة " صيانة البيئة والحفاظ عليها".

6 . 1 . 2 . 1 - المواصفات المعمارية للمساكن

للمساكن في حي العالية الشمالية (انفرادية، جماعية، منخفضة أو عالية، متلاصقة أو متباعدة) انعكاسات على الحياة الاجتماعية المختلفة الذي يتضمنها الحي، حيث أن هذا التركيب العمراني يبرز بعض المظاهر المورفولوجية التي نتجت عن النمو العمراني غير الموجه، كتوزيع المساكن حسب أنماطها ودرجة تجهيزها وحالة بناءها و... حيث نجد في نفس المكان أو القطاع مختلف الأنماط، فبجانب الفيلا الشامخة مسكن بني بطوب التراب ذو سقف من الجريد وهو في الواقع منظر غير مستساغ، أو مسكن أنيق ذو طلاء باهت وجميل في شارع متعرج تشكله مجموعة مساكن لونها بلون الإسمنت لا أكثر، وحتى المساكن الجيدة لا تبدو عليها الأناقة في ظل الشوارع غير المعبدة والأرصفة الظامرة والطبيعة المخضرة المفقودة، وبشكل عام يمكن إيجاز المواصفات المعمارية التي تميز المساكن في حي العالية الشمالية من خلال العناوين الآتية:

* - مواد بناء المساكن[1]

لمواد البناء المستعملة في إنجاز المسكن أهمية قصوى في معرفة التوجه السكاني نحو التنظيم والرقي في مأواه، أو في شدة تمسكه بالرداءة والهشاشة، والمعروف عن مدينة بسكرة أن نسيجها العمراني القديم كان مبنيا بطوب التراب مع سقف من الجريد، وهو ما يلائم طبيعة المناخ الصحراوي عادة، وقد حذا سكان العالية القديمة حذو ذلك لكن من أتى فيما بعد غير في مواد البناء، وحتى في النسيج القديم، مما أضفى على المكان بعضا من الفوضى مما أحدث تشوها عمرانيا كبيرا، وتتباين مواد البناء في حي العالية الشمالية من خلال الجدول الموالي:

جدول رقم (13): مواد تسقيف المساكن في حي العالية الشمالية حسب أنماط البناء.

أنماط البناء / مواد التسقيف	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
دالة.[2]	/	400	98	15	02	515	75.29
تارنيت.[3]	02	/	/	/	17	19	02.77
زانقل.[4]	/	/	/	/	06	06	00.87
جريد.[5]	126	/	/	/	06	132	19.29
أخرى.	/	/	/	/	12	12	01.75
المجموع.	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني 2002.

يشكل الجدولان (13) و (14) مادة تركيب المساكن في حي العالية الشمالية، حيث دلت النتائج على أن نسبة تسقيف المساكن بالإسمنت "دالة" تقدر بـــ 75.29 **%** دليل حداثة المساكن في نشأتها، يليها الجريد بـــ 19.29 **%** وتشكل هذه النسبة المساكن التقليدية القديمة، وبعضا من البيوت القصديرية، ثم نسبة المساكن المسقفة بالتار[6]نيت والمقدرة بـــ 02.77 **%** وهي تشكل المساكن التي لا لا ينوي أصحابها البقاء مطولا بالحي، ونفس الشعور يراود أصحاب المساكن المسقفة بالزانقل، والواقع أنهما ذوا سعر زهيد في السوق، أما نسبة 01.75 **%** فهي تشكل مزيجا من كل المواد، خاصة الصفيح.

---

[1] آثرت الباحثة تسمية مواد البناء بمسمياتها العامية كما يتداولها الناس في المجتمع لمقاربة الواقع .
[2] دالة : اسم عامي مشتق من الفرنسية (dalle) و تعني بلاطة ، وهي نوعان : بلاطة مجوفة و بلاطة مملوءة .
[3] تارنيت : قطع من الخرسانة الجاهزة و هي ذات شكل متموج ، و هي رخيصة الثمن في السوق الجزائرية .
[4] زانقل : اسم عامي مشتق من الزنك ، و يعني صفائح معدنية ذات شكل متموج أو أفقي أو شبه منحرف ، و هي رخيصة الثمن في السوق الجزائرية
[5] جريد : قضبان النخل المجردة .



صورة رقم 11: حارة العشايش . مسكن قصديري .



صورة رقم 12: حارة العشايش . مسكن أم محل للخردوات و النفايات .

جدول رقم (14): مواد بناء جدران مساكن حي العالية الشمالية حسب أنماط البناء.

أنماط البناء / مواد البناء	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
حجر.	02	/	/	/	01	03	00.43
إسمنت.	/	396	98	15	01	510	74.56
طوب تراب.[1]	126	/	/	/	09	135	19.73
صفيح.	/	/	/	/	11	11	01.60
أخرى .	/	04	/	/	21	25	03.65
مجموع.	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني 2002.

أما بالنسبة لمواد بناء الجدران فهي تتنوع أيضا، لكن يغلب عليها الإسمنت بنسبة 74.56 % وقد استعمل في كل من النمط التقليدي المعاصر والفيلا والنمط العمودي وحتى القصديري، دليل حداثة نشوء المساكن، ويلي ذلك طوب التراب بنسبة 19.73 % وهو ما يشكل مساكن النمط التقليدي القديم، أما الصفيح فيشكل نسبة 01.60 % وقد استخدم في حارة العشايش وحارة الحشاشنة وطابق الكلب، أما البناء بالحجر فقد تواجد مسكنان فقط بالحي، وهما قديمان جدا مما يشكل نسبة 00.43 % رفقة مسكن في حارة العشايش، أما نسبة03.65 % فهي الجدران المشكلة من مجموع مواد البناء، وهي تدخل ضمن النمط القصديري، حيث الحاجة والعوز لا تدع الساكن يفرط في أي وسيلة لتشكيل جدران مسكنه.

وبشكل عام فإن مواد البناء تتنوع في حي العالية الشمالية من نمط بناء لآخر، بل ومن مسكن لآخر، ولكنها تتواجد أحيانا مجتمعة في نفس الشارع وفي نفس البناية، وهو ما يصنع التشوه.

[1] طوب التراب : لبنات تصنع من التراب و التبن ، و هي أكبر حجما من لبنات طوب الأسمنت .

* - **الواجهات العمرانية**

حسب إبراهيم عريوات في مشروعه " دراسة إعادة هيكلة حي العالية الشمالية" فإنه يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الواجهات العمرانية المشكلة للبنية الهيكلية للنسيج العمراني بالحي:

الواجهات العمرانية ذات الطابع التجاري والخدماتي:

والمشكلة أساسا من المحاور الرئيسية في الحي، حيث تنتشر على طولها المحلات التجارية المتواجدة بالطابق الأرضي للبنايات.

الواجهات العمرانية ذات الطابع السكني المحض:

والمشكلة من البنايات السكنية الفردية التي تنتشر على طول المحاور الثانوية والفرعية.

الواجهات ذات الطابع البانورامي:

والمشكلة من البنايات الفردية المطلة على الوادي والمتميزة بطابعها السكني وافتقارها لواجهات ترقى إلى مستوى أهمية هذا المحور المطل على المدينة.

* - **مساحات المساكن**

تتفاوت مساحة المساكن بتفاوت مستوى الدخل لدى أصحابها بشكل عام، وقد تتفاوت بتفاوت عدد ورثة المنزل الأصلي، وحيث أن التركيز العمراني في الجهة غير مخططة يفوق المخططة رغم أن مساحة هذه الأخيرة أكبر من الأولى، فإن هذا دال على صغر مساحة القطع الأرضية في الحارات القديمة عنها في الجديدة، وتتوزع مساحات القطع الأرضيةعبرأنماط البناء في حي العاليةالشماليةمن خلال الجدول(15) .

يبدو أن المساكن ذات المساحة الأقل من 100م² هي المستحوذة على مجموع نسب المساحات الأخرى، حيث تقدر 42.39 **%** وإن كانت هذه النسبة قد اختزلت مساحات قدرت بـــ 50م² و 49م² ، وقد استحوذ النمط التقليدي القديم والحديث على هذه النسبة، وكذا النمط العمودي لأن مساكنه 100 **%** أقل من 100م² ، بينما ثاني نسبة هي نسبة المساكن المتراوح نسبتها بين 200م² و 300م²





صورة رقم 13: الحارة الجديدة . مسكن غير مشوه .



والمقدرة بـــ 22.51 **%** ويستحوذ عليها النمط التقليدي المعاصر ونمط الفيلا ثم نسبة 16.37 **%** للمساكن الأكثر من 300م² ويشكلها أيضا النمط التقليدي المعاصر ونمط الفيلا بينما المساكن التي تتراوح مساحاتها بين 100م² و200م² فتقدر نسبتها بـــ 13.59 **%** يشكلها النمط التقليدي القديم والمعاصر وكذا النمط القصديري، أما نسبة 05.11 **%** فإن أصحابها لم يجيبوا عن السؤال لعدم معرفتهم بمساحة المسكن من جهة وعدم وضوح حدود المسكن لدى البعض من جهة أخرى، حيث أن الجدران لا تكفي لذلك لأن العديد يصنعون سياجا أو شبه سياج لحيواناتهم أمام مدخل المسكن أو لأغراضهم الأخرى.

جدول رقم (15): مساحة المساكن في حي العالية الشمالية.

أنماط البناء / مساحة المساكن	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
أقل من 100 م²	115	149	/	15	11	290	42.39
100م² –	11	80	/	/	02	93	13.59
200م² –	02	104	48	/	/	154	22.51
أكثر من 300م²	/	62	50	/	/	112	16.37
بدون جواب	/	05	/	/	30	35	05.11
المجموع	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

إن وجود نسبة معتبرة من القطع الصغيرة في الجهة المخططة أمر راجع لمخالفة السكان لمخططات البلدية، حيث أنها جزأت المجال إلى قطع سكنية كبيرة وتفوق 250م²، وسعت حثيثة لتجنب التشوه بتشكيل تجمع عمراني متناسق ومنسجم وفق معايير التعمير المنظم، لكن السكان خالفوا ذلك وجزءوا المجال لغرض بيعه قطعا صغيرة.

أما وجود هذه القطع الصغيرة كثيرا في الحارات القديمة فيعود إلى تقسيم المسكن بين الورثة، وكذا بيع أجزاء من المسكن تحت وطأة العوز، وهذا ما من شأنه أن يصنع الطرق الحادة.

*** - علو البنايات**

إذا كانت السطوح ضرورة ملحة في مدينة بسكرة في ظل المناخ الحار غير المحتمل في فصل الصيف، فإنه لايكاد يخلو مسكن منها عدا السكنات الجماعية- العمارات- وحتى المساكن التقليدية المبنية بطوب التراب فإن أصحابها ينجزون السلالم إما من الطين أو الخشب للصعود إلى أعلى المسكن، ورغم توفر المكيفات الهوائية والمروحات إلا أن السكان لا غنى لهم عن السطوح، ولذا فهي لا تدرج ضمن طوابق المسكن في الجدول القادم، والسطح هنا يسميه أهل بسكرة " الستارة" هو عبارة عن أربعة جدران تبنى حول السطح لستر أهل البيت عن الأعين خلال النوم ليلا.

جدول رقم (16): عدد طوابق مساكن حي العالية الشمالية.

عدد طوابق المساكن	التكرار	النسبة %
طابق أرضي	286	**41.81**
طابق واحد	285	41.66
طابقان	103	15.05
ثلاثة طوابق	10	01.46
المجموع	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

تقترب نسبتا المساكن ذات الطابق الأرضي والطابق الواحد من بعضهما حيث تقدر الأولى بـــ 41.81 % والثانية بـــ 41.66 % بينما تنخفض نسبة المساكن ذات الطابقين لتقدر بـــ 15.05 % وتنخفض أكثر فأكثر نسبة الثلاث طوابق لتقدر بـــ 01.46 % ، ويعود سبب ارتفاع المساكن ذات الطابق الواحد هو أن مساكن النمط التقليدي القديم قلما تسمح بطابق فوق الطابق الأرضي، وكذلك المساكن القصديرية نظرا لهشاشة جدرانها، وعدم توفر العديد منها على الدعامات المحافظة على شكل المسكن قائما، إلى جانب ذلك عدم شعور السكان بالأمان في حارة العشايش إلى جانب البلدية وما تصدر ضدهم من قرارات الإنهاء أو الترحيل، في ظل وضعهم اليد على الأرض- ووجودهم غير الشرعي في المكان- وتتعدد الطوابق بعد الطابق الواحد واثنين في أغلب المساكن حديثة الإنجاز والمخططة تبعا لمستوى دخل أفرادها، أما في الحارات القديمة فإن تواجد أكثر من طابق أرضي يعود لصغر المساحة حيث لا يجد السكان متنفسا للاتساع وضم أكبر عدد من الأسر الصغيرة خلال تزويج الأبناء سوى مد البناء إلى أعلى. وإزاء هذا التباين في علو البنايات بالحي تغيب ضوابط الإنتاج المعماري، ويغيب الانسجام والتناسق، ويتشوه النسيج العمراني بغياب الخصوصيات المعمارية لنمط عمراني بعينه.

<u>* - فراغات المساكن</u>

لقد لعبت مساحة المسكن وقدرة المواطن المادية على البناء دورا هاما في تحديد عدد الفراغات بالمسكن، إذ أن امتلاك مساحة كبيرة من شأنه توفير إمكانية معينة لإنجاز عدة غرف مع امتلاك مواد البناء ويبرز الجدول الموالي كيفية توزيع عدد الغرف في حي العالية الشمالية.

جدول رقم (17)أ: عدد الغرف بالمساكن في حي العالية الشمالية حسب أنماط البناء.

أنماط البناء / عدد الغرف	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
غرفتان أو أقل	40	54	/	/	39	133	19.44
ثلاث غرف	48	210	/	15	04	277	40.49
أربع غرف	33	87	/	/	/	120	17.54
أكثر من 04 غرف	07	49	98	/	/	154	22.51
المجموع	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

جدول رقم (17) ب : معدل الغرف في المسكن.

نمط البناء	مجموع عدد الغرف[1]	معدل عدد الغرف[2]
تقليدي قديم	391	**03.05**
تقليدي معاصر	1331	03.32
فيلا	490	05
عمودي	45	03
قصديري	90	02.09
المجموع	2347	16.46

معدل عدد الغرف في مساكن حي العالية = $\frac{16.46}{5}$ •= 03.29 غرفة.

من خلال المعطيات الجدول رقم (17) أ: نتبين أن فئة الثلاث غرف تستحوذ على مجموع نسب الفئات الأخرى، حيث تقدر ب 40.49 **%** وتشكلها مساكن النمط التقليدي بشقيه التقليدي والمعاصر وكذا النمط العمودي بنسبة 100 **%** وبعض من البيوت القصديرية، ويلي ذلك المساكن التي تحتوي أكثر من أربع غرف بنسبة 22.51 وتشكلها مساكن النمط التقليدي المعاصر ونمط الفيلا بنسبة 100 **%** ، ثم المساكن المحتوية على غرفتين فما أقل بنسبة 19.44 **%** وتشكلها مساكن النمط التقليدي القديم والمعاصر وكذا النمط القصديري، ثم المساكن التي تحتوي أربع غرف بنسبة 17.54 **%** والجدير بالذكر هو أن النمط التقليدي المعاصر به كل أنواع عدد الغرف.

بينما نجد معدل عدد الغرف في كل نمط بناء يوضحها الجدول رقم (17) بـــ: حيث نمط الفيلا يحتوي على 05 غرف كمعدل، بينما يأتي بعده النمط التقليدي القديم والمعاصر والعمودي بحوالي 03 غرف، والنمط القصديري بمعدل غرفتين بالمسكن. وبذلك يكون المعدل العام لعدد الغرف بمساكن حي العالية الشمالية 03.29 غرفة في المسكن، وهو معدل قليل مقارنة مع أفراد الأسرة الجزائرية، ومع قيم صلة الرحم التي تحتم على الإنسان ضم والديه أو أحد أقاربه للعيش معه في نفس المسكن.

6 . 1 . 2 . 2- __معدل إشغال المسكن__

حسب الإحصاء الوطني لعام 1998، فإن معدل إشغال المسكن في مدينة بسكرة بلغ 06 أفراد بالمسكن وهو نفس المعدل على المستوى الوطني أي ستة أفراد بالمسكن، بينما في حي العالية الشمالية يوضحه الجدول الموالي:

جدول رقم (18) أ: توزيع الإفراد عبر مساكن حي العالية الشمالية حسب نمط البناء

أنماط البناء / عدد الأفراد	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
03 –	08	37	01	/	05	51	07.45

[1] تم حساب مجموع عدد الغرف بطريقة : عدد الغرف x التكرارات ،
مثلا في النمط التقليدي القديم : مجموع الغرف = (40 x 2) + (48 x3) + (33 x 4) + (7 x 5) = 391 .

[2] تم حساب معدل عدد الغرف بالمسكن بطريقة : مجموع عدد الغرف في النمط / التكرارات .
مثلا في النمط التقليدي القديم : معدل عدد الغرف في النمط = 391 / 128 = 03.05 .

• عدد أنماط البناء = 05 .

05 –	25	65	05	07	08	110	16.08
07 –	43	105	16	04	16	184	26.90
09 –	31	124	44	04	13	216	31.57
أكثر من 11 فرد	21	69	32	/	01	123	17.98
المجموع	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

من خلال الجدول رقم (18) أ:نتبين أن فئة من 09 إلى 11 بالمسكن هي أكثر سيطرة، حيث قدرت بنسبة 31.57 **%** وهي تشمل كل أنماط البناء، تليها فئة 07 إلى09 أفراد بالمسكن بنسبة 26.90 ثم فئة الأكثر من 11 فرد بالمسكن 17.98 **%**وكذلك فئة من05 إلى 07 أفراد وأخيرا نسبة من 03 إلى 05 أفراد بنسبة 07.45 **%**.

جدول رقم (18) ب: معدل إشغال المسكن حسب أنماط البناء.

نمط المسكن	مجموع الأفراد في المساكن	معدل إشغال المسكن (فرد/ مسكن).
تقليدي قديم	1088	08.50
تقليدي معاصر	3446	08.61
فيلا	986	10.06
عمودي	114	07.60
قصديري	338	07.86
المجموع	5972	42.63

معدل إشغال المسكن = $\frac{42.63}{5}$ = 08.52

يصل أعلى معدل للأفراد في نمط الفيلا إلى10.06 أفراد/ بالمسكن، ويليه النمط التقليدي القديم والمعاصر بأكثر من ثمانية أفراد ثم النمط القصديري بمعدل 07.86 ثم النمط العمودي بمعدل 07.60 فرد/بالمسكن، ويصل المعدل العام لإشغال المسكن 08.52 فرد/بالمسكن وهو مرتفع مقارنة مع معدل إشغال المسكن بالمدينة، وبالوطن بشكل عام.ويعود السبب في ارتفاع معدل الأفراد في النمط التقليدي القديم رغم صغر المساحة إلى أن الأسر النووية تعيش أغلبها مع الجدين والعمات غير المتزوجات- أو المطلقات إن وجدن- ذلك أن الأحفاد هم من يعيشون مع الجد، ونفس الأمر في النمط التقليدي المعاصر في الحارات القديمة، بينما نمط الفيلا يحتوي عددا كبيرا نظرا لحجم المسكن الملائم، أما النمط العمودي فإن عدد أفراده لا يتعدى 11 فرد بالمسكن نظرا لكونه أنجز خصيصا لأسر نووية ولا تتعدى مساحتها 80م^2 في حين أن النمط القصديري تتعدى فيه بعض

المساكن 11 فرد في غرفتين اثنتين ونظرا للحاجة والعوز ورغم ذلك تأوي الأسرة الجدين وبعض الأقارب.

6 . 1 . 2 . 3 - توزيع الأسر في المسكن بحي العالية الشمالية

حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير الخاص بمدينة بسكرة لعام 1997، فإن معدل الأسر بالمدينة هو أسرة واحدة بالمسكن بينما عدد الأسر بالمسكن يبرزه الجدولان المواليان:

جدول رقم (19) أ: توزيع الأسر في الحي عبر أنماط البناء.

أنماط البناء / عدد الأسر	تقليدي قديم	تقليدي معاصر	فيلا	عمودي	قصديري	التكرار	النسبة %
أسرة واحدة	89	184	36	09	22	340	49.70
أسرتان	22	174	27	06	15	244	35.67
ثلاث أسر	11	33	22	/	06	72	10.52
أربع أسر	06	09	13	/	/	28	04.09
المجموع	128	400	98	15	43	684	100

المصدر: تحقيق ميداني جويلية 2002.

جدول رقم (19) ب: معدل الأسر في كل نمط بناء بحي العالية الشمالية.

نمط المسكن	مجموع الأسر في المساكن [1]	معدل الأسر في المساكن.[2]
تقليدي قديم	190	01.48
تقليدي معاصر	667	01.66
فيلا	208	02.12

---

[1] يحسب مجموع الأسر في المساكن بضرب عدد الأسر في عدد التكرارات مثلا: في النمط التقليدي القديم:
مجموع عدد الأسر = (89 × 1) + (22 × 2) + (11 × 3) +(06 × 4) = 190 أسرة في مساكن النمط التقليدي القديم.

[2]يحسب معدل الأسر في المسكن بقسمة عدد الأسر على عدد مساكن النمط العمراني مثلا: في النمط التقليدي القديم:

معدل الأسر في النمط التقليدي القديم = $\frac{190}{128}$ = 01.48.

عمودي	21	01.40
قصديري	70	01.62
المجموع	1156	08.28

معدل الأسر في المسكن = $\frac{08.28}{05}$= 01.65 أسرة.

تستحوذ فئة الأسرة الواحدة على كل الفئات بنسبة 49.70 **%** أي ما يقارب نصف المساكن تحتوي أسرة واحدة، بينما ثاني نسبة هي نسبة المساكن ذات الأسرتين وتقدر بـــ 35.67 **%** أي أنه من بين ثلاثة مساكن هناك مسكن واحد على الأقل يضم أسرتين، بينما نصف الأسر تحتوي أسرتين فما فوق، حيث تقدر نسبة ثلاث أسر بالمسكن بـــ 10.52 **%**، والمساكن ذات أربع أسر 04.09 **%**.

أما معدل عدد الأسر بالمسكن فإنه يرتفع عن المعدل العام فتقدر قيمته بـــ 02.12 أسرة بالمسكن نظرا لاتساع المساحة ووفرة عدد الفراغات بالمسكن، وتمثلها خاصة الأسر المتواجدة بحارة الشاوية، وعلى جانبي شارع الأخوة ونوعي، ويلي نمط الفيلا النمط التقليدي المعاصر والتقليدي القديم والنمط القصديري والنمط العمودي بمعدلات متقاربة ليصل المعدل العام إلى 01.65 أسرة بالمسكن وهو يفوق معدل الأسر في المسكن على مستوى المدينة. ويعود سبب وجود أكثر من نصف عائلات الحي في سكن مشترك إلى أزمة السكن الحادة التي تشكوا منها المدينة، وكذا ارتفاع سعر الإيجار مع تدني مستوى دخل الأفراد، ويعود سبب تعدد الأسر في النمط القصديري –رغم غياب كل ظروف العيش الكريم- إلى أن الأسر حديثة النزوح تتأقلم بالتدريج مع الوسط في المجتمع المحلي ريثما تجد مأوى لها، وفي الغالب تضع اليد على الأرض وتجمع بقايا مواد البناء لتصنع أربعة جدران تأوي رؤوسا موبوءة بالفقر والحرمان.

6 . 1 . 2 . 4 - درجة التزاحم في المسكن عبر أنماط البناء في الحي.

لموضوع التزاحم أهمية قصوى في تحديد مدى العلاقة بين السكان والمكان، ولدى الحديث مع سكان حي العالية الشمالية عن أعوص المشاكل المتعلقة بالمعمار، كان الجواب حول التزاحم خاصة في المساكن المعروفة بضيقها وقد تجاوز في بعضها الثلاثة أفراد بالغرفة، بل واقترب من الأربعة، حيث سجل التزاحم من خلال معطيات الجداول السابقة في الجدول الموالي:

جدول رقم(20):درجة التزاحم في الغرفة بمساكن حي العالية الشمالية.

نمط المسكن	عدد المساكن	عدد الأفراد	عدد الغرف	درجة التزاحم

				(فرد/غرفة).
تقليدي قديم	128	1088	391	02.78
تقليدي معاصر	400	3446	1331	02.58
فيلا	98	986	490	02.01
عمودي	15	114	45	02.53
قصديري	43	338	90	03.75
المجموع	684	5972	2347	

المصدر: استخلص هذا الجدول من معطيات الجداول (12)،(17ب)، (18ب).

معدل درجة التزاحم في الحي = $\frac{03.75+02.53+02.01+02.58+02.78}{5}$ = 02.73 فرد/غرفة.[1]

لا تتفاوت درجة التزاحم كثيرا من نمط عمراني لآخر، حيث تقترب جميعها من معدلها العام المقدر بـــ 02.73 فرد/غرفة ،عدا النمط القصديري الذي يقدر معدله بـــ 03.75 فرد/غرفة وهو معدل عال، وإن كانت أرقام الجدول تسعى إلى مقاربة الواقع في صورة مجردة، فإن الحقيقة أعمق من هذا بكثير، إذ أن هناك أسر لا تستخدم جميع الغرف لكل الوظائف، ففي فصل الشتاء مثلا قد تعمد الأسرة إلى استعمال غرفتين فقط لأنهما تحتويان على وسائل التدفئة، وتظل الغرف الأخرى من غير استخدام طوال النهار، في حين تكتظ الغرفتان بـــ 06 أفراد أو أكثر، بينما في فصل الصيف، وفي ظل الحرارة تستعمل غرفة واحدة للقيلولة، أو للنوم ليلا، وهي الغرفة التي تحتوي المكيف الهوائي – وليس بمقدور كل السكان اقتناء أكثر من مكيف هوائي واحد في المسكن- ولهذا يعمد كل السكان إلى توفير الستارة فوق السطح مهما كانت الظروف، وقد نتج عن ظاهرة التزاحم الشديد في المسكن خروج العديد من الشباب للنوم في الشارع من فرط ضيق الغرف، وتنتشر هذه الظاهرة خاصة في الحارات القديمة وحارة العشايش.

إن أرقام الجدول تختزل الكثير من الحقائق من بينها حجم الغرف، ومادة البناء، ذلك لأن جدران طوب التراب أكثر سمكا من غيرها، وقد تصل إلى ضعف جدران الإسمنت مما يقلل من مساحة الغرفة، بل ومساحة المسكن، هذا فضلا عن تقاليد أخرى

---

[1] يشير" شومبار دولو " أن ضيق المسكن أو الإكتظاظ في المسكن إلى حالة معينة ، تكون المساحة السكنية داخل المسكن غير كافية لالمقارنة مع عدد أفراد العائلة و تشكل خورة على صحتهم النفسية و الجسمية ، وتؤدي بهم إلى اضطرابات في السلوك ، ... و لهذا حددت مقاييس تعلم الأخصائي في ميدان السكن متى يجب بصفة طارئة إعادة إسكان عائلة ما ، و تعلمهم من جهة أخرى بناء نوع جيد من المساكن ، تستجيب للإحتياجات و متطلبات العائلات ، ومن جهة أخرى لا يمكن أن نعمم كل هذه المقاييس على كل المجتمعات لأن المجال الإجتماعي و الحياة العائلية تتغير من مجتمع لآخر و من بلاد لأخرى.

Chombart De Lauwe . Famille et habitation . G.N.R.S .Paris .1967 . Tome1 . p 121.

في توزيع الوظائف على الغرف بالمسكن، مما يقلل من تصيب الفرد في الحيز المكاني أو يزيد.

وفي نهاية معرض الحديث عن البعد العمودي بحي العالية الشمالية والذي يشتمل على أنماط البناء المختلفة وما تحتويها من فراغات عمرانية وأجسام بشرية متحركة، فإن الواقع يدلي بتعدد أنماط البناء بين التقليدي القديم والتقليدي المعاصر والفيلا والعمودي والقصديري، بينما من بين ثلاث مساكن هناك مسكن واحد يضم عائلتين وهو رقم بقدر ما يوحي بتمسك المجتمع بصلات الرحم وممارسة فن العشرة والجوار في المسكن فهو ينذر بأزمة سكن حادة حادت بالسكان إلى الاكتظاظ وعن ضيم ربما، ومما لا يناسب هذا العدد في الأسر بالمسكن هو عدد الغرف المقدر معدله ب 03.37 غرفة بالمسكن، إذ في كثير من المساكن نجد طاقة الاستيعاب لدى الغرف محدودة بحدود المساحة الإجمالية وهذا ما يجعل معدل درجة التزاحم بالغرفة يصل على غاية 02.73 فرد بالغرفة هذا دون إدخال في الحسبان توزيع الوظائف في المسكن على الغرف.

وبشكل عام فإن هذه المعطيات في اختلال توازن العلاقة بين السكان والمكان من شأنها تشويه المعمار بترك السكان دائما الروافد " poutres " عارية من الإسمنت في أعلى المسكن لعل الظروف تسمح بإضافة فراغات أخرى لأفراد جدد أو لتوسيع المجال على الأفراد الموجودين حاليا، وهذا من شأنه أن يصنع تنظيما عمرانيا تتفاوت فيه البنايات من حيث الارتفاع وهو التشوه العمراني بعينه.

6 . 1 .3 - استخدامات الأرض بالحي (البعد التركيبي)

يعد البعد التركيبي جانبا هاما في المجال الحضري، وهو يشكل ثلث العملية المرفولوجية، وإذ كان البعد الأفقي هو الامتداد الفيزيقي للعمران، والبعد العمودي هو أنماط البناء فإن البعد التركيبي هو استخدامات الأرض في الحي، وهو يحظى بعناية كبيرة في حي العالية الشمالية لتفادي الإجحاف في الجانب المرفقي لحساب الجانب الإسكاني، ذلك أن مجالا بدون مرافق من شأن السكان إنشائه ذاتيا، ووفق تصوراتهم غير المتجانسة، ويمكن تلخيص استخدامات الأرض في الحي كما يلي:

جدول رقم (21): استخدامات الأرض في حي العالية الشمالية.

النسبة %	المساحة(هكتار)	نوع الاستخدام
90.50	153.06	**المساكن**
00.41	00.71	**المرافق الصحية**
02.41	04.08	**المرافق التعليمية**
00.30	00.52	**المرافق الإدارية والأمنية**
01.00	01.70	**المرافق الرياضية والثقافية**
00.88	01.50	**المرافق التجارية**
02.02	03.42	**المرافق الشعائرية**
02.44	04.13	**المساحة الشاغرة**
100	169.11	**المجموع**

المصدر: دائرة البناء و التعمير .بسكرة

إن استعراض هذه المعطيات من شأنها إعطاء صورة واضحة عن مختلف التجهيزات التي ساهمت إلى حد كبير في إعطاء الحي شخصيته المميزة وفرضت على السكان سلوكيات جماعية متكاملة من شأنها أن تحفظ له وحدته وتدعم استقلاليته أكثر عن المدينة وعن باقي الأحياء الأخرى.

وإذا كانت المساحة الكلية للحي هي 169.11 هكتار فإن المساحة المبنية تقدر بـــ 164.98 هكتار أي بنسبة 97.55 % ، في حين أن المساحة الشاغرة تقدر بـــ 04.13 هكتار أي بنسبة 02.44 % من المساحة الإجمالية، وتتوزع استخدامات الأرض على مايلي:

6 . 1 . 3 . 1- الاستخدامات السكنية

تعد الوظيفة السكنية من الوظائف الأساسية في الحي باعتبارها الضرورة الأولى للإنسان،وهي تحتل حيزا كبيرا في الفراغ، إذ من مساحة 169.11 هكتار للحي تشغل هذه الوظيفة 153.06 هكتار أي بنسبة 90.50 % وهي نسبة عالية جدا مقارنة بالاستخدامات الأخرى.

6 . 1 . 3 .2 - المرافق

يتوفر حي العالية الشمالية على مرافق هامة جعلت السكان يقبلون على السكن فيه دون تذمر من نقص هذه المرافق، وهي تشمل المرافق التعليمية والإدارية- الأمنية،

والمرافق الرياضية والثقافية، والمرافق التجارية والمرافق الشعائرية، وهي تشغل بمساحتها نسبة 07.02 % من المجال، وتفصيل هذه المرافق فيما يلي:

*** - المرافق التعليمية:**

يشغل التعليم بمراحله الثلاث، وكذا المركز البيداغوجي للمعوقين مساحة قدرها 04.08 هكتار، أي بنسبة 02.41 % من مساحة الحي.

يحتوي حي العالية الشمالية على سبع مدارس ابتدائية ، يتواجد بها 6405 تلميذ و 83 حجرة و 163 فوج تربوي ، أي بمعدل إشغال للحجرة يقدر بـــ 77.16 تلميذ/حجرة مما يعني أن الفوج التربوي يحتوي معدل 38.58 تلميذ(النظام الإبتدائي يتداول به فوجان تربويان على نفس الحجرة) ، حيث نصيب التلميذ يقدر معدله بـــ 02.56 م^2 ، و حيث تتفاوت المدارس في نصيب التلميذ بالقسم فإن لذلك علاقة وطيدة بمدى كثافة النسيج العمراني ، إذ أن أقل نصيب يظفر به تلميذ أقدم مدرسة بالحي وهي مدرسة قاسم رزيق الواقعة ضمن النسيج العمراني المشوه ، و بنصيب قدره 01.48 م^2 ، بينما أعلى نصيب للتلميذ تحوز عليه مدرسة حمودي بولرباح الواقعة ضمن الحارة الجديدة المخططة في ظل الكثافة السكانية المنخفضة ، و بمعدل يقدر بـــ 05.17 م^2.

و بشكل عام فإن المدارس تكتظ أكثر في ظل ارتفاع الكثافة السكانية بالنسيج العمراني ، وتنخفض بالعكس ، كما أن معدل إشغال القسم بحي العالية الشمالية المقدر بـــ77.16 تلميذ بالحجرة يقابله 46 تلميذ بالحجرةعلى المستوى الوطني ، و نصيب التلميذ المقدر بـــ 02.56 م^2 يقابله نصيب التلميذ على المستوى الوطني بـــ 07 م^2، و البون هنا شاسع جدا ، و يبين مدى الضيق الذي يحظى به تلميذ حي العالية الشمالية .

أما بالنسبة للإكمالي و الثانوي فإن الحي يحتوي اكماليتين و ثانوية بمجموع تلاميذ يقدر بـــ 2340 تلميذ و 44 حجرة، و 56 فوج تربوي ، و بمعدل إشغال للقسم 53.18 تلميذ/حجرة ، وهو معدل يفوق المعدل الوطني المقدر بـــ 40 تلميذ/حجرة بالتعليم الإكمالي ، و 36 تلميذ /حجرة بالثانوي ، أما نصيب التلميذ فيقدر بـــ09.40م^2 وهو يقترب من المعدل الوطني المقدر في التعليم الإكمالي بـــ07.50 م^{2}و التعليم الثانوي 10م^2 .

أما الملاحظ و بقوة هو شساعة الفرق بين نصيب التلميذ في إكمالية زاغز جلول (01.90م^2) و نصيب التلميذ في إكمالية العالية الجديدة (19.51 م^2) ، و هذه مفارقة في

توزيع التلاميذ على الإكماليات بنفس الحي ، و من هنا فإن المؤسسات المتوغلة في قلب النسيج العمراني المشوه هي الأكثر اكتظاظا بالتلاميذ .[1]

أما المركز البيداغوجي للمعوقين فهو يتوفر فقط بمساحة 00.20 هكتار أي ما يعادل نسبة 04.90 % من مساحة المرافق التعليمية ، ويصل نصيب التلميذ في هذه المساحة 50م^2 ، و يزاول الدراسة في هذا المركز حوالي 40 تلميذ .

من خلال هذه الأرقام الدالة على نصيب التلميذ في المساحة سواء بالمدارس الإبتدائية أو الإكمالية ، نستشف درجة الإكتظاظ التي ياني منها ، و هو مايؤثر سلبا على مستوى التحصيل العلمي ، حيث و إزاء هذا الإكتظاظ يضطر بعض المعلمين في القسم إلى التفاعل أكثر مع مجموعة فقط بالقسم ، لأنه ليس بوسعهم الإهتمام بجميع التلاميذ، لتختفي بالتدريج أهمية التربية في المدرسة و تتحول إلى التعليم لا أكثر .

و ليس الإكتظاظ فقط هو ما تعاني منه المدارس بل إن الهندسة المعمارية لها أيضا مشكل عويص يطرحه العاملون بها ، حيث أن النوافذ الكبيرة و الواسعة تسمح للشمس في أوقات الحرارة بالدخول إلى منتصف الحجرة و هو ما يضايق التلاميذ ، أوبالأحرى يعرض التلاميذ أجسادهم للشمس دون إرادتهم في ظل الحرارة التي لا تنزل عن 30^{o}م ، إلى جانب ذلك فإن الفراغات في المدارس الإبتدائية تقتصر فقط على الأقسام و مكتب المدير و دورة المياه ، و تنفتح كلها على الفناء ، وقد يتخذ المدير أحد الأقسام مكتبا له، لذا يلجأ بعض المعلمين إلى تصحيح كراريس التلاميذ في الفناء ، أو أثناء حصص التدريس – باقتطاع وقت من الزمن المخصص للتدريس – الأحوال بنقلها إلى منزله لتصحيحها، و هذا راجع لانعدام قاعة للمعلمين داخل المؤسسة ، مما لا يوفر له مكانا حتى للإستراحة بعد إنهاء مهام التدريس ، من جهة أخرى فإن البرنامج الدراسي يفرض ممارسة التربية البدنية في الفناء ، و هذا يحدث ضجيجا من شأنه التشويش على باقي التلاميذ الذين يتابعون دروسهم بالأقسام.

إن التلميذ في حي العالية الشمالية محاصر من كل الجهات ، فمواقعه الطبيعية الثلاثة ضيقة للغاية : ضيق المسكن ، ضيق الشارع ، ضيق المدرسة ، هذا ناهيك عن

---

[1] إذا كان من الصحيح أن المدرسة هي صرح صغير ، تبقى هي الأكثر انتشارا في المدينة ، هناك عاملان إثنان يميزان مشكل البناء المدرسي : كثافة الإحتياجات في تطور يفوق التقديرات ، و التنظيم الفضائي للمدرسة الذي يندرج في مسعى تقليصي لمفهومي الوظيفية و الإستعمالية .
.... ابتداء من سنة 1980 تظهر الحاجة إلى المدارس ملحة و تفرض طريقة في الإنجاز يميزها الإستعجال الذي يحتم التقليص و الإنحراف عن الإجراءات للإستجابة للظرف ، .... و في مخطط قيادي لمدينة وهران ارتكزت توقعاته على أهداف وطنية تعطى كمقياس للمدرسة الأساسية: 600 طفل موزعين على 15 حجرة ذات أربعين ، مساحة متوسطة للتلميذ الواحد18م^2 ، وتقدر بـ 8000 م^2 بما فيها الإستراحة و التربية البدنية، إن حدود البرمجة تنتهي عند مقياس مدرسة لكل 400 مسكن مع الإحتفاظ بـ2.2 هكتار لكل وحدة جوار ...وتكون مساحات الرياضة البدنيةمشتركة بين مدرستين بلإمكان استعمالهما من طرف سكان الحي .عمارة بكوش . الهندسة المعمارية المدرسية .مجلة إنسانيات . عدد06 1998 . ص ص.27 . 28 .

وجود سوق الدلالات عند حائط مدرسة غريب قويدر الإبتدائية ، فإلى جانب الفوضى و الضجيج الذي تسببه السوق للتلميذو هو داخل القسم من إزعاج وعدم تركيز فالمكان لايضم البائعات فقط بل يشاركهن بائعو الفول و السجائر والحلويات ولعب الأطفال ، ومعظم هؤلاء الباعة هم المتسربون من المدرسة .

إن مشهدا يفرض نفسه يوميا على التلميذ من شأنه أن يوجه سلوكه تلقائيا باتجاه هؤلاء المتسربين ،و نفس المشهد يتكرر أمام إكمالية زاغز جلول التي تقابلها مقهى تستقطب كل أصناف الزبائن و تفرضهم على المدرسة للإحتكاك بالتلاميذ .

*** - المرافق الصحية**

من أهم المرافق الخدمية التي تهتم بتقديم أسباب العلاج للسكان في الحي ، وهي عنصر فعال ضمن المرافق التي توفر الراحة لقاصدها ، للرفع من المستوى الصحي الإجتماعي ، وتتمثل هذه المرافق في مجمع صحي " مستوصف " تقدر مساحته بـــ 0.71 هكتار ، وهو عبارة عن قاعة متعددة الخدمات تتربع على مساحة قدرها 0.665 هكتار ، وقاعة أخرى للعلاج مساحتها 0.005 هكتار .

ويحقق في العالية الشمالية اكتفاء في المرافق الصحية ، فعلاوة على المجمع الصحي والعيادات الطبية التي تربو عن 20 عيادة و05 صيدليات ، فإن الحي قريب من المستشفى الكبير " مستشفى بشير بن ناصر" الذي يقصده الناس سيرا على الأقدام.

ورغم ذلك ما زال بعض الناس يتعاطون الحقن في البيوت من طرف الممرضين ، أو ممن لهم علاقة بعملية التمريض ، ومازال الناس يقصدون حيال أمراضهم المستعصية الطلبة شيوخ الكتاتيب لكتابة الحرز "التميمة" ، ويقصدون العرافات للكشف عن مختلف العلل ، ورغم قلة زبائن هؤلاء العرافين ، لإدراك الناس مدى خطورة ذلك عن معتقداتهم وعلاقتهم بربهم وعدم ثقتهم بقدرة من لم يدخل الجامعة قط في علاج المرضى ، إلا انهم تأسفوا لموت العرافتين اللتين تشتهر بهما حارة طابق الكلب وحارة الحشاشة .

*** - المرافق الإدارية والأمنية**

من أهم المرافق الأمنية التي تهتم بتسيير شؤون السكان في الحي ، وهي عنصر فعال في توفير الراحة والاستقرار ، تتربع هذه المرافق على مساحة تبلغ 0.52 هكتار

بنسبة 0.30 % من المساحة الإجمالية للحي ، ومن هذه المرافق ، المرافق الأمنية ،ومركز البريد وفرع البلدية ، وهي مرافق حيوية جدا خلال فترة تـقديم خدماتها .

ويتدخل الأمن الحضري بشكل كبير في مختلف قضايا السكان الأمنية، حيث يؤكد المحقق القضائي أن حي العالية الشمالية يحقق اكبرنسبة في عدد القضايا (الجرائم والجنح) ،

- وأغلب هذه الجرائم و الجنح السطو على المنازل -ويعود سبب ذلك إلى كون السكان غير متجانسين (ليسوا من اصل جغرافي واحد) ، ولا توجد شيوخ قبائل أو " جماعة " يلجأ إليها السكان لحل خلافاتهم ، بل أن كل القضايا تؤول مباشرة إلى مصالح الأمن ، عكس ما يحدث مثلا في الأحياء الشعبية الأخرى(المسيد ، قداشة ..) إذ ولما كان التجمع العمراني عبارة عن ضاحية كان السكان يستدعون أفراد اعراشهم (عرش: قبيلة) من مواطنهم الأصلية للذود عنهم ومناصرتهم إن استدعى الأمر ، أما الآن فالأمر بزمام مصالح الأمن .

من جهة أخرى فان لتكوين الفرد بحي العالية الشمالية اثر واضح في الوضعية الراهنة بالتجمع العمراني ، حيث نجد السكان يميزهم خاصة الاعتماد على البلدية في حل مشاكلهم وخاصة السكن ، أي انهم ينتظرون دائما الحل من طرف السلطات ولا يقومون بأي مبادرة في تحسين ظروفهم ومنظر الحي كإنشاء مساحات خضراء ، أو المطالبة الجماعية بتعبيد الطرق أو الاتفاق على تلوين الواجهات بلون واحد.

<u>* - المرافق الشعائرية</u>

تساهم المرافق الشعائرية والمساجد خصوصا في نشر الوعي بين السكان ،وتعتبر إحدى الهياكل العمرانية التي تصنع الشخصية الجماعية للحي ،وتتمثل هذه المرافق في خمسة مساجد ، ومدرسة لتعليم القران الكريم ، ومقبرتان ، وتحوز هذه الدور مساحة 03.42 هكتار بنسبة 02.02 % من مساحة الحي .

وتشهد مساجد في العالية الشمالية اكتظاظا كبيرا خاصة يوم الجمعة و أثناء صلاة العيد ، حيث يظطر الكثير من المصلين إلى أداء الصلاة في الشارع – خاصة في المساجد الموغلة داخل النسيج العمراني المشوه كمسجد حمزة ومسجد أبي ذر الغفاري – وهي تساهم والى حد كبير في تولي بعض الشؤون الاجتماعية كإبرام عقود الزواج الشرعية ، كما يشهد الحي أيضا انتشار الكتاتيب عبر النسيج العمراني لتحفيظ القرآن الكريم ، مقابل مبالغ رمزية ، لتغلق معظمها مع مطلع الدخول المدرسي ، وهي وان لا تشغل الطفل إلا في فصل الصيف تقريبا إلا أنها تغطي نقص تعليم القران بالمدرسة .

أما المقبرتان ، فان الأولى ورغم قدمها ونشأتها بنشوء الحي إلا أنها مازالت قادرة على الاستيعاب، والسبب يعود إلى كون كثير من الناس (خاصة الشاوية) يدفنون موتاهم في مواطنهم الأصلية ، أما المقبرة الثانية فهي اكثر اتساعا وتنظيما ، وقد سخرت لها البلدية سورا جيدا وحراسا يعكفون على إحكام التنظيم بها .

<u>* - المرافق الرياضية والثقافية</u>

تشغل هذه المرافق مساحة إجمالية تقدر بـــ 01.70 هكتار ، أي بنس01 % من المساحة الإجمالية للحي ، وتتمثل هذه المرافق في مركز ثقافي بمساحة 0.25 هكتار ، وملعب لكرة القدم غير مجهز بمساحة 01.45 هكتار ، وتنتشر هذه المرافق في النسيج العمراني غير المشوه ، بينما الآخر يلجأ أطفاله إلى اللعب في الشوارع الضيقة أو الوادي ، حيث تكثر المزا بل وتكثر العقارب ، وكل الحشرات الضارة ، وفي حال سقوط الأمطار في شمال الولاية فانه تتشكل بالوادي مستنقعات يسبح بها الأطفال ويقضون أيامهم فيها ، وقد يلجأ آخرون إلى قاعات اللعب لكنها – مع الآسف – ليست في متناول جميع الأطفال ، لانهم لا يتوفرون على المال الكافي لذلك .

وفي ظل ضيق المساكن يحتضن الشارع الأطفال طوال النهار ، ويصبح – رغم كونه فضاء غير مؤسساتي – فضاء للتنشئة الاجتماعية بكل ما حوى من المظاهر السلبية والإيجابية على السواء.

<u>* - المرافق التجارية</u>

علاوة على المحلات التجارية والخدماتية المبينة في الجدول (39) يوجد سوق الفلاح بمساحة 01.50 هكتار بنسبة 00.88 % من المساحة الإجمالية للحي ، ولكنه اغلق ولم يعد يعمل.

6 . 2 - تنظيم الفراغ الاجتماعي واستمرار التشوه

من الصعب أن نتصور جماعية بمعزل عن الفراغ ، فكل جماعة تحتل فراغا ، ونسمي هذا الفراغ بالفراغ الاجتماعي ، ففي الجماعة العمرانية تكون الرابطة الفراغية وثيقة وأساسية ، وبالأساس تنشأ الجماعية العمرانية انطلاقا من الروابط الجماعية التي يخلقها قرب المسكن ، حيث الجماعية العمرانية تتميز بكثافة نسبية أعلى من المحيط ، وللجماعة العمرانية في حي العالية الشمالية شكل محدد في الفراغ ، فبالنسبة للمحيط يتميز بعوامل عدة نجملها في الشخصية المتميزة للجماعية ، من حيث بنيانها الداخلي الواضح ، ولا يمكننا فهم البناء الاجتماعي لحي العالية الشمالية إلا من خلال التطور المزدوج لتميز الحي بالنسبة لمحيطه من خلال خصائصه التي تميزه عن المحيط من جهة ، ومن جهة أخرى البنيان الداخلي للحي ، وعناصره ، ومدى تماسك أو تفكك هذا البنيان من جهة أخرى ، فكان تكوين الجماعية في العالية الشمالية مزدوجا ، فهو تكوين فراغي وتكوين اجتماعي ، وتلازم هذان الشكلان في الحي دوما .

وقد حدث تقسيم داخلي ضمن هذا التجمع ، إلى عناصر مختلفة به، وهذا التقسيم ليس مظهرا من مظاهر الانحلال بل مظهر من مظاهر التنظيم الداخلي للجماعية ، وهو عماد البنيان والتماسك الداخلي لهذه الجماعية ، فهناك تمييز ضمن هذا الفراغ بين حارات متمايزة وأنماط بناء متمايزة أيضا .

وتتجسد خصائص الحياة الجماعية في حي العالية الشمالية في العناصر الأساسية التي تشكل الفراغ الاجتماعي وهي : **السكان ، السكن، التنظيم العمراني** وتفصيلها فيما يلي :

6 . 2 . 1 - خصائص السكان

هي الخصائص التي تميز سكان الحي عن غيرهم من الأحياء الأخرى ، ويشارك ذلك شعور السكان بهذه الحقيقة ، وهي تبدو من خلال العناوين الموالية.

6 . 2 . 1 . 1 - التمايز

يتمايز سكان حي العالية الشمالية إثنيا واجتماعيا تبعا لأصل نزوحهم أو قدومهم ، فهم مزيج من قادم من خارج الولاية أو قادم من دوائرها أو من أحياء مدينة بسكرة ، وفيما يلي أماكن قدومهم .

جدول رقم (24) **أماكن قدوم الوافدين إلى حي العالية الشمالية .**

أماكن القدوم	التكرار	النسبة %
أحياء المدينة	328	47.95
بلديات الولاية	131	19.15
خارج الولاية	225	32.89
المجموع	684	

مصدر : تحقيق ميداني جويلية 2000

إن اكثر الوافدين إلى الحي هم القادمون من أحياء مدينة بسكرة بنسبة 47.95% ويليهم القادمون من خارج الولاية بنسبة 32.89 % ثم النازحون من بلديات الولاية ، والواقع إن أول القادمين كان البدو والرحل من خارج الولاية عادة ، أولئك الذين يعبرون المكان في مواسم معينة ، ثم النازحون من بلديات الولاية تحت وطأة الطرد الريفي وبعدها أبناء أحياء المدينة لما يتميز به الحي من مزايا ، وكذا الطرد المديني لهم، ولهذا فان سكان الحي يتمايزون أيضا حسب أصولهم إلى :

* الوصفان (الحشاشنة) ذوو البشرة السمراء وهم أول المتواجدين في هذا المكان.

* الشاوية منهم ذوو الأصل الجبلي (اريس ، غوفي ، غسيرة ، مشونش) ويتمركزون في حارة الشاوية والحارة الجديدة .

* الشاوية الوافدون من خنشلة (أولاد تيفورة ، النمامشة) وينتشرون في حارة طابق الكلب ، حارة العشايش ، الحارة الجديدة .

* أولاد دراج ، السوامع ، العثامين و أولاد نايل ... ويتوزعون في كامل الحي خاصة حارة طابق الكلب ، الحارة القديمة ، الحارة الجديدة ،وهم يشكلون امتدادا لقوافل البدو والرحل الذين استقر بهم المقام في الحي .

وإذ يتمايز الشاوية بتكتلهم الواضح في مواقع معينة لذويهم وأقاربهم ، فان السوامع وأولاد دراج والعثمانين يتوزعون بشكل عشوائي ولا تحذوهم ميزة معينة ، أما التمايز الواضح فهو الذي يخص الحشاشنة من خلال تقاليد الحضرة (حضرة سيدي مرزوق) التي يقيمونها سنويا ، ولا يحضرها ولا يشاركهم فيها غير الوصفان .

إلى جانب الجماعات آ نفة الذكر هناك الخذران القادمين من سيدي عقبة وعين الناقة ، وكذا السراحنة ، وبنو فرح ، وأولاد زيان .

جدول رقم (25) الأصل الجغرافي للوافدين إلى حي العالية الشمالية .

الأصل الجغرافي للوافدين		التكرار	النسبة %
أحياء المدينة	وسط المدينة	149	21.78
	حي الأمل	47	06.87
	سطر ملوك	44	06.43
	حي المجاهدين	28	04.09
	بسكرة القديمة	27	03.94
	الضلعة	11	01.60
	حارة الوادي	08	01.16
	حي المصلى	05	0.73
	حي فلياش	05	0.73
	باب الضرب	04	0.58
بلديات الولاية	مشونش	23	3.36
	عين زعطوط	16	02.33
	القنطرة	15	02.19
	طولقة	14	02.04
	شتمة	12	01.75
	أولاد جلال	11	01.60
	سيدي عقبة	08	01.16
	عين الناقة	12	01.75
	أو ماش	06	00.87
	الحوش	04	0.58
	ليشانة	04	0.58
	ليوة	03	00.43
	زريبة الوادي	03	00.43
خارج الولاية	باتنة	94	13.74
	مسيلة	46	06.72
	خنشلة	33	04.82
	قسنطينة	07	01.02
	الجزائر	10	01.46
	وادي سوف	13	01.90
	ورقلة	02	00.29
	تبسة	11	01.60
	سطيف	06	00.87
	عنابة	03	00.43
المـجــــــمـــــوع		684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

من خلال المعطيات السابقة يبدو أن أعلى نسبة ضمن السكان هي للوافدين من وسط المدينة بنسبة 21.78 % يليهم الوافدون من ولاية باتنة ، وهم يشكلون في الأغلب النازحين من الدوائر والبلديات والأرياف المتاخمة لولاية بسكرة ، وكذا النازحون من قمة الأوراس كآريس وغسيرة ، تلفلفال ... إلى جانب أولاد دراج القادمين من مدينة بريكة، أما باقي المناطق الأخرى فهي تشكل نسبا لا تتجاوز0.7 % .

ويرجع السبب في توافد السكان من وسط المدينة لاكتظاظه وقدم مبانيه وعدم إمكانية توسيع معظم المساكن نظرا لصغر مساحتها ، أما عن السكان القادمين من حي الأمل (يشمل حي 726 مسكن وحي 1000 مسكن وحي 830 مسكن وحي 100 مسكن ومساكن بلعياط ودرنوني ...) فيعود سببهم إلى رغبة الناس في تغيير نمط المسكن من العمودي إلى المساكن التقليدية العادية.

وبهذه الأرقام لا تبدو جماعية بعينها تتمايز بخصائص سلوكية معينة عن غيرها ، رغم اختلاف مناطق الوفود.

6 . 2 . 1 . 2 - التجانس

ظل حي العالية الشمالية فضاء مفتوحا لكل أشكال المهن ، ولكال المستويات الاجتماعية ، لذلك فان السكان لا يتجانسون مهنيا فهو كالفسيفساء ، فربما تجانس سكان العالية القديمة وطابق الكلب وحارة العشايش في كونهم فقراء .

ولقد مال الحي في وقت مضى للتجانس نسبيا ، حيث ينزع أبناء البلدة أو القرية الواحدة إلى الإقامة بجانب ذويهم وأقاربهم مما يعطى للمجال سمة الجماعة التي تقيم به ، وما يظهر حاليا به التجانس هو حارة العشايش كونه مجالا ضم المتسولين وأصحاب الحرف الهامشية (صنع المواقد والطواجن• من الطين وبيعها في الشوارع)

ورغم انعدام التجانس فهذا لا يعني انعدام الألفة الاجتماعية والتكامل الاجتماعي ،فالألفة تصنعها المدرسة بين الأطفال ، والقطاع الصحي بين النساء ، والملعب بين الشباب ، وتصنعها المقهى والمسجد لكافة الناس بمختلف أعمارهم .

لذلك وفيما تختفي ظاهرة التويزة في المجتمع ، فإنها في حي العالية الشمالية مازالت تحظى بأصحابها الذين يسجلون ممارستها من خلال الجدول الموالي

• آنية تصنع يدويا من الطين تستعمل في طهي الخبز .

جدول رقم (26) ممارسة التويزة في حي العالية الشمالية .

ممارسة التويزة	التكرار	النسبة %
نعم	187	27.33
لا	497	72.66
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2000.

رغم ظهور ظاهرة التويزة في الوسط الحضري إلا أنها مازالت في العالية الشمالية تمارس بنسبة 27.33 % ، وهي بادرة جيدة في نظر المبحوثين ، لأنها تؤكد بعض القيم الطيبة في المجتمع الجزائري ، وتدرأ بعض العناء في ساعات العسرة ، وتمارس اكثر في المناطق الأكثر تشوها والتي يحظى النسق العائلي والقرابي فيها بالاهتمام .

واكثر من يمارس عملية التويزة حسب المبحوثين هم الرجال على حساب النساء وتظهر أثناء عملية البناء " صب الدالة " مثلا، ولدى النساء في فتل الكسكس وغسل الصوف أثناء تجهيز العروس ، وهذا لسد باب من أبواب الإنفاق ، وتمارس اكثر من قبل الحرفيين والعمال والأجراء والبطالين والمتقاعدين ونساء البيوت ، ذلك لان الموظف ينأى عنها لأنه مرتبط بعمله الأكاديمي ولا يسعه إضافة عمل آخر وقت فراغه " وقت الراحة" . بهذا لا يكون في العالية الشمالية قد حقق تجانسا على مستوى أفراده ، فهو يجمع فئة العمال والبطالين ، كبير السن وصغيره ، الإناث والذكور، البشرة السمراء والبيضاء ، الغني و الفقير ،... وهذا ما انتج عمرانا غير متجانس تحكمه ميول الناس وظروفهم المادية و قدرتهم الشرائية.

6 . 2 . 1 . 3 – **الاستقرار**

الموالية : إن تشكيل الفراغ الاجتماعي وربطهم بالفراغ العمراني والمكان بوجه عام أمر يتطلب زمنا للاحتكاك بالآخرين أو وسائط قرابية تسهل العملية ، وفي هذا الباب كان سؤال المبحوثين حول ما إذا كان لديهم أقارب في الحي قبل الرحيل إليه فكانت المعطيات

جدول رقم (27) وجود الأقارب بالحي قبل الرحيل إليه.

وجود الأقارب	التكرار	النسبة %
نعم	356	52.04
لا	328	47.95
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2000

يبدو من معطيات الجدول أن وجود الأقارب قبل الرحيل إلى الحي هو أحد الأسباب المشجعة على ذلك حيث شكل نسبة 52.04 % مقابل 47.95 % للذين لم يكن لديهم أقارب بالحي ، وهي نسبة عالية تعكس مدى حاجة النازحين لمن يؤويهم ويعلمهم أصول الحياة الحضرية مطلع قدومهم للمكان ، واكثر من اعتمد على أقاربه هم أولئك النازحون ، والقادمون من ولايات أخرى ، أما السكان الآتون من وسط المدينة وأحيائها الأخرى فانهم يستغنون غالبا عن ذويهم في المكان لمعرفتهم بالحي وسهولة الاستقصاء حول مختلف الظروف.

وقد ظلت النواة الأولى في الحي مستقرا للوصفان لا يبرحونها ، ويعكس استقرارهم في المجال سلوكيات معينة وطقوس مختلفة ، كما استقر الشاوية عموما في حارة حوحو بينما يظل شعورهم مرتبطا بمواطنهم الأصلية ، حيث يغادرون الحي مع مطلع فصل الصيف إلى أوطانهم حيث المناخ الملائم في هذا الفصل ، ويوضح الجدول الموالي ذلك.

جدول رقم (28) قضاء فصل الصيف لدى سكان العالية الشمالية

أماكن قضاء عطلة الصيف	التكرار	النسبة %
بسكرة	342	50.00
الموطن الأصلي	147	21.49
ولايات أخرى	144	20.05
بدون جواب	51	07.45
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

من خلال الجدول يؤكد نصف سكان حي العالية الشمالية قضائهم عطلة فصل الصيف في مدينة بسكرة ، وهي نسبة تعبر عن الوافدين من أحياء المدينة ، والذين قدموا في بداية تشكل التجمع العمراني ، أو ممن لا تسمح لهم إمكانياتهم المادية بالاصطياف في أماكن غير منازلهم بينما يكاد يتساوى الذين يقضون فصل الصيف في مواطنهم الأصلية والولايات الأخرى.

إن الذين يقضون عطلة الصيف في مواطنهم الأصلية هم أولئك الذين يمتلكون أراضى زراعية وحدائق وبساتين في القرى التابعة لولاية باتنة ، وحقول القمح والشعير للوافدين من خنشلة وتبسة وأم البواقي ، وهؤلاء يعودون إلى الحي بفلول موسم الحصاد

لذا فان النمامشة المقيمين في حارة العشايش يكتفون بالبيوت القصديرية وعدم تأسيسهم لأخرى أرقى واحسن لعدم شعورهم بالانتماء للمكان.

وبشكل عام فان حي العالية الشمالية يحظى بالاستقرار من قبل سكانه ، وتعتبر ملكية الأرض وطبيعتها القانونية إحدى المؤشرات القوية التي تعبر عن مدى الاستقرار بالمجال.

6 . 2 . 2 - الخصائص الاجتماعية للمساكن

إضافة إلى الخصائص المعمارية المذكورة آنفا حول أنماط البناء ودرجة التزاحم ، وعدم التجانس فيما بينها ، حيث تنتشر المساكن التقليدية بجانب الفيلا ذات الطابقين ، أما عن التصميم فان هذه المساكن يرجع تصميمها في اغلب الأحيان إلى رؤية فردية هي رؤية البناء أو صاحب المسكن بكل ما تحمله من نقائص كما تنعكس صورة هذه الرؤية الذاتية في استغلال المجال – حي وان كان الشارع ضيقا – خاصة ان كان صاحب المنزل تاجرا ، أو صاحب مقهى ، كما تتميز هذه المساكن بروافدها Les poutres البارزة في أعلى المساكن ، وان كان المنزل مسقفا بالجريد فكثيرا ما تبدو جذوع النخيل بارزة أو اللاطات Les Madriets في حالة استخدامها بدلا عن الجذوع.

ورغم كون العديد من المساكن رديئة إلا أنها تسير على خطى الانتظام والاستقرار ، فالمباني المتهالكة اصبح أصحابها يدركون أن مآلها الترميم أو التهديم ، أما المساكن التي تبدو حديثة فهي في الواقع عبارة عن مشاريع لبناء غير منته ، فالأسرة في ترقب دائم لزواج الأبناء لإضافة أسرة جديدة ، وبالتالي إضافة غرفة أو تحويل وظيفة أو زيادة طابق ،...فالكل في تأهب مستمر وفي حالة العجز عن القيام بذلك يؤجل الزواج ، ويظهر في المجتمع مشكل جديد .

وأمام هذا تفقد المساكن المخططة مخططها وتكيف حسب عدد أفراد الأسرة ، ويوضح الجدول الموالي كيف تتكيف الفراغات داخل المسكن حسب الرغبة والحاجة.

جدول رقم (29) تحوير المجال الداخلي بالمسكن

تحوير المجال الداخلي بالمسكن	التكرار	النسبة %
مساكن غير مخططة	178	26.02
تعديل في المطبخ	07	01.02
إضافة مجال (غرفة ...)	241	35.23
تحويل وظيفة	102	14.91
غلق شرفة	11	01.60
إضافة مجال + تحويل وظيفة	67	09.79
غلق شرفة + تحويل وظيفة	55	08.04
تعديلات أخرى	23	03.36
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002

تشكل المساكن غير المخططة في حي العالية الشمالية نسبة 26.02 % وهي تمثل مساكن النمط التقليدي القديم والقصديري في معظمها و أحيانا المساكن التقليدية المعاصرة ، وهذه المساكن تقع في المجال غير المخطط ، أما المساكن الواقعة ضمن المجال المخطط فان نسبة التعديل بها بإضافة مجال تصل إلى 35.23% من مجموع المساكن ، وهي مرشحة للازدياد ، وتتمثل عادة في اضافة غرف ليتماشى حجم المسكن مع عدد الأفراد ، ويلي ذلك تحويل الوظيفة بنسبة 14.91 % ، ففي كثير من الأحيان يتحول الصالون إلى غرفة للنوم بعد تزايد الأفراد بالمسكن ، بينما تحظى إضافة المجال وتحويل الوظيفة معا بنسبة 09.79 % حيث يجنح السكان عادة إلى جعل الفراغ الأكبر للاستقبال أو النوم ، وفي حال ما إذا كان المطبخ له الحجم المناسب فانهم إما أن يقتطعوا منه مساحة لصالح غرفة النوم ، أو تحويله كلية إذا كان موقعه في المجال مناسبا ، أما غلق الشرفة وتحويل الوظيفة معا ، فهو يقع عادة في العمارات والمساكن الضيقة جدا حيث يغلق السكان الشرفة ، ويحولونها إلى مطبخ ليصبح المطبخ السابق مجالا للأكل والجلوس ، وللنوم أيضا ، ويلي هذه النسبة غلق الشرفة بنسبة 01.60 % بسبب الضيق من جهة والمناخ غير المناسب من جهة أخرى ، حيث انه حسب السكان فالمناخ الحار في بسكرة

لا يستدعي وجود شرفة ، وكذا بالنسبة للزوابع الرملية التي تجتاح المدينة معظم أيام العام،أما نسبة 03.36 % التي تشمل تعديلات أخرى وتتمثل في فتح محل للتجارة وإزالة حديقة ، واقتطاع جزء من الحوش ، وإزالة السقيفة وتحويلها إلى غرفة ،...وكل هذه التعديلات بسبب عدد الأفراد بالمسكن عادة ، وعن أسباب هذه التعديلات أجاب السكان بمايلي :

جدول رقم (30) أسباب التعديل في مخطط المسكن بحي العالية الشمالية

أسباب التعديل	التكرار	النسبة %
ضيق المسكن	581	84.94
التجارة	20	02.92
تزيين المسكن	16	02.33
المناخ	20	02.92
تقسيم المسكن بين الأبناء	47	06.87
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002

يشمل تعديل مخطط المسكن هنا المساكن المخططة و غير المخططة حيث المخططة تغير المخطط الرسمي بينما الأخرى تعدل شكل المسكن مما هو عليه في الوقت الحالي ، ويأتي ضيق المسكن وعدم كفايته واستيعابه لأفراده في الطليعة كسبب من أسباب التعديل بنسبة 84.94 % ثم ياتي تقسيم المسكن بين الأبناء بنسبة 06.87 % سواء خلال عملية التوريث أو خلال نشأة أسرة نووية جديدة بالمسكن ، ثم التعديل لأجل التجارة وبسبب المناخ بنسبة 02.92 % ثم تعديل المسكن من اجل التزيين بنسبة 02.33 % .

وإذا يبدو أن تعديل المسكن عملية تقنية ، إلا أنها تعكس وضعا اجتماعيا وسلوكات اجتماعية ، ونمط تفكير ، حيث أن تحويل غرفة الاستقبال إلى غرفة نوم أو تقسيم غرفة إلى غرفتين لفصل الأبناء عن البنات أثناء النوم وتحويل المطبخ من مقدمة المسكن إلى أعماقه هو نمط تفكير معين ، وفتح محل قصد التجارة يعكــس الوضعية الاجتماعية للأسرة ، ومؤشر يتعلق بمستوى الدخل لدى أفراد الأسرة يضطرهم لفتح محل بالمسكن ، كما إن إزالة حديقة المنزل بسبب الضيق قد تعكس أيضا عدم الاهتمام بالجانب الجمالي في المسكن...

وهذه التعديلات تعبر عن مجموع التصورات الاجتماعية في التكيف مع الأوضاع سواء كانت عدد أفراد الأسرة الكبير أو مستوى الدخل وتقسيم التركة وفي الكثير من

الأحيان يغفل السكان عن التهوية والإضاءة وواجهة المنزل لتأكيد الرؤية الاجتماعية في المجال.

إن إحداث هذا التعديل يبدو للساكن أمرا إيجابيا ، لأنه يحل مشكلا مطروحا ، إلا انه في الواقع عبارة عن تشويه للمعمار ، حيث أن غلق شرفة في عمارة تتوفر مساكنها كلها على شرفات من شأنه أن يضع طفرة في واجهة العمارة ، فإضافة إلى أن اللون الحديث لا يتماشى مع لون العمارة الأصلي فان معظم السكان لا يلونون التشوه المصنوع على واجهة المعمار ، وفتح محل ، أو غلق نافذة ، أو ...أو حتى تركيب المكيف الهوائي لا يتبعه تلوين التشوه لإخفائه وليصبح الأمرعاديا بالنسبة لكل السكان.

كما يبدو استغلال المجال بشكل مشوه من طرف أصحاب المحلات باحتكار الرصيف وبعض من أجزاء الطريق أمرا عاديا .

6 . 2 . 3 - الخصائص الاجتماعية للتنظيم العمراني

للتنظيم العمراني اثر بالغ في تشكيل وتنظيم الفراغ الاجتماعي فهو وان يكن البشر هم صانعوه فهو بدوره يصنعهم ويوجه سلوكا تهم ويفرض عليهم أساليب معينة في التكيف مع بعضهم البعض مقابل احتضانه لهم ، وان كان التجمع العمراني في الحارة الجديدة والمجال المخطط تعلوه مسحة من الجمال فانه في النواة القديمة وطابق الكلب تغمره الحميمية ، إذ وكما تتعانق المساكن وتحتمل تجاوز بعضها على بعض ، ينتهج السكان نفس المسلك ، ويدعم ذلك وجود صلات رحم تربط الكثيرين فتجعلهم يتغاضون عن معظم التجاوزات ، ومنها وجود عشرة قديمة من الصعب التفريط بها لان الجار هنا هو الصاحب بالجنب.

6 . 2 . 3 . 1 – الشكل الاجتماعي للجيرة

إن العلاقة الاجتماعية بين الجيران تبدو في معطيات الجدول الموالي :

نوع العلاقة بين الجيران	التكرار	النسبة %
علاقة عائلية	188	27.48
علاقة مصاهرة	112	16.37
مجرد جيران	281	41.08
أخرى	103	15.05
مجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002



صورة رقم15: شارع الأخوة ونوغي . احتكار الرصيف ... تشويه الواجهة بسبب فتح محل



جدول رقم (31) العلاقة بين الجيران في حي العالية الشمالية

تحظى علاقة " مجرد جيران " بنصيب وافر في حي العالية الشمالية بنسبة 41.08 % ، وهذا راجع إلى عدم التجانس بين السكان من حيث الأصول الإثنية من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه في المجال المخطط تتباعد المساكن به في شكل متراصف فتحجب كل العلاقات الاجتماعية التي من شأنها توطيد العلاقات ، وتحويلها إلى صلات رحم ومصاهرة ،و يلي ذلك فئة العلاقات العائلية بنسبة 27.48 % وتنتشر في حارة الشاوية وحارة الحشاشنة خاصة حيث يسود التجانس الاثني وفي التكتلات المشوهة حيث كان المجال أصلا لعائلة واحدة ثم انقسمت وورث العقار للأحفاد كما هو الشأن في درب العثامين والسوامع وأولاد دراج في حارتي طابق الكلب والنواة القديمة ، أما نسبة 16.37 % الخاصة بعلاقات المصاهرة فهي تنتشر بشكل خاص في المجال المشوه الذي تلتحم فيه المساكن بعضها ببعض مما يسهل عملية الاقتراب وتشكيل النسب والمصاهرة ، أما نسبة 15.05 % للحالات الأخرى فهي تشمل العلاقات العائـــلية وعلاقات المصاهرة في نفس الوقت .

من خلال علاقات الجوار المادية تتشكل العلاقات الاجتماعية حيث كلما اقتربت المساكن من بعضها كلما زادت العلاقات الاجتماعية وتوطدت صلات الرحم والمصاهرة لتظهر فيما بعد توطيد العلاقات من خلال العمليات الاجتماعية .

6 . 2 . 3 . 2 - العمليات الاجتماعية

جدول رقم (32) العمليات الاجتماعية في العالية الشمالية

العمليات الاجتماعية	التكرار	النسبة %
تفاهم	314	45.90
صراع	09	01.31
تنافس[1]	39	05.70
تعاون	252	36.84
أخرى	70	10.23
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002

تحوز ظاهرة التفاهم بين السكان على نسبة 45.90 % ويمثلها عادة أصحاب المساكن المتباعدة عن بعضها ، وكذا أصحاب المساكن الذين تربطهم العلاقات العائلية ،ويعتبر التفاهم أحد العمليات التي تساهم إلى حد كبير في استقرار السكان بالمجال ، ويعبر التفاهم هنا عن مدى التراضي بين الجيران مهما كانت علاقاتهم العائلية ، أما التعاون فان نسبة تعاطيه من قبل السكان هي 36.84 % وهي نسبة عالية أيضا ، ويبدو التعاون هنا خلال المواسم التي تمارس فيها التويزة ومواسم الأفراح والمآتم ، والملاحظ في العالية الشمالية أن نسبة التفاهم تعلو في النسيج المخطط ، بينما تعلو نسبة التعاون في النسيج العمراني المشوه ، أما الصراع فنسبته 01.31 % والتنافس بنسبة 05.70 % ، ويتنافس السكان عادة حول نجاح الأبناء في مختلف المراحل الدراسية ، بينما لا يتصارعون إلا بسبب الأطفال ، ولذلك تنخفض هذه النسبة إلى اخفض ما يمكن ويوضح ذلك الجداول المقبلة.

جدول رقم (33) الجهات التي يلجأ إليها السكان لفض الخلاف في حال وجود شجار مع الجيران.

---

[1] تظهر المنافسة إذا كان هناك نقص في شيئ يحتاج إليه الإنسان في المجتمع ، و المقصود بنقص شيئ في المجتمع من المجتمعات ، أن يكون أفراده في وضع لا يمكنهم معه الحصول على القدر الذي يحتاجون إليه . عبد الحميد لطفي . علم الإجتماع . دار النهضة العربية . بيروت . ب ت . ص 132 .

جهات فض النزاع	التكرار	النسبة %
السلطات	00	00
كبار شيوخ الحارة	00	00
التسامح	684	100
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

جدول رقم (34) المتسبب في حدوث الشجار بالحي .

المتسبب في حدوث الشجار	التكرار	النسبة %
الرجال	00	00
النساء	00	00
الأطفال	684	100
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني

إضافة إلى معطيات الجدولين فان أسباب الشجار كما أجاب عنها المبحوثون بنسبة 100 % بأنها حول لعب الأطفال وهي لا تستدعي تصعيد الأزمة على مستوى الرجال أو النساء أو العائلة بشكل عام .

رغم وجود أسباب الشجار في المجال إلا أن السكان لا يعيرونها اهتماما كاحتكار المجال من قبل بعضهم البعض ، فصاحب المحل يحتكر المجال المخصص لجاره ليضع فيه مبيعاته، وصاحب المقهى أيضا ، والساكن بالطابق العلوي بالعمارة يسد المنفذ حيث يدخل الضوء ، وحيث يستطيع السكان الصعود على السطح ولا يحدثه أحد بذلك ويستغل المجال من قبل الساكن الأرضي في وضع حديقة أو مجال زائد يضع فيه أغراضه و اقتطاع مساحة للعب الأطفال دون اعتراض من أحد ، واكثر من ذلك يرمي سكان العالية القديمة المياه العكرة في الشارع وتتدفق على الجيران دون أي تذمر من أحد ، وترمى القمامة على حافة الوادي وتصنع منظرا غير لائق وأوساخا تدر العديد من الأمراض والحشرات الضارة كالناموس و الذباب و "العقارب خاصة" دون تذمر من السكان ، ويستغل الأطفال الشارع كفضاء للعب دون أن يطالب أحد بإحداث فضاء للأطفال .

هذه الممارسات وغيرها لا تثير صراعا بين سكان التجمع العمراني بل يسعى كل واحد إلى التكيف مع التنظيم ومع ما يفرزه الفراغ الاجتماعي .

وتتوطد العلاقات بين السكان اكثر بتبادل الزيارات التي من شأنها إنشاء فراغ اجتماعي متماسك ، حيث أجاب المبحوثون عن مدى تزاور الجيران فيما بينهم فكانت النتائج الموالية .

جدول رقم (35) تزاور الجيران في العالية الشمالية

مدى تزاور الجيران	التكرار	النسبة %
يوميا	64	09.35
أحيانا	93	13.59
في مناسبات	101	14.76
في ظروف خاصة	103	15.05
أخرى	31	04.53
لا تزاور	292	42.69
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

يتزاور السكان فيما بينهم بنسبة 57.30 % ، بينما الذين لا يتزاورون يشكلون نسبة 42.69 % ، حيث أن الزيارات اليومية تقدر بنسبة 09.35 % ، وهي عادة زيارات الأقارب المتجاورين في السكن ، بينما يشكل الذين يتزاورون أحيانا نسبة 13.59 % وهي النسبة المتقاربة مع نسبة الذين يتزاورون في المناسبات كالأفراح والمآتم ، والظروف الخاصة كنجاح الأبناء في الدراسة أو مرض أو ما شابه مما يستدعي الزيارة لكن بشكل قليل ، أما الحالات الأخرى التي تشكل نسبة 04.53 % فهي التي لم تحدد شكلا معينا للزيارات ، فهي متذبذبة في معظم الأحيان وقليلها.

وللفراغ العمراني اثركبير في مدى تزاور السكان فيما بينهم ، حيث أن التلاصق الوطيد للمساكن وعلو الستارة – حول السطح- يقلل نسبة التزاور – على الأقل الزيارات اليومية – لان النساء يتجاذبن أطراف الحديث خلف الستارة غير العالية ، ومن خلال الثقوب التي تحدثها النسوة في الجدران المشتركة ، وتنتشر الظاهرة اكثر في الحارة القديمة ، حارة الحشاشنة ، حارة طابق الكلب .

كما أن نمط المسكن وعرض الشارع له بالغ الأثر في مدى هذا التزاور ، حيث أن النسوة يسترقن من ضيق الشارع فرصة لتجاذب أطراف الحديث وصنع الألفة أو الفتنة ، وتحسين الجوار – في اغلب الأحيان – و إثراء مختلف العمليات الاجتماعية .

6 . 2 . 3 . 3 - تربية الحيوانات

يصر بعض سكان حي العالية الشمالية على ترييف المجال بتربية الحيوانات ضمنه، حيث تشير المعطيات إلى مايلي :

جدول رقم (36) تربية الحيوانات في حي العالية الشمالية

تربية الحيوانات	التكرار	النسبة %
الماعز	23	03.36
الاحمرة	02	0.29
الدجاج والأرانب	15	02.19
حيوانات أخرى	25	03.65
لا تربي الحيوانات	619	90.49
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني

يوضح الجدول أن نسبة الذين لا يربون الحيوانات داخل المسكن تقدر بـــ 90.49 % ، بينما تتوزع النسبة الباقية على الذين يربون الحيوانات داخل المسكن ، حيث أن الذين يربون الماعز لهم نسبة 03.36 % ، وهي نسبة عالية نظرا لطبيعة المجال – مجال حضري – والماعز هنا رغم انه يشكل إزعاجا بالمحيط إلا أن السكان يواضبون على تربيته ، حيث يتم إخراج الماعز كل صباح من المنازل لتقصد أقصى الحي للرعي ، وخلال ذلك تمر على الشوارع وتأتي على دلاء الزبالة أمام الأبواب لتفرغها في الشارع وتجعلها حصيدا ، ولتقضي أيضا على أي أمل في انشاء مساحة خضراء بالمجال والملاحظ أن الماعز تربى في كل أرجاء الحي بلا استثناء ، أما الحمير فتقدر نسبة تربيته بـــ 0.29 % وتربى بحارة العشايش حيث لا تتوفر المساكن على المياه لذا فهي تستخدم لجلب المياه ومختلف الأغراض الأخرى ، لكنها مع ذلك تفرز منظرا شبيها بمنظر البادية ، أما الدجاج والأرانب فإن نسبة تربيتها هي 02.19 % ، ففي الحارة القديمة وحارة طابق الكلب تربى فوق السطوح ، أما على حافة الوادي وحارة العشايش فإن تربيتها تتم في الشارع أيضا ، حيث تقتات هذه الحيوانات على ما في الشارع من فضلات ليصبح الشارع أو المجال أشبه بالحضيرة منه إلى الشارع ، أما الحالات الأخرى فتشمل كل الحيوانات أو بالأحرى مختلف الحيوانات مجتمعة بنسبة 03.65 % ، - مع العلم أن الباحثة قد اختزلت تربية الكلاب والقطط والطيور -.

تعبر النسب سالفة الذكر مرتفعة بالنظر إلى طريقة التربية المتداولة ، حيث أنها لو تمت داخل المساكن لكان الأمر معقولا ، وينعكس على أصحابه فقط ، أما أن يشترك كل السكان في التربية فهذا من شأنه تحويل الشوارع إلى حضيرة حيوانات .

ولا تعكس تربية الحيوانات في الوسط الحضري مدى الحاجة إلى هذه الحيوانات في الجانب المادي فقط ، بل تعكس أيضا ترسب التفكير الريفي في أذهان الممارسين الذين ألفوا ذلك في أريا فهم ، ومن الصعب التخلص من ذلك .

6 . 2 . 3 . 4 – الحركة داخل المجال

يغير سكان حي العالية الشمالية المسكن متى ظفروا بالغرض المطلوب، لتصير العملية عادية جدا في التجمع العمراني ، حيث يوضح الجدول ذلك من خلال المعطيات الموالية :

جدول رقم (37) تغيير المسكن داخل الحي

تغيير المسكن	التكرار	النسبة %
نعم	266	38.88
لا	418	61.11
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

تشكل 38.88 % نسبة الذين غيروا المسكن داخل حي العالية الشمالية وهو كأي مجال فوضوي كثير الحركة والتغيير مقابل 61.11 % ممن لم يغيروا المسكن ، ويعود سبب تغيير المسكن في اغلب الأحيان – حسب المبحوثين – إلى ضيق المسكن القديم والرغبة في التوسع ، وكذا تغيير نمط المسكن من التقليدي القديم إلى التقليدي المعاصر ، أو من النمط القصديري إلى النمط التقليدي المعاصر ، وكذا من اجل الكهرباء والماء التي لا تطال كل المجال ، وكذا البحث عن حسن الجوار.

6 . 2 . 3 . 4 - تشكيل الجيب القروي داخل المدينة

بناء على ما سبق ، شهد حي العالية الشمالية موجة من الحركة والنزوح والوفود من خارج الولاية ومن بلديات الولاية ، ومن أحياء المدينة ، لفئات في معظمها محدودة الدخل ، وفي غياب خطة عمرانية تأخذ بيد المشروع العمراني ، فشهد الحي تحولا ديمغرافيا وتكتلا ضمن مجال ضيق نظرا لما امتاز به من إيجابيات ، فنشأ بذلك التشوه العمراني بسبب التزايد المستمر لعدد أفراد الأسرة والتعديل المستمر في مخطط المسكن تبعا لهؤلاء الأفراد ، وفي غياب خطة ينتجها المجال في تطوره يحتشد السكان في جهة دون أخرى فيأتي التجمع العمراني في شكل فوضوي ويجمع خلال ذلك الحي بين نمطين من أنماط الحياة الاجتماعية الأولى الناتجة عن البنية الاجتماعية والمتمثلة خصوصا في البناء القرابي ، حيث يتشكل المجتمع من جماعات قرابية ذات اصل اثني واحد ، مثل أولاد دراج ،

والسوامع ... وينتمون إلى بني هلال ، النمامشة وأولاد تيفورة والغواسير وأولاد عبد الرحمان واولاد عبدي وينتمون إلى الشاوية ، وهي بمثابة تكتلات انقسم خلالها الجوار إلى وحدات جوار ثانوية أنتجت الحارة فيما بعد .

أما الخاصية الحضرية فتتجلى في الناحية الديمغرافية والكثافة السكانية العالية وكذا تجاور البنايات ، وموقع الحي ضمن تجمع حضري يستفيد من كل الخدمات الحضرية كالجامعة والمركز البيداغوجي للمعاقين ، وهكذا فقد بدأ التجمع العمراني بالخصائص الريفية ، وهو ينتهي بخصائص حضرية مريفة ، وبهذه الصفة فهو بمثابة " المحول " الذي يتم من خلاله العبور بين وضعيتين اجتماعيتين تختلفان عن بعضهما ، فهو يضمن للعائلات النازحة الاندماج التدريجي مع ظروف جديدة تناسب مع الوضع الجديد في شتى المجالات مثل الاستقلالية الاقتصادية والحرية وتوفير فرص الحراك الاجتماعي والانخراط في مؤسسات حضرية عديدة والاستفادة من خدماتها مباشرة .

ومع ذلك فانه تحت تأثير صعوبات الحياة ، وعجز المؤسسات الحضرية عن استيعاب السكان وإشباع حاجاتهم يستمرون في تمسكهم بالعلاقات الأولية ، حيث أن أزمة السكن التي يصطدمون بها تفرض عليهم نمطا ووسطا ومعدلا من الأسر ، والذي يتميز بالنورية في الميزانية والممتدة في الإقامة ، أي أن الانتقال من الأسرة الممتدة المعروفة في المجتمع الريفي إلى الأسرة النواة المعروف بها الوسط الحضري ، ومن التساند الآلي إلى التساند العضوي يتوقف على مدى فعالية المؤسسات الاجتماعية الحضرية في استيعاب السكان الحضريين وإشباع حاجاتهم المتعددة وخاصة في ميدان السكن وبصورة أدق عندما تعوض وبشكل فعال وظائف الآسرة الممتدة كوجود الحضانة مثلا .

بهذه الصورة يستقر الفراغ الاجتماعي بمرور الزمن ، وينزع فقط للتراص واستغلال أدنى مساحة لإعطاء أمل جديد في زيادة فرد جديد ، في وقت تغيب فيه كل ضوابط التعمير واستغلال المجال ، فتهتز بذلك قواعد الضبط الاجتماعي ، وقد بدت بوادر الرضا بالوضع العمراني الراهن من خلال إجابة المبحوثين عن سؤال الاستمارة : هل تصنفون حيكم كحي فوضوي ؟ لماذا ؟ حيث كانت النتيجة في الجدول الموالي :

جدول رقم (38) رأي المبحوثين في فوضوية الحي

مدى فوضوية الحي	التكرار	النسبة %
الحي فوضوي	593	86.69
الحي ليس فوضويا	91	13.30
المجموع	684	100

المصدر : تحقيق ميداني جويلية 2002 .

توضح معطيات الجدول أن نسبة 13.30 %من السكان لا تعتقد أن الحي فوضوي بكل المقاييس ، فهذا الأسلوب في البناء و التموضع الإسكاني و تعرج الطرقات و ضيقها ما هي إلا أساليب

لحياة اجتماعية خاصة و مميزة ، إن الفوضى الحقيقية ليست اختلال العمران بل اختلال الفراغ الإجتماعي كوجود الصراعات الدائمة ووجود دور الفساد و الحانات مثلا داخل النسيج العمراني ، و تشكل هذه الفكرة قناعة راسخة لدى بعض السكان كأولئك الذين استوطنوا الحي منذ نشأته في الحارة القديمة وطابق الكلب ، رغم كل التشوه العمراني ، بينما يرى سكان حارة العشايش بأن الحي أشبه بريف مليئ بالسكان، و لكن لامناص لهم من العيش فيه و التكيف مع هذه الفوضى، أما نسبة 86.69 % التي تعتقد بفوضوية الحي فأغلبها من فئة المثقفين الذين يدركون مدى الخلل الذي يلحق البيئة الحضرية من جراء التشوه العمراني ، كما فسر هؤلاء الفوضى بكونها تتمثل في الطرق غير المتراصفة و غير المعبدة ، و انتشار الأكواخ و رداءة المنازل و غياب المساحات الخضراء ، و أوعزوا ذلك إلى غياب الوعي من جهة و إهمال الجهات المعنية لتطور المجال بشكل عفوي .

إن قناعة 13.30 % من السكان بأن الحي غير فوضوي ، لم تتشكل بين عشية و ضحاها ، بل بمرور الزمن ، حيث حيث يكرس هؤلاء جهودهم للإبقاء على الأوضاع قائمة كما هي ، و في ذات الوقت لا تجرؤ البلدية على القضاء على هذا التجمع العمراني و إعادة إسكان ما ينيف عن 4000 أسرة ، لأن ذلك يكلف الخزينة عبئا ثقيلا ، ولأن السكان سيحملون رواسبهم الفكرية – التي خلقت في الريف و نشأت و ترعرعت في حي العالية الشمالية - و مخلفاتهم إلى المساكن الجديدة ، و أكثر من ذلك سيصطحبون معهم عنزاتهم و أرانبهم ، بل ويلزمهم مساكن بإمكانها استيعاب أكبر عدد ممكن من الأفراد ، و بإمكانها السماح بإضافة فراغات أخرى للأبناء المقبلين على الزواج .

خلاصة الفصل السادس

يعتبر الإختلال المرفولوجي بالمكان من أهم العوامل المعيقة لتطور المدينة ، و بروزها كمعلم حضاري ، و لعل التشوه الحاصل في مرفولوجية حي العالية الشمالية هو ما تمثل في تعدد أشكال النمو الفيزيقي للعمران ، حيث تطور العمران بنفس وتيرة التجمعات العمرانية الفوضوية و المشوهة حيث انتحل صفة النمو الشريطي و النمو الخطي ثم الإندماج الحضري ، كما تعددت أنماط البناء بتعدد مناهل السكان و مشاربهم و معه بدت المواصفات المعمارية للمساكن لا ترقى إلى المستوى الحضاري المرجو ، و كان هذا بفعل التحول الديمغرافي الذي كان المتحكم الأول في علو المباني و المساحات السكنية وبدا ذلك واضحا من خلال معدل إشغال المسكن و كذا درجة التزاحم في المسكن ، أما بالنسبة للبعد التركيبي فإن توزيع الخدمات يبدو غير عادل على المستوى التعليمي حيث تتفاوت نسبة نصيب التلميذ في المدرسة بتفاوت نسبة الإكتظاظ السكاني في المكان ، مما يوضح أن النسيج العمراني الذي يحظى بأعلى نصيب في السكان يق نصيب أطفاله في المدرسة ،

و بهذا الإختلال المرفولوجي في تموضع العمران يتشكل الفراغ الإجتماعي وفقا له ، ويصنعان سويا الشخصية الجماعية للحي ، على مستوى السكان و السكن و التنظيم العمراني ، فالسكان الذين وفدوا للمكان و شكلوا المساكن وفق قدراتهم الشرائية و تصوراتهم و رواسبهم الذهنية ، و مجموع السكن بدوره ينتج تنظيما عمرانيا مميزا مؤثرا بذلك في طبائع الناس و سلوكياتهم ، بل يرحل الناس أو يموتون و يظل العمران شاهدا على نشأة طبائع معينة ، و مفسرة ظواهر معينة ،

حيث مازالت الذاكرة العمرانية في حي العالية الشمالية تحتفظ بصورة المقهى الكائنة في قلب طابق الكلب التي تفترش الأحصرة (جمع حصير) بدلا عن الكراسي ، و بدلا عن الطاولات هناك موائد صغيرة يتقابل عليها الرجال للعب الدومينو و يرافقهم في ذلك كؤوس الشاي و فناجين القهوة .

نتائج الدراسة

بعد عرض أهم المفاهيم المتعلقة بالسكان و المكان أي بالتحول الديمغرافي و العمران ، تبين التأثير الكبير للسكان في حالة الزيادة العددية الكبيرة في المجال ، حيث و تحت التحول الديمغرافي الذي تعرض له حي العالية الشمالية بفعل النزوح الريفي و الوفود من ولايات أخرى و الحركة من الأحياء الأخرى – ليس هناك من يعود أصله إلى

هذا الحي بامتلاك وثائق تثبت ذلك و لو وثائق عرفية – نتج فراغ عمراني مشوه يتميز بما يلي :

على المستوى التجمع العمراني :

وجود التركز العمراني الكبير في مناطق بعينها بالحي و في مجالات ضيقة مما يصنع مساكن صغيرة المساحة قابلة للتشوه بسبب الزيادة الطبيعية لسكان المسكن (إما بمد المسكن إلى أعلى و باحتكار المجال الخارجي و الإستيلاء عليه) .

أدى التحول الديمغرافي في وجود خلفيات معينة (غياب التخطيط و التسيير و إهمال مخططات التعمير مع التغير الحضري السريع) إلى احتلال السكان للمجال بشكل فوضوي ووفق تصوراتهم البسيطة (بساطة وضعياتهم الإجتماعية) مما أنتج عمرانيا تلقائيا ، يفتقر للتنظيم و تغيب إزاءه كل مقاييس التعمير بحيث تميزت الخصائص العمرانية باختلال في شبكة الطرقات و غاب شكل الطريق الحقيقية (القارعة ، الحاشية ، الصحن ...) و انعدام التراصف ، وسادت الطرق الحادة و المغلقة و شكلت شبكة جديدة داخل النسيج العمراني .

أدى التحول الديمغرافي إلى خلل في استغلال المجال ، حيث توضح مرفولوجية الحي توزيعا غير عادل في المرافق و الخدمات ، إذ وبالإكتظاظ في النسيج العمراني قل نصيب المرافق الحساسة كالتعليم ، إذ يتوافد على المدرسة الضيقة كم هائل من النتلاميذ تستوعبهم المدارس عن مضض في ظل نصيب للتلميذ لا يتجاوز المترين المربعين ، مع ظروف أخرى ثانوية تقلل من التحصيل العلمي كطريقة ممارسة التربية البدنية مثلا . كما شمل الخلل في استغلال المجال المساحات الخضراء الغائبة تماما في الحي ، - و حتى غابات النخيل التي كانت تمتد على طول الشريط الغربي للحي أزيلت مع الأيام بسبب العمليات البناء و التعمير- و بهذا تتحول المساحات الزراعية التي كانت تدر بسخاء إلى مساحات تكتنفها أكوام من الأسمنت و التراب وبقايا الصفيح في منظر غاية في التشوه ، والتلوث البصري ، فالمساكن المرقعة و غير الملونة و الآيلة للسقوط هي ماصنع هذا التشوه ، ... إلى جانب ذلك يخلو المجال هنا من مساحات اللعب و الترفيه للعائلات والأطفال الذين لا يجدون ملاذا سوى برك المياه بالوادي للإستحمام و اللعب بها و بالقمامة المنتشرة على حافتها . و لايقتصر الأمر على المرافق بل إن الإكتظاظ السكاني في المجال أدى إلى عرقلة التهيئة العمرانية بمختلف وسائل التنظيم العمراني كالكهرباء ،حيث لا توجد أماكن كافية لإنشاء المحولات الكهربائية ، مما اضطر شركة الكهرباء و

الغاز إلى إنجازها على حافة التجمع العمراني وهو ما يطرح خسائر أخرى لخزينة الدولة إزاء ترقيع هذا الإشكال .

كما أن هذا التحول الديمغرافي في المجال أدى إلى عجز في الخدمات على مستوى مصلحة النظافة مثلا و التي تعمل بشكل دؤوب دون أن يتجلى ذلك عيانا ، هذا ناهيك عن عجز على مستويات أخرى كالماء و الصرف الصحي و ....

أما على المستوى المعماري فإن التحول الديمغرافي داخل الفراغات العمرانية حتما سيلفظ مشاكله الناجمة خارج المجال المسطر له ، حيث يعمد الناس إلى احتكار المجال الخارجي ، كاحتكار الشارع و المساحات المجانبة للمعمار أو إن كانت هناك مساحات غير مبنية في الجوار ، هذا إلىجانب التحوير الدائم لمخطط المسكن وفق ما تحتاجه الأسرة بتحويل الوظائف و استحداث فراغات أخرى و لو على حساب الضوء و الرطوبة و كل المقاييس كالجمال و الإتساع و .... ، و يشكل هذا التحوير أهم الأسباب المشوهة للعمران حيث يهتم الساكن بمنظر مسكنه من الداخل دون مراعاة للوجه الخارجي للمسكن وإدراك للبيئة العمرانية الخارجية لعدم شعوره بالمسؤولية تجاه البيئة المشيدة خارج مأواه .

كما يؤدي التحول الديمغرافي داخل المسكن إلى درجة تزاحم كبيرة لأعداد أفراد الأسرة ، حيث يقل نصيب الفرد في المسكن مما يؤدي إلى خلل في توزيع الأدوار في المسكن و مما ينعكس سلبا على قيم اجتماعية طالما اعتز بها المجتمع الجزائري و هي تخصيص مكان للجدين في المسكن مع إيواء أفراد آخرين من الأقارب داخل المسكن .

إن هذا الإختلال على مستوى الفراغ العمراني من شأنه إنشاء اختلال على مستوى الفراغ الإجتماعي ، حيث أن التحول بفعل النزوح الريفي خاصة أدى إلى ترييف المجال من خلال السلوكات السكانية التي أبت إلا أن تترسب في الأذهان ، كتربية الحيوانات ليس داخل المسكن فحسب بل في الشارع أيضا ، كما أن تقارب المساكن و تلاحمها مع بعضها البعض هو في الحقيقة تلاحم لأفراد المجتمع ، حيث تتشكل الشخصية الجماعية من خلال الفراغات الإجتماعية كالمسجد و المقهى و المدرسة و تتشكل أيضا من خلال المسافات الضيقة بين المساكن ، حيث و أنت تجوب الحارات القديمة بحي العالية الشمالية كثيرا ما تجد النسوة يتجاذبن أطراف الحديث من خلال تلك المسافة ، و يمهدن بهذه السلوكيات لصناعة مجتمع قرابي من الصعب تفكيك عراه في وقت لاحق ، حتى و إن أرادت البلدية إعادة إسكان هؤلاء في مساكن أخرى أكثر رقيا فإن هذه الترسبات حتما ستطفو إلى السطح مهما تغير المكان أو الموضع .

و بهذه الصورة يكون التحول الديمغرافي في حي العالية الشمالية قد صنع فراغا عمرانيا مشوها و فراغا اجتماعيا مشوها أيضا ، و من ذلك مايراه السكان بأن حيهم غير مشوه و هو يساعدهم على العيش بداخله بسلام .

الإقتراحات و التوصيات

لقد بينت هذه الدراسة مدى عمق الأزمة التي تعيشها المدينة فـــي ظـــل التحـــول الديمغرافي بوجود خلفيات و أسباب مساعدة له ، وتتمثل الأزمة في تشوه العمران ومـــا ينجر عن ذلك من مضاعفات على الصعيدين الفراغ العمراني و الفراغ الإجتمـــاعي ، و لذا فإن البحث في جذور هذه الأزمة العمرانية أصبح من الأهمية بمكان لإضفاء لمســـات

الإبداع و الإبتكار على هذه العمارة ، و تغيير ماران عليها من تخلف وجمود ، كما ينبغي النظر إلى العمارة لا كمأوى بل كمسكن يحفظ الكرامة لصاحبه ، ويضمن لـــه الأمـــان و الحماية اللازمة و يتماشى مع مستوى الدخل و يروق في عين الناظر ، بل و يرتقي إلى تلبية أقصى الحاجات الفيزيولوجية له ، و لقد باتت الحاجة ملحة إلى التوفيق بين الأصالة و العصرنة في العمارة من خلال استلام خبرات الآخـــرين النافعـــة دون التنـــازل عـــن المقومات المحلية التي تحفظ للمرء شخصيته ، مع تدارك الفصام بين مختلف التخصصات التي تتناول المدينة بالدراسة للتوفيق بين الإنسان و المسكن .

إن الحاجة إلى تتبع عمران المدينة أمر هام و ضـــروري ، و مشـــكل ينبغـــي أن يطرح على مختلف الجهات و كافة المستويات ، ففي الجامعة بالدراسة و التتبع و البحث الدائم في جذور الأزمة ، و على المختصين الميدانيين بما فيهم المســؤولين و المســيرين بمتابعة مختلف الإجراءات اللازمة لتشخيص الظاهرة ، و على الجهات الأعلى مسؤولية بالإمداد و الدعم المادي ، حيث :

ينبغي على الجامعة أن تجند كل التخصصات المتعلقة بالســكان كعلــم الإجتمــاع وعلم النفس و الديمغرافيا و الأنثروبولوجيا لدراسة مكنونات الفرد ونوازعه وميولاته ، مع تتبع حركات السكان الطبيعية و غير الطبيعية (الهجرة ، النزوح .....) بالدراســة و التحليل و تفسير السلوكات والأسباب للتنبؤ مستقبلا بما سيحدث و لتفادي ما ينجر عــن هذه الحركات السكانية من آثار على المدينة ، كما ينبغي على التخصصات التـــي لهـــا صلة بالعمران كالهندسة المعمارية و التهيئة الحضرية أن تأخذ فـــي الإعتبـــار مقـــاييس الإنشاء المعماري المادية و الإجتماعية ، و هذا بالتسيق مع مختلف التخصصـــات التـــي تهتم بموضوع السكان ، ذلك لأن المعماري يصمم للإنسان لا لغيره .

كما ينبغي على الجماعات المحلية أن تعطي العناية كاملة لقطاع الإسكان تفاديـــا للبناء الذاتي الذي يتم وفق تصورات متعددة و غير متناسقة بل و غير مؤهلـــة لتصـــميم المعمار أو إنشائه ، و أن تسلم مختلف المشاريع الإسكانية لأصحابها المؤهلين لا أشـــباه المعماريين أو المقاولين .

كما ينبغي على الجماعات المحلية أيضا أن تتوجه إلى الأرياف بإنشاء مناطق حياة بتزويدها بالخدمات الضرورية ، و الدعم الفلاحي ، وتوفير وسائط مواصـــلات دائمـــة تفاديا لحدوث النزوح الريفي و تضخم المدن جراء التحول الديمغرافي .

القيام بحملات تحسيسية و تسليط عقوبات رادعة على كل المخالفين لقواعد البنــاء سواء كانوا أشخاصا عاديين أو جهات مسؤولة .

السعي للحفاظ على البيئة بشتى طرق التهيئة العمرانيــة مــع إزالــة أو تــرميم التجمعات العمرانية المشوهة بالتدريج .

إنشاء سكنات لحديثي الزواج تفاديا لتحوير المجال المسكون الخاص بالأبوين و استحداث التشوه .

إنشاء المساكن يجب أن يتم وفقا لمقومات المجتمع الجزائري ذي الأسرة الممتدة و النسق القرابي الطاغي على كل العلاقات الأخرى ، و التقاليــد الحميميــة التــي تحتــاج لفراغات عمرانية خاصة داخل الفضاء المسكون .

توسيع دائرة الإبداع و الإبتكار أمام المعماريين و المصممين و أخذها في الإعتبار ، وكذا اللجوء إلى الدراسات السكانية و الإجتماعية قبل التخطيط للمشاريع .

استحداث برامج تتعلق بالحد من ظهور ظاهرة التحول الديمغرافي فــي الوســط الحضري ، دون الإخلال بمنظومة الإنجاب و التناسل مع التهيــؤ الــدائم و الإســتعداد لمجابهة الظاهرة إن حلت .

و الواقع أن هذه الأفكار وردت خلال تحليل ظاهرة التحول الديمغرافي ، ومــدى تأثيره على العمران ، حيث طرحت الأسئلة وقتئذ : أين غابت الســلطات إزاء حــدوث ظاهرة التحول ؟ كيف نشأ التنظيم العمراني مشوها في غياب السلطة ؟ لمــاذا أهملــت المخططات العمرانية التي شملت المجال المدروس ؟ أين غابت فرق البحث في شــؤون السكان التي تتبع حركتهم بالبحث و الدراسة و التحليل و التنبيــه بخطــورة الموقــف ؟ ...بينما السؤال الذي ظل عالقا : هل سيبقى حي العالية الشمالية واجهة مشوهة لمدينــة بسكرة يطل عليها كل قادم للمدينة ؟ و هل سيبقى الحي جيبــا قرويــا داخــل النســيج العمراني لمدينة بسكرة ؟

الخاتمـة

إذا كانت المدينة هي مرآة المستوى الحضاري للأمم و بمعالمها تعــرف البلــدان والأمصار ، حيث منها ما يعرف ببرج إيفل و منها مايعرف بتمثال الحرية و منهــا مــا يعرف بالساحة الحمراء ، و منها مايعرف بمختلف الكاتدرائيات و المتاحف و المسارح و الجامعات الشامخة و المكتبات العالمية و ناطحات السحاب ، ....فــإن العــالم العربــي

اختفت من مجاله العمراني حدائق بابل وقصور بني العباس و قلعة بني حماد ، و أكثر من ذلك أزيلت الغابات الشاسعة المتشابكة التي يحكي المؤرخون بشأن ظلالها الوارفة التي تمتد من أقصى الزاب الشرقي إلى المحيط الأطلسي دون انقطاع .... ، لتضحى مدن العالم العربي دون وجه يشفع لها أمام التاريخ ، سوى ذلك الوجه المليئ بالتناقضات بين ثقافة المستعمر من جهة و ثقافة الذات المحلية من جهة ثانية ، لكن أكثر الثقافات سيطرة هي ثقافة الفقر التي ضربت أطنابها في أعماق المجتمع ، فكل ما هو باد يدل على الفقر أكثر من أي شيئ آخر .

لقد تملك مدن العالم العربي – و الجزائر مثال على ذلك - ما يشبه الإرتباك الحضاري ، حيث تتقدم خطوة و تتخلف خطوات ، فالبيئة المشيدة تأخذ من الغرب الطرز المعمارية الغربية ثم لاتتعامل مع هذه الطرز كالغربيين ، فالأفراد يبنون العمارات ثم يحورونها ليستعيدوا الجوالحميمي داخل الأسرة باستحداث مختلف الفراغات لمختلف الوظائف ، كإنشاء السقيفة مثلا ، و يسكنون مساكن أعدت خصيصا لأسر لا يتعدى أفرادها الثلاثة ليسكن بها الأضعاف المضاعفة من الأفراد ، ليلفضوا بذلك أعباء الإكتظاظ الداخلي إلى خارج المسكن الذي لم يعد مسكنا بل مجرد مأوى، و لتفقد البيئة الخارجية حول ذلك المأوى كل مسؤول عنها و كل مدرك لمدى خطورة تدهورها .

و في هذا السياق فقد عالجت هذه الدراسة جانبا من الجوانب البادية في عمران المدن الجزائرية ، و التي سحبت منها الوجه المشرف و الراقي الذي تعتز به الأمم ، ألا و هو التشوه العمراني ، و ركزت الدراسة على أهم مسببات - في نظر الباحثة هو الأهم – هذا التشوه العمراني و هو التحول الديمغرافي الحادث في داخل المدن ، والواقع أن السكان قد لا يشكلون تشوها عمرانيا و إنما إذا زاد حجمهم عن المعتاد أو عما بإمكان المدن استيعابه في ظل بطء أو غفلة من المسير أو ثغرة من القانون ، تتشوه المدن حتما .

يتشكل التحول الديمغرافي بشكلين الأول بالزيادة الطبيعية و الثاني عن طريق الهجرة و النزوح من الأرياف ، و الأرجح أنه يأتي من النزوح الريفي ، و مجتمع الدراسة الذي تمت دراسته تمثل في حي العالية الشمالية الذي تعرض لموجة غزو قوية من الوافدين من الأرياف المتاخمة لمدينة بسكرة ، وكذا من البدو الرحل الذين حطوا رحالهم و إلى الأبد في المكان ، و كان تموضعهم عشوائيا فلا تعرف لمساكنهم وجهة أبدا – ككل المساكن الريفية – و بمرور الزمن اكتظ المجال بالعمران و بدا التشوه في الخطة العمرانية على مستوى الشوارع و الطرق ، وكثرت الطرق التجميعية و الطرق الحادة و

الطرق التي لا تدخلها السيارات و الجرافات أبدا مما صعب من عملية التهيئة العمرانية ، ففقدت بعض أجزاء التجمعات العمرانية أدوات التنظيم العمراني ، كما برز التشــوه فــي جهة الخدمات حيث اكتظت المدارس بالتلاميذ ، و لم يسمح النســيج العمرانــي بإضــافة مدارس أخرى بإمكانها الاستيعاب أكثر، كما برز التشوه العمراني على مستوى الوحدات المعمارية البسيطة كالمنازل التي ضاقت بساكنيها الكثر فعمدت إلــى احتكــار المجــال الخارجي ، أو امتدت إلى الأعلى فنشأ بذلك عدم توازن بين مسكن و مجاوره ، كمــا أن تنوع مواد بناء المساكن في الحي بتنوع المهن والثقافة و المستوى الدخل أدى أيضا إلــى هذا التشوه ، .....

إن هذا التشوه على المستوى العمراني قد أنتج فراغا اجتماعيا مميزا متمــثلا فــي اللامبالاة تجاه البيئة العمرانية ، حيث ساد الحي ثقافة الريف المتمسكة بتربية الحيوانــات داخل المجال الحضري ، وانتهاج سلوكيات أخرى أبت إلا أن تترسب في الأذهان .

إن إدراك التشوه العمراني الحاصل في المدن أمر في غاية الأهمية ، وإن تشخيص الأزمة و الوقوف على مكمن الداء و معالجته بات من أولى الأولويات المطروحة علــى الدراسات الحضرية في علم الإجتماع و الهندسة المعمارية و التهيئة الحضــرية و علــم النفس و غيرها من التخصصات التي من شأنها التأصيل لمدن راقية تســر النــاظر ، و تؤدي الخدمة وتبدي للأمة مستوى حضاري ترقى من خلاله إلى مصاف الأمم الراقية.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1- أحمد بوذراع . التطوير الحضري و المناطق الحضرية المتخلفة بالمدن(دراسة نظرية في علم الإجتماع الحضري) .منشورات جامعة باتنة.

2- إحسان محمد الحسن . التصنيع و تغيير المجتمع . دار الشؤون الثقافية العامة .وزارة الثقافة والإعلام ط2 . بغداد .1986.

3- اسماعيل قباري محمد. علم الإجتماع الحضري و مشكلات التهجير و التغيير و التنمية. منشأة المعارف . الإسكندرية . ب ت .

4- السيد الحسيني. المدينة: دراسة في علم الإجتماع الحضري. ط3 دار المعرف .1985 .

5- الصادق مزهود. أزمة السكن في ضوء المجال الحضري(دراسة تطبيقية على مدينة قسنطينة) دار النور الهادف .الجزائر . 1995.

6- جون كلارك.جغرافية السكان. ترجمة محمد شوقي ابراهيم مكي. دار المريخ.الرياض.1984.

7- حسن الساعاتي . التصتيع و العمران. دار النهضة العربية .بيروت . 1980 .

8- حسين عبد الحميد رشوان . مشكلة المدينة (دراسة في علم الإجتماع الحضري) .1997.

9- حسين عبد الحميد رشوان . المدينة(دراسة في علم الإجتماع الحضري) المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية .ب ت .

10- حميد خروف وبلقاسم سلاطنية اسماعيل قيرة .الإشكالات النظرية و الواقع (مجتمع المدينة نموذجا). منشورات جامعة منتوري. قسنطينة .1999 .

11- زكي مصطفى عليان و عثمان محمد غنيم .مناهج و أساليب البحث العلمي النظرية و التطبيق .دار الصفاء للنشر و التوزيع.عمان.2000.

12- زيدان عبد الباقي.قواعد البحث الإجتماعي.ط2.مطبعة السعادة.القاهرة 1974.

13- السعيد مريبعي .التغيرات السكانية في الجزائر .المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر.1984.

14- شريف رحماني . الجزائر غدا. وزارة التجهيز و التهيئة العمرانية .

15- عبد الإله أبو عياش و إسحاق القطب. الإتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية. جامعة الكويت. 1979 .

16- عبد الباسط عبد المعطي و آخرون .السكان و المجتمع .

17- عبد الحميد لطفي . علم الإجتماع . دار النهضة العربية . بيروت . ب ت.

18- عبد الرحمان بن خلدون. المقدمة . الباب الرابع.

19- عبد المنعم شوقي .مجتمع المدينة: الإجتماع الحضري. ط7.دار النهضةالعربية.بيروت .1981.
20- عبد المنعم عبد الحي.علم السكان (الأسس النظرية والأبعاد الإجتماعية).المكتب الجامعي الحديث.القاهرة.1985 .
21- عز الدين جوني. الإحصاء الإقتصادي.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.1983 .
22- علي عبد الرزاق جلبي.علم اجتماع السكان .ط2.دار المعرفة الجامعية.مصر1998 .
23- عمار بوحوش. مناهج البحث العلمي وطريقة إعداد البحوث. ديوان البحوث الجامعية.1995 .
24- فتحي أبو عيانة.جغرافية العمران. دراسة تحليلية للقرية و المدينة . دار المعرف .مصر. 1995 .
25- فضيل دليو وعلي غربي وآخرون. أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية . منشورات جامعة منتوري.قسنطينة . 1999.
26- لويس هانري .الديمغرافيا تحليل و نماذج .تعريب جيلالي صياري.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .1984 .
27- محمد السويدي .محاضرات في الثقافة و المجتمع .ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.1985.
28- محمد السويدي . مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري(تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر) ديوان المطوعات الجامعية. الجزائر .
29- محمد السيد غلاب. البيئة و المجتمع .ط7 . بدون دار نشر. 1997.
30- محمد الهادي العروق . مدينة قسنطينة :دراسة في جغرافية العمران .ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.1984.
31- محمد بومخلوف .التحضر .
32- محمد زهري حبوس. الطرق و المطارات . المطبعة الجديدة .دمشق .1978.
33- محمد شبلي .المنهجية في التحليل السياسي.الجزائر.1997 .
34- محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة. الكويت. أوت 1988.
35- محمد عاطف غيث. علم الإجتماع الحضري: مدخل نظري.دار النهضة العربية للطباعة.بيروت .1983.
36- محمد محمود الجوهري و علياء شكري.علم الإجتماع الريفي و الحضري .دار التضامن للطباعة .
37- محمد محمود الجوهري و عبد الله الخريجي.طرق البحث الإجتماعي.ط4.دار الثقافة للنشر و التوزيع.القاهرة.1983.

38- محمود عبد اللطيف عصفور و السعيد ابراهيم بدوي. الدراسة الميدانية في جغرافية العمران. دار التكنوبرنت للطباعة. القاهرة .1983 .
39- مصطفى الأشرف. الجزائر الأمة و المجتمع . ترجمة حنفي بن عيسى. المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر.1983 .
40- موريس هالبواك . المورفولوجيا الإجتماعية. منشورات عويدات . بيروت ، باريس . 1986 .
41- نورس الدقر و رئييف مهنا و غانم هنا . علم الإجتماع العمراني . مطبعة جامعة دمشق.سورية .1988 .
42- نيكولا تيماشيف . نظرية علم الإجتماع : طبيعتها و تطورها .ترجمة محمود الجوهري و آخرون . القاهرة .دار المعارف .ط8 .1983 .

الرسائل و المذكرات

1 – بلقاسم الذيب.المجال العمراني و السلوك الإجتماعي(دراسة ميدانية مقارنة .حالة بسكرة رسالة ماجستير في العمران .جامعة قسنطينة .1995 .
2 – بلقاسم الذيب . أثر الخلل الإجتماعي على المجال العمراني.رسالة دكتوراه في الهندسة المعمارية . قسنطينة .2001 .
3 – خديجة عجابي . التصنيع و النمو الحضري في الجزائر مع دراسة ميدانية على عينة من ثلاثة أحياء قصديرية بعنابة . رسالة ماجستير 1998 . جامعة الجزائر.
4 – عبد الغني غانم .تحليل مدى التوازن بين السكان و السكن في مدينة بسكرة..أطروحة مقدمة لنيل الماجستير في التهيئة الحضرية. قسنطينة . 1984 .
5 – فطيمة دريد . النمو الديمغرافي و سياسة تنظيم النسل في الجزائر (دراسة ميدانية لولاية باتنة).رسالة ماجستير في علم اجتماع التنمية . قسنطينة .
6 – محمد بومخلوف .التوطين الصناعي و آثاره العمرانية . أطروحة مقدمة لنيل شهادة الكتوراه في علم الإجتماع . الجزائر.1995 .
7 – نادية رابية.المسكن و العائلة بعد زواج الأبناء . رسالة ماجستير . 1991 .

القواميس

1 – محمد عاطف غيث . قاموس علم الإجتماع .دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . 1989 .
2 – المنجد في اللغة و الأعلام . دار المشرق . بيروت . الطبعة 26 .

الوثائق و المحاضرات

1 – مجلة إنسانيات . العدد 05 ماي 1998 .مركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية و الثقافية (CRASC) . وهران .

2 – مجلة إنسانيات . العدد 06 سبتمبر 1998 . مركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية والثقافية(CRASC) . وهران .

3 – مجلة العلوم الإنسانية . العدد 13 جوان 2000 . جامعة منتوري .قسنطينة .

4 - جاسم الدباغ، العمارة وتخطيط المدن في المناطق الحارة، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني" المدينة الجزائرية المعاصرة التحديات و الآفاق " جامعة قسنطينة .ماي 2001.

5 – وثائق خاصة بالشركة الوطنية للكهرباء و الغاز .

6 – وثائق خاصة ببلدية بسكرة . مصلحة الإحصاء .

7 – وثائق خاصة بالوكالة الوطنية للتهيئة و التعمير ANAT .

8 - حزب جبهة التحرير الوطني . النمو الديمغرافي في الجزائر . نشر و توزيع قطاع الإعلام و التنشيط .

المراجع باللغة الفرنسية

1 – Chombart de Lauwe .Famille et habitation . G.N.R.S .Paris .1967 .tome1.

2 – Cherif Rahmani . La croissance urbaine en Algérie. OPU. Alger .1982.

3 – Félix Hautfort .Au pays des palmiers Biskra .Paul Ollendoref .Paris . 1897.

4 – Yves Grafmeyer .Sociologie urbaine. Editions. Nathan .Paris .1994 .

الملاحق

الملحق رقم (01) : توزيع المحلات التجارية و الخدماتية بحي العالية الشمالية[1]

نـــــوع المحـــل	العدد	نـــــوع المحـــل	العدد	نـــــوع المحـــل	العدد
مواد غذائيـــــة	239	مكتبـــــــــة	40	بيع الملابس	63
خضر و فواكـــه	92	مخبـــــزة	12	بيع مواد البناء	31
حلويات، مثلجات ومرطبات	21	مطبعـــــــة	01	بيع و كراء الأشرطـــة	07
جـــــزار	10	مكتب محاسبـــة	01	بيع الخردوات	27
بيع المشروبـــات	11	صيدليــــــة	05	بيع الأثاث	10
حــــمام	06	مدرسةتعليم السياقـة	03	بيع الزجاج	03
حـــــلاق	29	وكالة سياحيـــة	01	بيع الأدوات المنزلية	02
طبيــــب	20	مدرسةالإعلام الآلي+خدمات	14	بيع قطع الغيار	11
طبيـــب أسنـــان	01	قاعات ألعـــاب	07	بيع وتصليح العجلات والزيوت	11
مترجــــــة	01	مقـــــهى	32	بيع الأدوات الكهرومنزلية	03
محــــــامي	02	مطـــــعم	30	بيع الأدوات الكهربائية	02
بيطـــــــري	01	مكتب دراســـات	09	بيع مواد التجميل	05
خــــــراط	01	حضانـــــة	03	بيع المواد الفلاحية	02
لــــــحام	29	نـــــجار	14	بيع الموادالصيدلانيةوالجراحية	01
إسكـــــافي	04	مـــــرش	02	بيع قارورات الغاز	01
رصـــــــاص	08	خدمة الطـــابع	01	غسل و تشحيم السيارات	04
مصـــــــور	02	صياغـــــة	36	تنظيف الملابس	01
كاتب عمـــومي	01	البزازة (أدوات الطــــرز)	03	إصلاح الراديو والتلفزيون	08
خـــــياط	07	تصوير الوثائـــق	01	إصلاح السيارات	50
متعدد الخدمـــات	02	صباغـــة الألبسة	02	إصلاح الأدوات لكهرومنزلية	09
خدمة هاتفيـــــة	18	بــــــناء	05	إصلاح الدراجات	06
وكالة عقـــارية	08	محل تلفيف (Bobinage)	01	فراء السيارات و الأرائك	04
كـــــشك	35	إصلاح آلات الخياطـــة	01	نجارة المعادن	01
حضيرة سيارات	01	وكـــالة إشـــــهارية	02	تزيين المحلات	01

[1] مديرية الضرائب لولاية بسكرة . فرع العالية . جويلية 2002 .

الملحــق رقم (02)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبـــــية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم علم الإجتــــــماع

استــمــارة مــقــابــلــة

التــحــول الديــمــغــرافي و آثــاره عــلى التــشــوه العــمــراني

"دراســة تــطــبــيــقــيــة لحــي العــالــية الشــمــالــية "

ـ بــســكــرة ـ

إعــداد :

م. مــنــاصــريــة

إشــراف:

أ. د. بلــقــاســم ســلاطــنــية

السـنة الجامعـية 2003ـ2004

<u>بيانات شخصية</u>

1 – اللقب و الإسم : (اختياري) ....

2 –الجنس :.......... 3 - السـن : .... 4- المهنـة : ....

5 – العنـوان : ....

6 – ماهو عدد أفراد أسرتـك ؟ فصل ذلك كما يلي :

الأب :..... الأم : .... الجد : .... الجدة : ....

عدد الأبناء : .... عدد البنات : .... عدد أقارب آخرين : ....

7 – ما هو أصلكم : العرش :.......... الدوار:...... البلدية : ..... الولاية :.....

8 – كم أسرة تعيش في المسكن ؟ ....

9 - ما هو تاريخ أول سكن لكم في حي العالية الشمالية ؟ ....

10 – أين كنتم تقيمون سابقا ؟ ....

11- هل غيرتم المسكن داخل حي العالية الشمالية ؟ نعم ، لا

إن كان " نعم " ما هي أسباب التغيير و عدد المرات ؟.......................

12 – ماهي أسباب سكنكم في حي العالية الشمالية ؟ ....

13 – هل يناسبكم الحي للمسكن ؟ لماذا ؟ ....

14 – ماذا كان يعمل رب الأسرة قبيل رحيلكم إلى الحي ؟ ....

15 – هل كان لديكم أقارب في حي العالية الشمالية قبل رحيلكم إليه ؟ ....

16 – هل يدفن موتاكم في مقبرة حي العالية الشمالية ؟ نعم ، لا

إن كان الجواب " لا " فأين يدفن موتاكم ؟ ....

17 - أين تقضون فصل الصيف ؟ ....

<u>بيانات حول العلاقات الإجتماعية :</u>

18 – هل علاقاتكم مع الجيران هي :

علاقات عائلية ، مصاهرة ، مجرد جيران ، ....

19 – هل تزورون جيرانكم ؟ نعم ، لا إن كان الجواب "نعم "

يوميا ، أحيانا ، في مناسبات ، في ظروف معينة ، ....

20 - هل نوعية علاقاتكم مع الجيران هي :

تفاهم ، صراع ، تنافس ، تعاون ، ....

21 - في حالة حدوث شجار بينكم و الجران ، إلى من تلجأون لفض الخلاف ؟

السلطات ، كبار و شيوخ الحارة ، التسامح ، ....

22 – من المتسبب عادة في حدوث الشجار ؟ الأطفال ، النساء ، الرجال ، آخرون .

23 – ما هي أسباب الشجار عادة ؟

24 – هل تمارسون التويزة مع جيرانكم ؟ نعم ، لا

إن كان " نعم " من يقوم بعملية التويزة ؟ النساء ، الرجال

ماهي مناسبات هذه التويزة ؟ ....

<u>بيانات تتعلق بالمسكن :</u>

25 –ما هي مساحة مسكنكم ؟ .... هل تعتقد أنها تناسب حجم الأسرة ؟ ......

26 – ما هو عدد طوابق مسكنكم ؟ .... 27 – ماهو عدد الغرف ؟ ....

28 – ما هو تاريخ إنجاز المسكن ؟ ....

29 – ماهي مواد بناء المسكن؟ :**<u>السقف</u>** : دالة ، تارنيت ، زانقل (صفيح)، جريد

<u>الجدران</u>: حجر ، اسمنت ، طوب تراب ، صفيح

30 – ما هي الوضعية القانونية لمسكنكم ؟

تملك عن الخواص ، تملك عن البلدية ، تأجير عن الخواص ، السكن عند الأقارب ، وضع اليد

31 – هل يوجد مخطط للمسكن ؟ نعم ، لا .

في حالة " نعم " هل غيرتم المخطط ؟

تعديل في المطبخ ، إضافة مجال (غرفة) ، تحويل وظيفة ، غلق شرفة ، ....

لماذا قمتم بهذا بهذا التغيير ؟ ....

32 – هل تربون الحيوانات داخل مسكنكم ؟ ....

<u>بيانات تتعلق بالحي :</u>

33 – من أين تقتني حاجاتك الضرورية ؟

نفس الشارع الذي تسكنه ، نفس الحي ، السوق ، وسط المدينة ؟ ....

34 – أين تقضي أوقات فراغك ؟

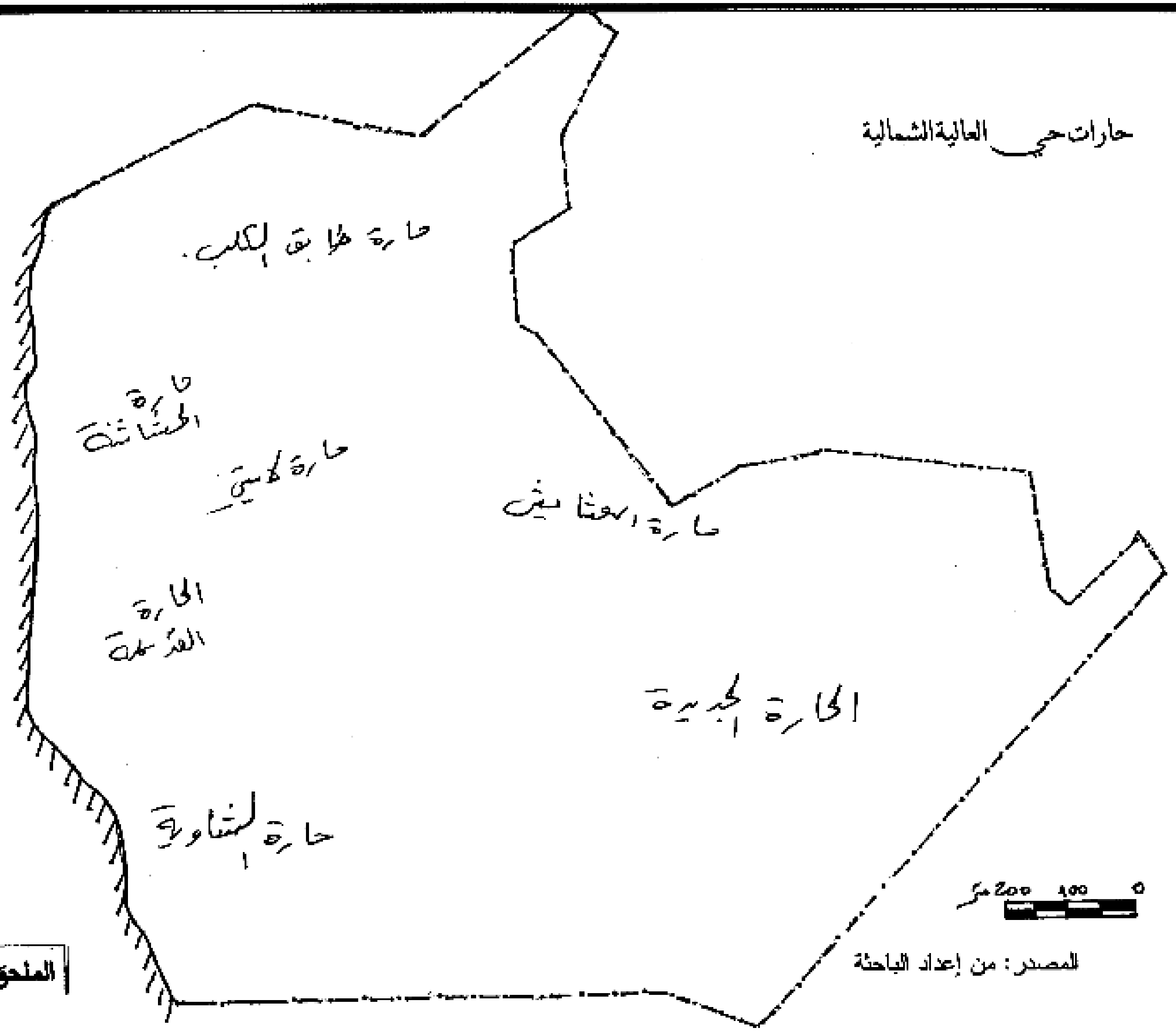
داخل المنزل ، داخل الحارة ، داخل الحي ، خارج الحي ، ....

إذا كان داخل داخل الحارة ، أو داخل الحي ، فعلى أي الأماكن تتردد ؟

المقهى ، المسجد ، قارعة الطريق ، قاعات اللعب ، عند الأقارب ، ....

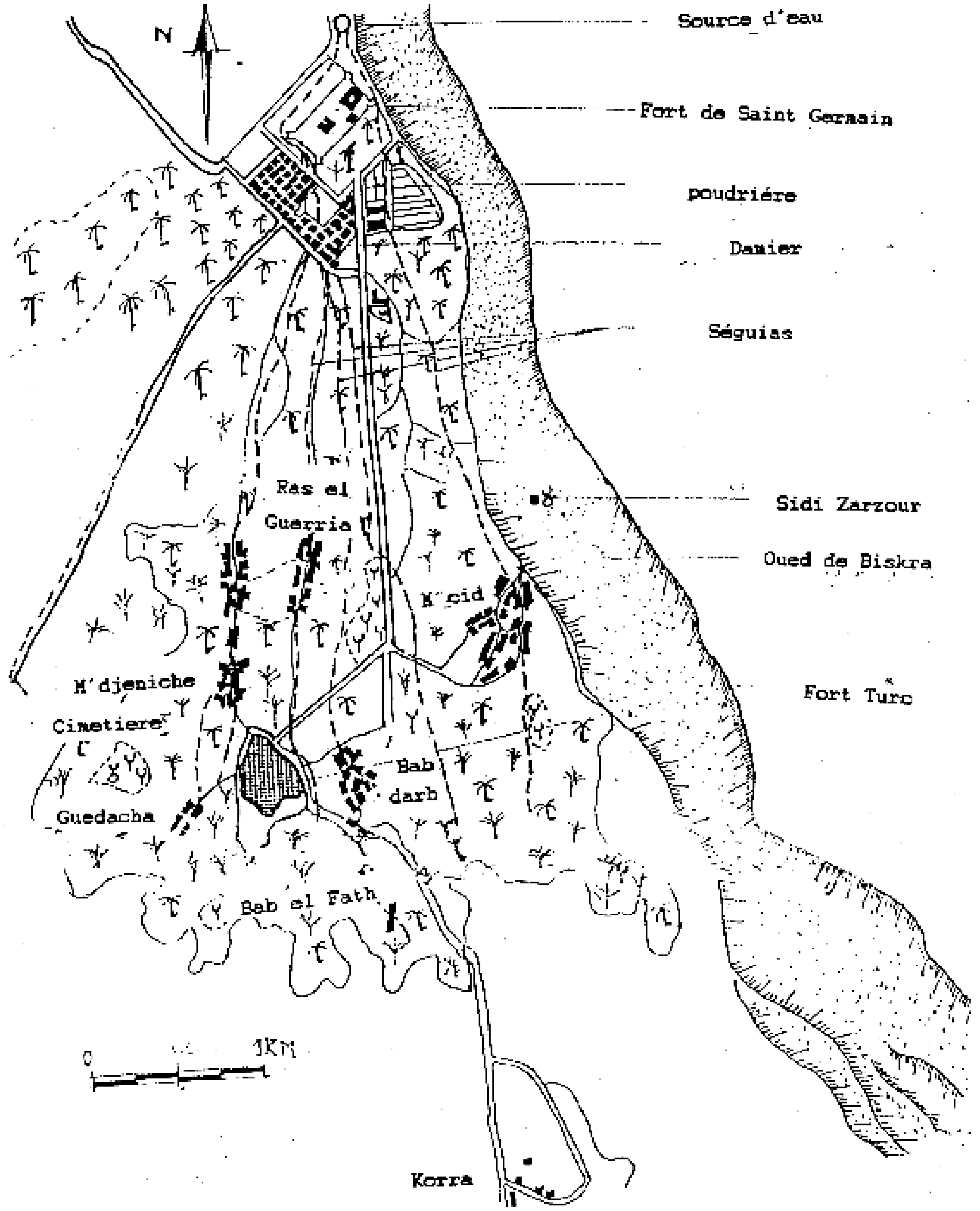
35 – هل تعتقد أن حي العالية الشمالية حي فوضوي ؟ ....

حارات حي العالية الشمالية



المصدر: من إعداد الباحثة

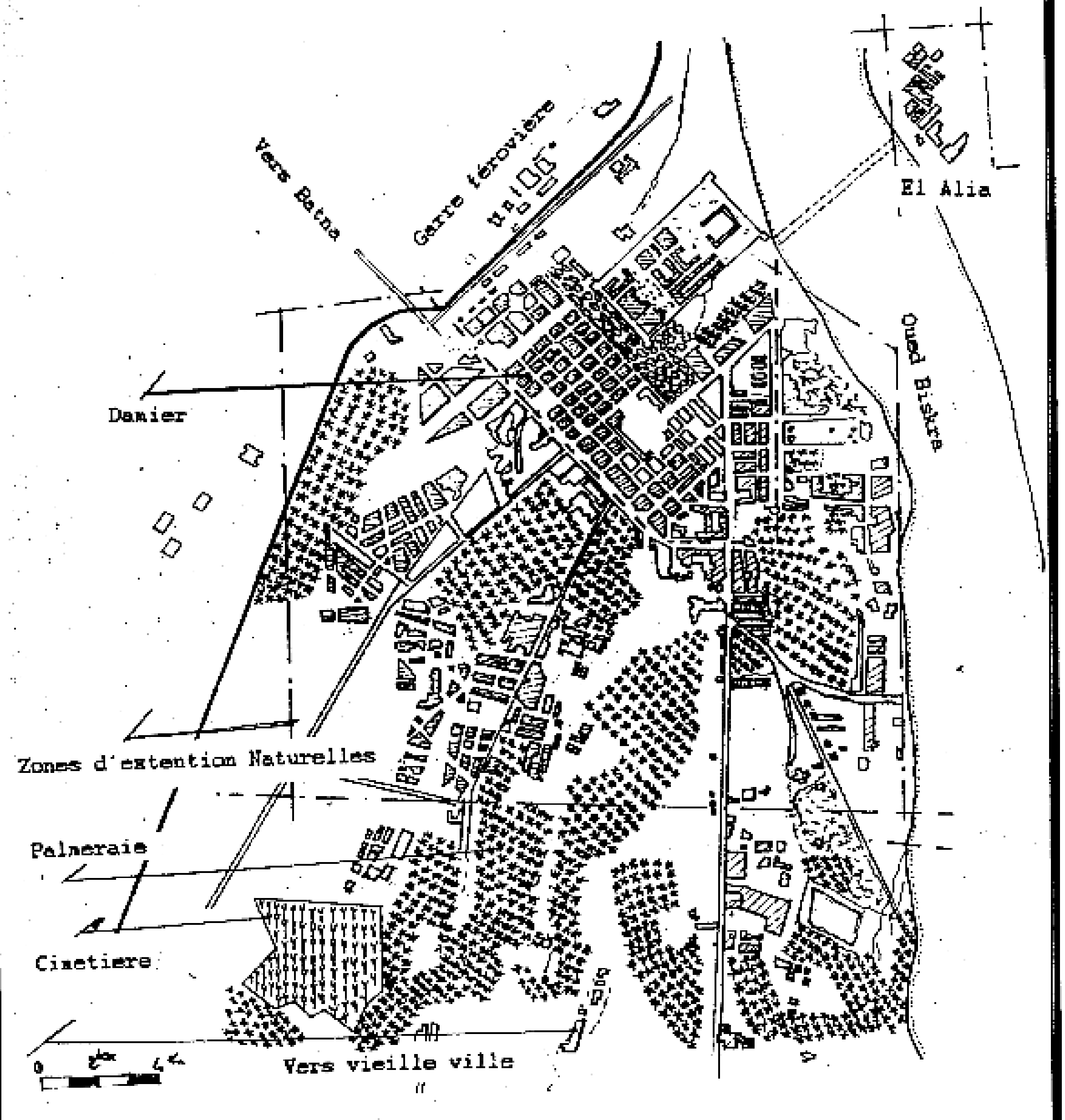
الملحق رقم(04)



La ville de Biskra en 1863 et l'habitat des sept villages de l'époque précoloniale
Source :Section cadastrale de Biskra
Carte du génie militaire

الملحق رقم (05)

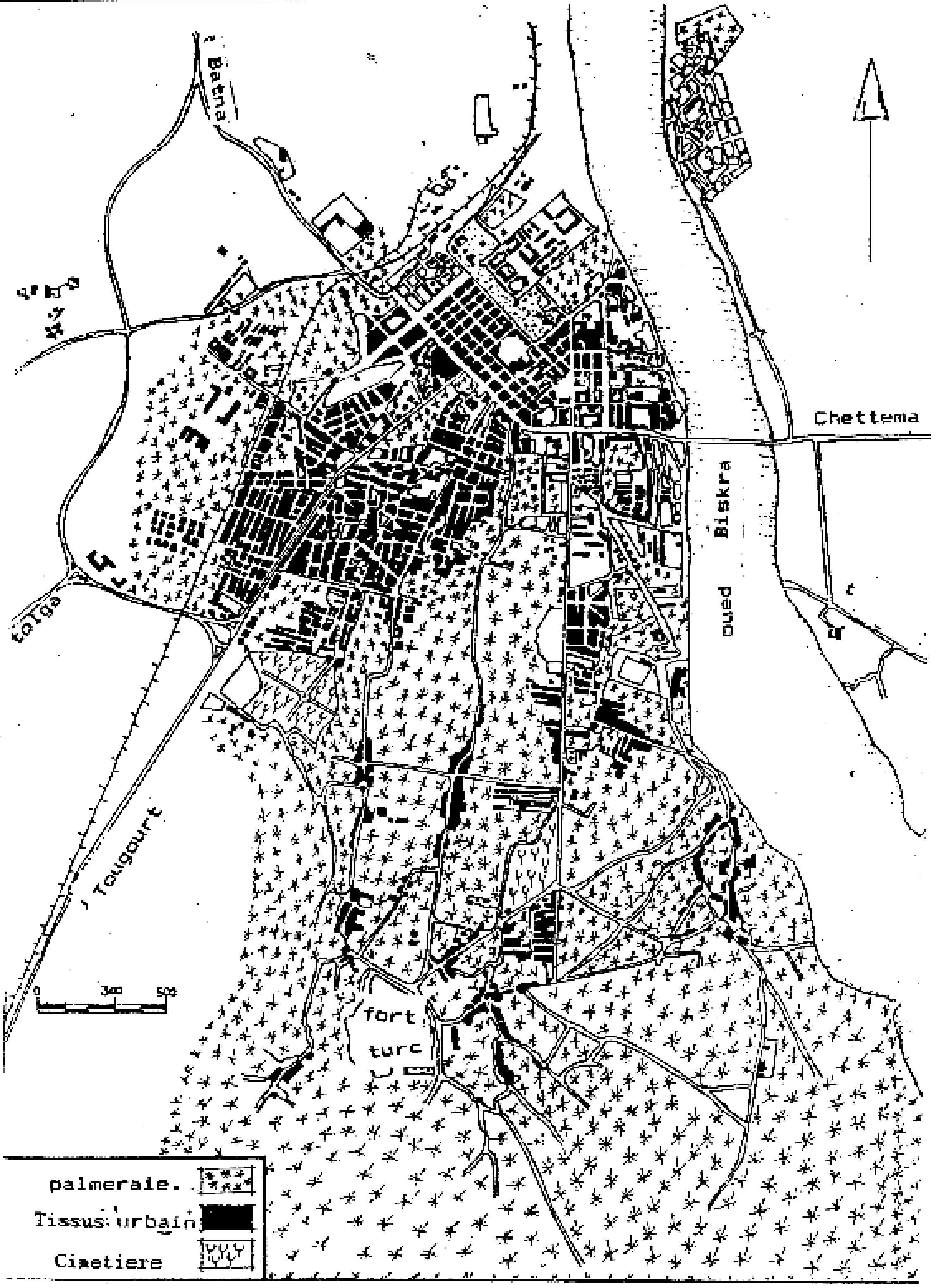
Alkama Djamel . Analyses Typologiques De l'habitat (cas de Biskra) thèse de magistère en Architecture . centre universitaire de Biskra . 1995.



Situation de la Ville de Biskra en 1959
Source :DUCH

الملحق رقم(06)

نقلا عن : Alkama Djamel . Analyses Typologiques De l'habitat (cas de Biskra) thèse de magistère en Architecture . centre universitaire de Biskra . 1995

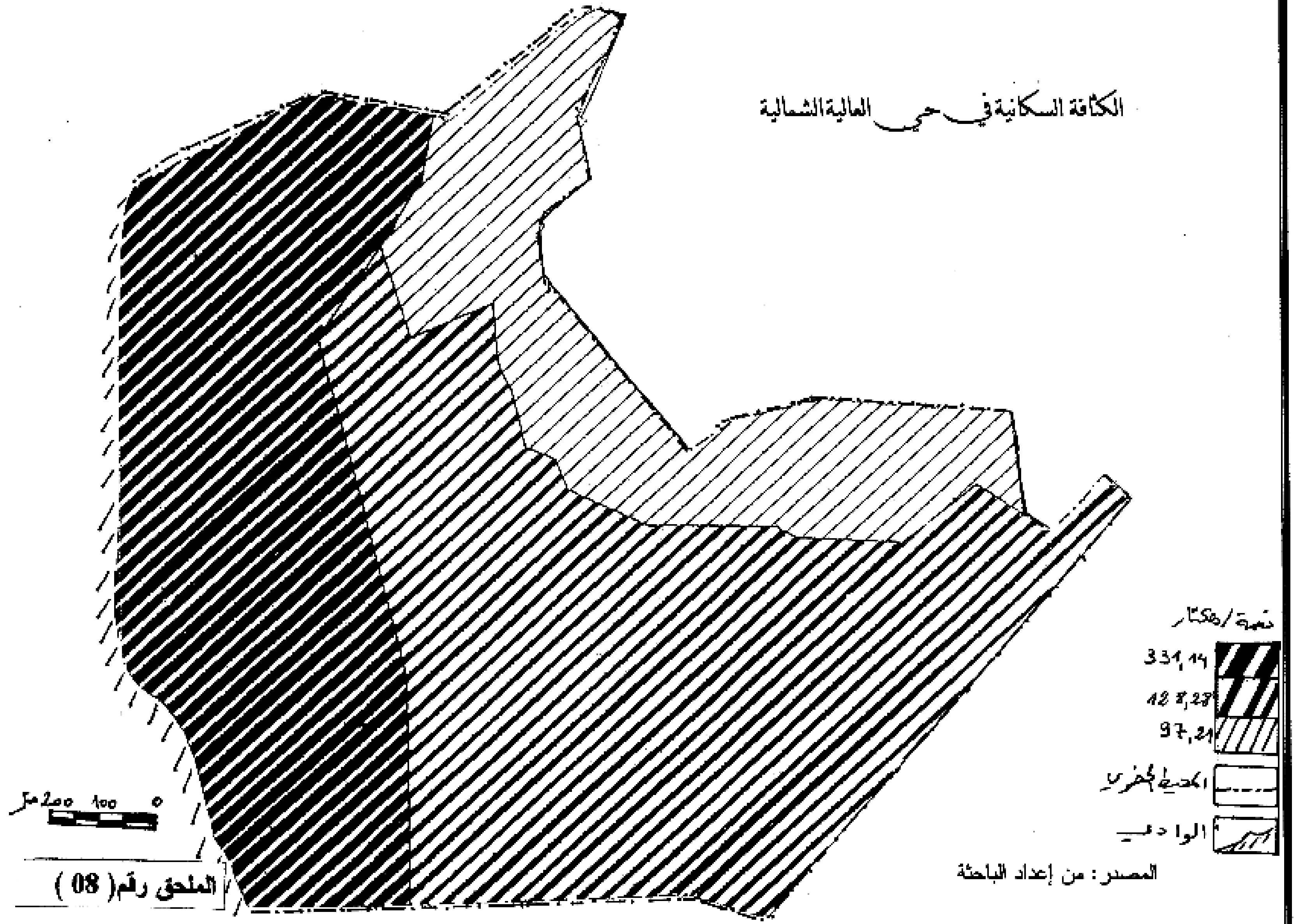


:situation de la ville de Biskra carte de 1972
Source : P.U.D 1974 de Biskra (CADAT)

الملحق رقم (07)

نقلا عن : Alkama Djamel . Analyses Typologiques De l'Habitat (cas de Biskra) thèse de magistère
en Architecture . centre universitaire de Biskra . 1995

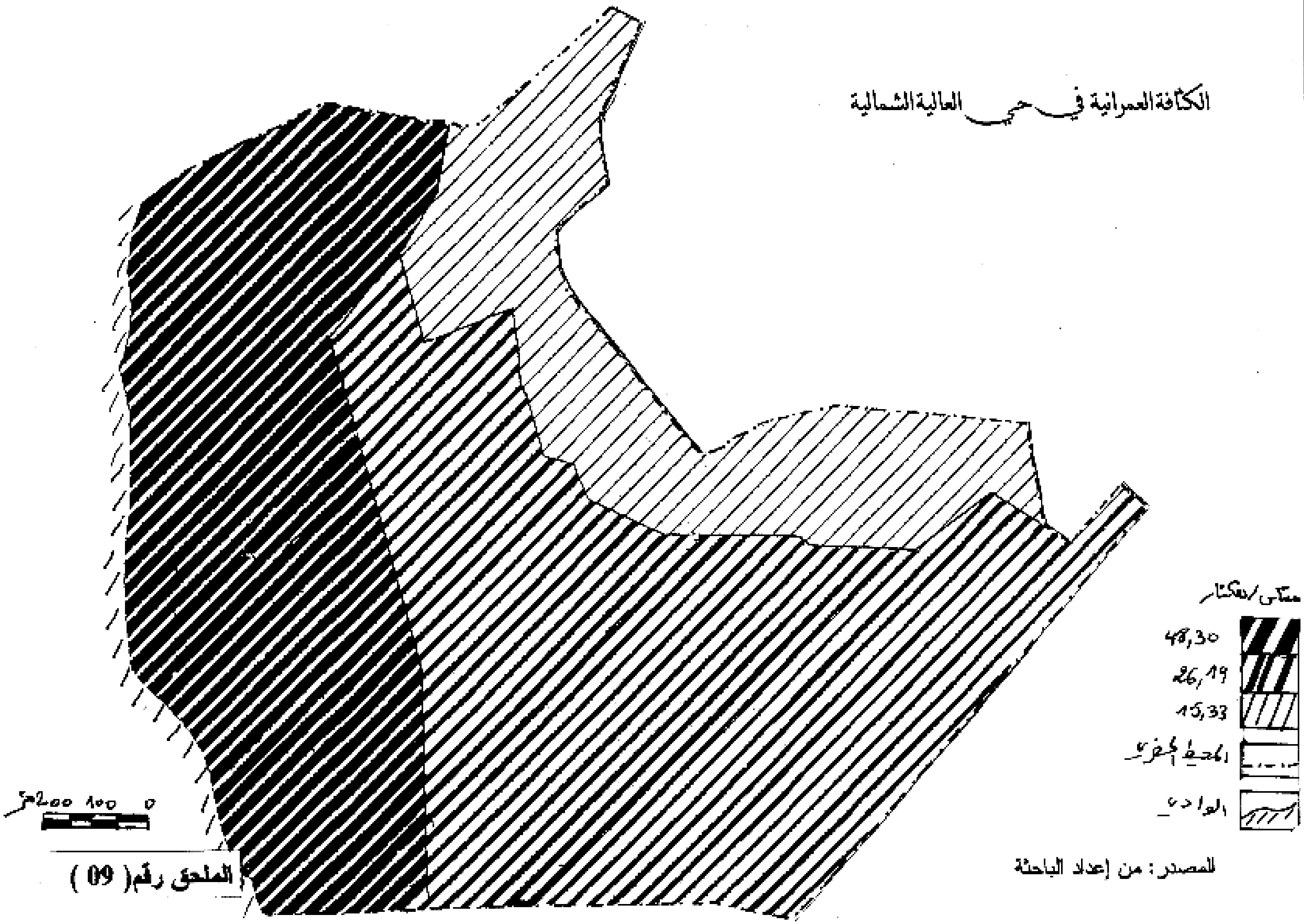
الكثافة السكانية في حي العالية الشمالية



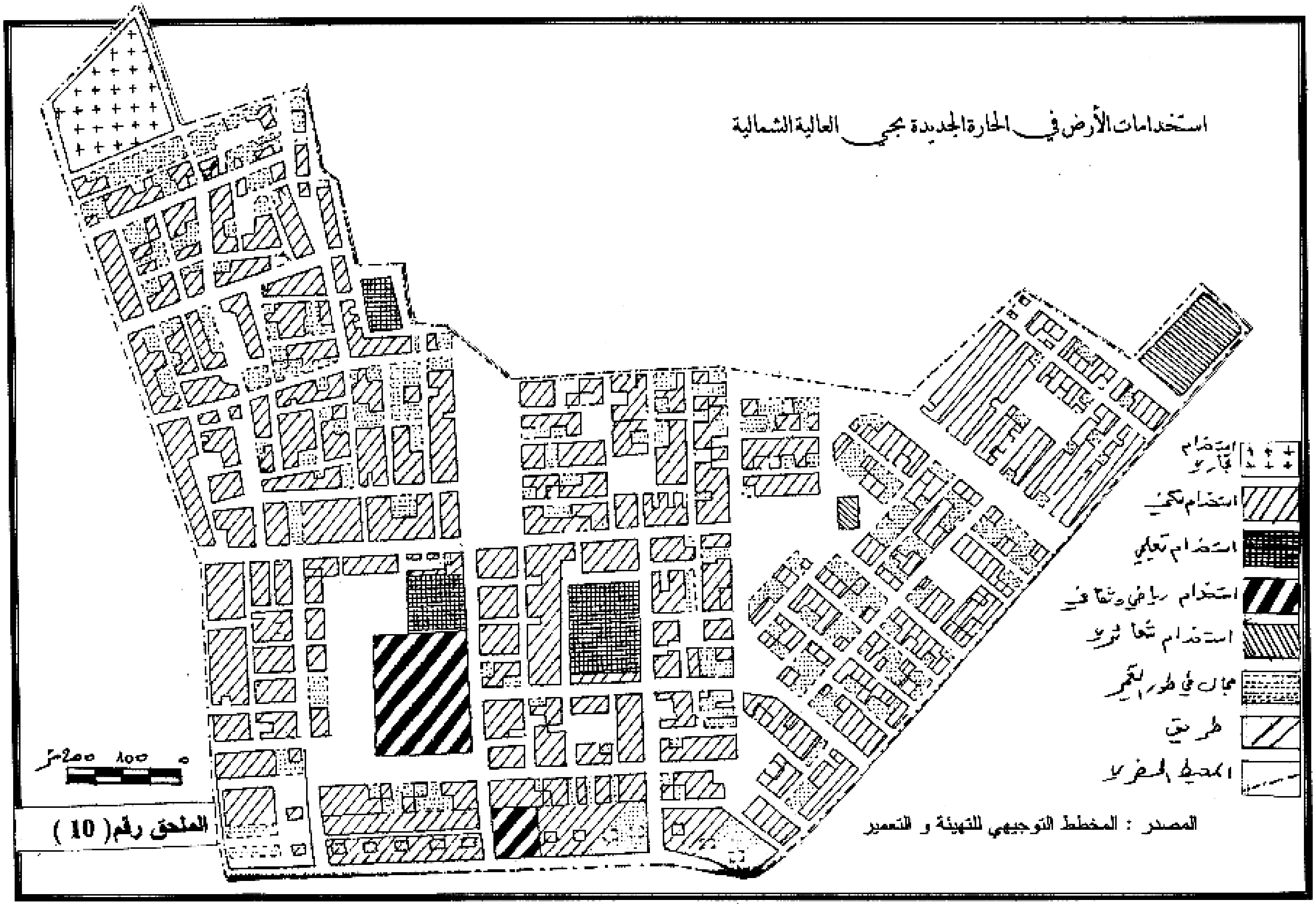
المصدر: من إعداد الباحثة

الملحق رقم(08)

الملحق رقم(09)



المصدر: من إعداد الباحثة


استخدامات الأرض في الحارة الجديدة بحي العالية الشمالية
استخدام سكني
استخدام تعليمي
استخدام رياضي وثقافي
مجال في طور التعمير
طرق
المحيط الحضري
0 100 200 متر
المصدر : المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير
الملحق رقم (10)

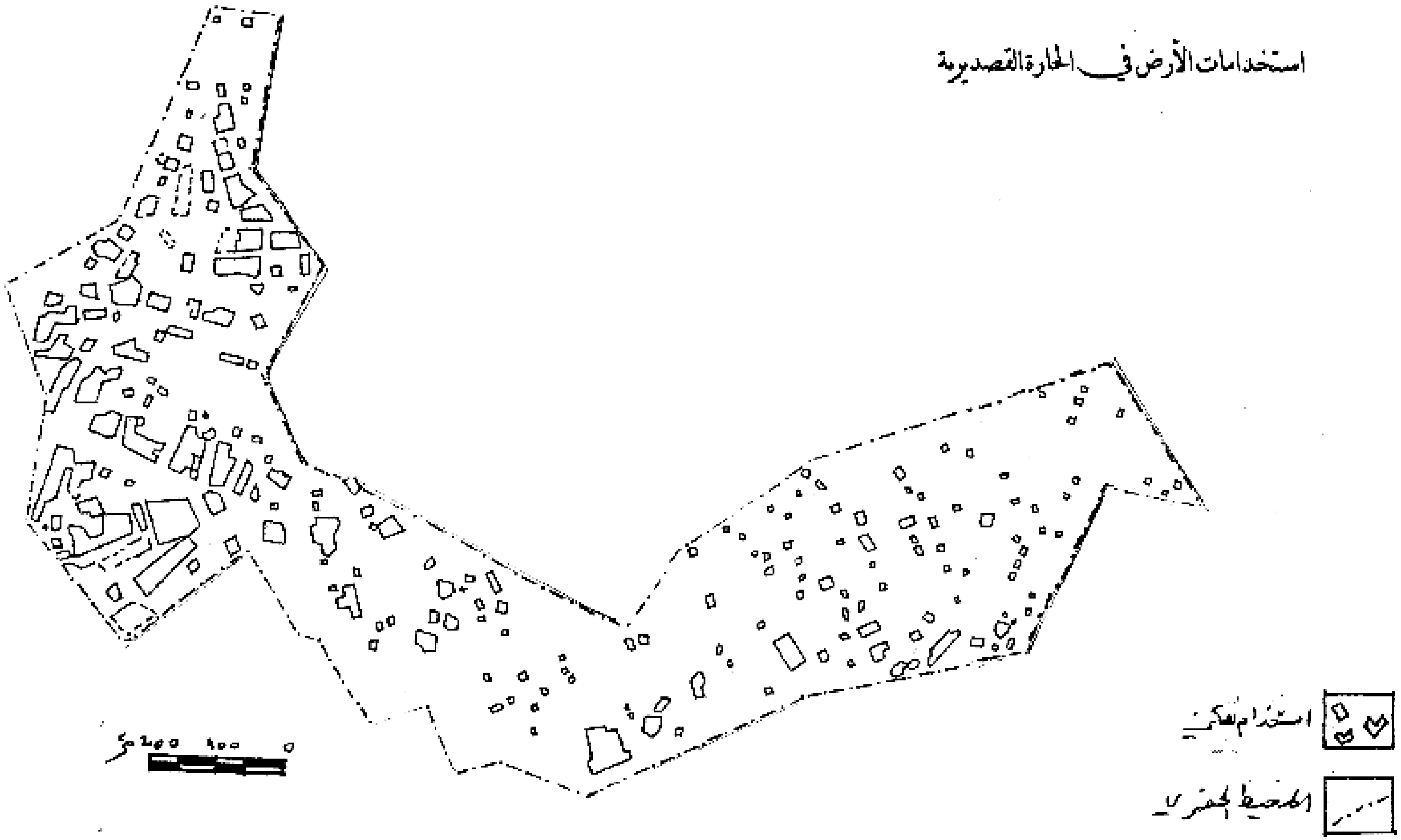
استخدامات الأرض بالحارات القديمة للحي



المصدر : المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير ، بسكرة .

الملحق رقم (11)

استخدامات الأرض في الحارة القصديرية



المصدر : المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير . بسكرة

الملحق رقم(12)